

رواية
أنين
عالم أفضل
الميلاد

اسم الكتاب: أنين "الجزء الثاني" - عالم أفضل

تأليف: شريف ثابت

تصميم الغلاف : أحمد مراد

رقم الإيداع: 2014/19843

الترقيم الدولي: 978-977-6376-68-7



إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

دار كيان للنشر والتوزيع - 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم

محمول: 01005248794 - 01001872290 - أرضي: 0235688678

www.kayanpublishing.com - info@kayanpublishing.com

kayanpub@gmail.com

© جميع الحقوق محفوظة، وأيُّ اقتباسٍ أو إعادة طبع أو نشر في أي صورةٍ كانت ورقيةً أو إلكترونيةً أو بأية وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

شريف ثابت

رواية
أنين

عالم أفضل
الميلاد

”حيث يكون حق، لا يكون سلام.. وحيث يثبت السلام، لا
تجد حقاً“

بيلاطس البنطى

”العلم يقول إنه ينبعث من كل مّا ما يُعرف بالسيال الحيوي.. وهو نوع من الطاقة الروحيّة تنبعث من أجسادنا طول الوقت، تؤثر بشكلٍ أو بآخر على المحيطين بنا“.

”طاقة حقيقيّة ملموسة وإن كانت رؤيتها غير ممكنة بالطبع إلا في مجال للأشعة تحت الحمراء.. وما دام الأمر كذلك، فهو كغيره من أنواع وأصناف الطاقة، يمكن استخلاصه واستغلاله وفقًا لقوانين فيزيائيّة معيّنة“.

”سأحدثك عن النتيجة النهائية التي توصلوا إليها، وهي أنّ هذه الطاقة يمكن استخلاصها بسهولة من الأجساد المحتضرة.. استخلاصها وتخزينها في أنابيب مجهزة مخصوصة لهذا الغرض“.

”حيوانات التجارب التي ماتت غرقًا أو حرقًا أو سُلخًا أو صعقًا بالكهرباء أو... أو... بلا بلا بلا... سجلت معدلات انبعاث للطاقة الحيويّة أعلى بمراحل من الحيوانات التي ماتت بعد حقنها بالأنسولين أو منشطات القلب.. لا أقل من أضعاف أضعافها.. وكلما زادت فترة الاحتضار، زادت كميّة الطاقة التي نحصل عليها“.

”لا أحب أن أدخل في جدل أخلاقي حول مدى بشاعة قتل إنسان للحصول على سياله الحيوي.. لست واعظًا ولا رجل دين.. ولكن بصدق أقول إنَّ العيّنات البشريّة التي قامت مجموعة البحث بتعذيبها لانتزاع طاقتها الحيويّة كانوا موق من الأساس.. عناصر بائسة في المجتمع لا فائدة منها، ومضارها عديدة، والأمل معدوم في أن ترتقي وتلعب دورًا في بناء أي مجتمع.. أي أنّهم عمليًا لا يزدون في شيء عن حيوانات التجارب التي تُجرى عليها البحوث“.

”بدأت مجموعة البحث في هالبرتون في استخراج طاقة السيلال الحيوي من حيوانات تجارب بشريّة.. فماذا كانت النتيجة؟ مدهشة بكل المقاييس.. الطاقة الحيويّة المستخرجة من الأجساد البشريّة المحتضرة أبدت قابلية فائقة للتأين الكهربائي، وهو ما يعني أنّ هذه الطاقة قابلة للتحويل بسهولة إلى طاقة كهربيّة“.

”كانت هذه الاكتشافات هي ثمرة ست سنوات متواصلة من البحث والتجارب في المختبرات المغلقة.. وإذا كانت المرحلتان الأوليان (استخلاص السيلال الحيوي وتخزين طاقته) والثانية (تأين هذه الطاقة وتحويلها إلى طاقة كهربائية) قد استغرقت هذه السنوات الست، فإن المرحلة الثالثة وهي تسويق هذا الاكتشاف وتحويله إلى مشروع استثماري لم تستغرق أكثر من عام“.

”لم يكن صعبًا على مجموعة رجال الأعمال المالكين لأسهم هالبرتون تأسيس مؤسسة عملاقة هي نيو ميدل إيست - إنرجي.. النشاط المعلن

هو إنشاء مشروعات لإنتاج وتصدير الطاقة المتجددة في منطقة الشرق الأوسط، بينما النشاط الحقيقي (والسري كذلك بالطبع) هو استخلاص الطاقة الحيويّة من الأجساد المحتضرة وتحويلها إلى طاقة كهربيّة“.

”كان قرار مجموعة رجال الأعمال أصحاب المشروع -وهو قرار مستند إلى دراساتٍ اقتصاديّة وسياسيّة دقيقة- أن نبدأ بمصر.. تقدمنا بطلب إلى الحكومة المصرية بإنشاء شركة متخصصة في استخلاص وإنتاج الطاقة المتجددة تحت إسم (إيجي - نيرجي)“.

”لا أرى أي داعٍ للخوف من رفض الحكومة المصريّة للمشروع.. المقابل الذي سيحصلون عليه ليس بالقليل على الإطلاق“.

”لم يستغرق الأمر كثيرًا من الوقت بفضل الرشاوى الهائلة التي دفعناها.. قمنا بشراء آلاف الأمتار المربعة في مناطق متفرقة، وتم إنشاء مزارع للطاقة تسع آلاف البطاريّات البشريّة، وعددًا من المحوّلّات والخلايا.. بالإضافة إلى ديكور تمويهى بارع يشبه إلى حدٍ كبير ماكينات وأجهزة محطات الطاقة المتجددة الحقيقيّة“.

ثم كانت الخطوة التالية هي إتمام الاتفاق السري الذي أبرم مع واحدة من الشخصيّات الهامة جدًّا في البلد.. لن أذكر أسماء ولا أماكن ولا تواريخ.. ولكن يكفي أن تعرف أنّه بمقتضى هذا الاتفاق تقوم أجهزة ما في الدولة بإمدادنا بحاجتنا من البطاريّات البشريّة بصورة دوريّة منتظمة“.

”لم تكد تمض بضعة أشهر حتى وصلت بالفعل أول شحنة من البطاريّات البشريّة إلى المزرعة (أفضّل اسم: المحطة) الرئيسيّة.. كانوا مجموعة من الفلاحين قاموا بقطع الطريق الدولي وحرق بعض الممتلكات كنوع من الاعتراض على تجاهل الحكومة المصريّة لمشكلاتهم مع مياه الشرب فيما أذكر“.

”في البدء نقلناهم إلى المحطة الرئيسيّة حيث قدمنا لهم رعاية طبيّة وغذائية فائقة لم يحظوا بمثلها من قبل، (تشهد على ذلك أجسادهم النحيفة ووجوههم السمراء الممصوفة).. كان هذا نوعًا من التسمين الذي يقوم به الجرّار للمواشي قبل ذبحها، واستمر الأمر كذلك لما يقرب من الشهر، حتى وصلت معدلاتهم الصحية والحيويّة إلى المستوى المقبول، وعندها بدأت الماكينات تعمل، وامتلات البطاريّات بسيل حيوي متدفق“.

”لاحظ فريق العمل بمعامل هالبرتون أن الدكتور ويليام أوبرايان أُصيب بحالة من التوتر والأرق المستمر، وشكا عدة مرّات من هواجس غريبة وأصوات مريبة يسمعها أحيانًا.. طبعًا اعتبر زملاؤه هذه الأعراض نتائج طبيعيّة للعمل الشاق المتواصل في المختبرات المغلقة لفتراتٍ طويلة، ومنحه البروفيسور جولدمان إجازة ليريح أعصابه، غير أن الدكتور أوبرايان عاد من إجازته أسوأ حالاً مما كان.. ازداد عصبيّة وتوترًا.. لم يعد ينام تقريبًا.. وبدأ يهلوس بشأن العيّنات البشريّة التي تجري عليها التجارب.. ثم بدأت تصيبه نوبات من الهياج العنيف

اندفع خلال إحداها محاولاً تحطيم الكمبيوتر المتصل ببوتقة التجارب، والذي يحمل برنامج المؤثرات المؤلمة التي تتعرض لها العينة لانتزاع سيالها الحيوي، وكاد بالفعل يحطمه لولا تكالب رجال الأمن عليه. وخلال الأيام التالية تم إجراء سلسلة كاملة من الفحوص على الدكتور أوبرايان.. فحوص فسيولوجية وسيكولوجية عالية الدقة.

”الخطأ ها هنا كان في عدم تأيّن السيال الحيوي بالكامل.. ثمة جزء ما ظل مستعصياً على التحول إلى كهرباء.. جزء روحي غير منظور إلا في مجال للأشعة تحت الحمراء.. جزء يظل مرتبطاً بالتيار الكهربائي حتى لحظة تحوله إلى طاقة حركية أو حرارية أو صوتية، حسب الجهاز الذي يُستخدم التيار الكهربائي في تشغيله.. في هذه اللحظة يتحرر الجزء النفسي من التيار الكهربائي.. ينفصل عنه.. يخترق الأسلاك والموصلات.. يسبح في الهواء ليختلط بأقرب سيال حيوي له“.

”تحررت بقايا الطاقة النفسية من ارتباطها بالتيار الكهربائي -السيال الحيوي سابقاً- لتغادر الموصلات وجهاز التكييف كله، وتسبح ببطء في فضاء المكان/ الفيلا.

يحتاج الأمر إلى جهاز لعمل مجال للأشعة تحت الحمراء، لرؤية الجزيئات النفسية وهي تتسرب عبر فتحات جهاز التكييف، لتحتشد في صورة أشبه بالسحابة، ثم تسبح بثقة وروية في الفراغ.. تطوف المكان كله.. تحتك بالحوائط.. بالسقف.. ترحف على الأرضية الباركيه.. ثم ترتفع بسلاسة ملازمة لملاءة الفراش الذي يتوسط الغرفة.. تطوف ببطء حول الجسد الراقد عليه (على الفراش) قبل أن تنحدر نحوه

بنعومة.. ثم تغوص خلال جزيئات السيل الحيوي الخاص به“.

”بالنسبة إلى الدكتور أوبرايان، توصل العلماء إلى أنَّ التلاحم الذي تم بين سياله الحيوي، والطاقة النفسية المنفصلة عن التيار الكهربائي (والتي هي في الأصل جزء من السيل الحيوي الذي تم انتزاعه من إحدى عينات الاختبار البشرية).. هذا التلاحم هو السبب في حالة الهياج التي أصابته والرؤى التي يراها.. تلك الرؤى التي هي عبارة عن ذكريات مطبوعة على الطاقة النفسية التي غزت كيانه“.

كمال فودة

بحلم يا صاحبي يكون لنا..
حجيحة صافية ف عمرنا..
بحلم بعالم فيه جُلُوب..
بريئة دافية تَصْمِنَا..

الكلمات تنبعث من السماعات المتصلة بالـDVD player.. وتكاد
موجاتها الصوتية تتداخل مع سحب الدخان السابحة في فراغ الغرفة..
العينان شاردتان تحدقان في اللا شيء.. وكأنهما تخترقان ظلام الغرفة إلى
خارجها، حيث يتألق القمر الفضي كامل الاستدارة غامرًا صفحة البحر
بضوئه البارد المنعش.

الشفتان تطبقان بقوة على سيجارة ملفوفة بإتقان.. تسحبان نفسًا
طويلاً.. يتوهج طرف السيجارة في ظلام المكان.. لحظة من السكون..
ثم تنبعث سحب الدخان ببطء من فتحتي الأنف..
الجسد مسترخٍ على الفراش.. عارٍ من أي ملابس.. ساكن تمامًا وكأنّه
جزء من الفراش.. اللهم إلا من حركة ميكانيكية ترفع الجوان إلى الفم
ثم تخفضها.

حركة خافتة ندت من الجسد الراقد بجواره.. الجسد الأنثوي الضئيل
المتكور على نفسه وقد شدت صاحبتة الملاءة البيضاء حول نفسها
بأصابع مقلية أظافرها الطويلة باللون الأسود، وانتفشت خصلات

شعرها القصيرة حول رأسها.

انتبه.. التفت يرمقها وقد أولته ظهرها.

- صاحية؟

لم ترد.. ظلّت تحدق بعينين متحجرتين محاطتين بالهالات السوداء
في نقطة واحدة من الفراغ، وعاد هو بدوره إلى شروده والأنفاس التي
يسحبها من سيجارته الملفوفة.

عالم جدييد..

يمكن بعبييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

أزاحت الملاءة البيضاء من حول جسدها، نهضت ببطء.. قدمها
الدقيقتان ذاتا الوشم والمانيكير الأسود تستقران على باركيه الأرضية
وسط علب البيرة الفارغة، وأعقاب السجائر المتناثرة.

حدّق في الخطوط المتداخلة الموشومة على ظهرها العاري.. تساءل:

- على فين؟

عالم جدييد..

يكن بعبييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

يتنفس بعرق.. يملأ صدره بالهواء النقي.. يسعل.. يسعل.
السماء صافية تمامًا.. حقًا يبدو القمر مزهواً ببهائه وسط النجوم في
مثل هذه الليلة الرائعة.
صفحة البحر الزرقاء اللامعة تمتد أمامه إلى ما لا نهاية.. أصوات
الأمواج تداعب أذنيه برقة.
يرنو إلى أسفل.. إلى قمم الأشجار الواقعة أسفل الجرف.. حتى في ليلة
مقمرة مثل هذه لا يستطيع بفعل الارتفاع الشاهق تمييز قمم الأشجار
من كتل الصخور المشرفة على ساحل البحر.
لدقائق ظل يرقب هذا المشهد الساحر.

بحلم وبهرب بالخيال..
للحب والخير والجمال..
بحلم بعالم مش مُحَال..
ييجى حَجيحة ف يدناااا..

انتبه إلى تأخرها.. أدار عينيه إلى الردهة المؤدية إلى الحمام.

- حياة!

لا رد.

- ما تنجزي يا بيبي، أنا جُعت!

لا رد.

- يا حياة!

أطفأ سيجارته في مطفأة سجائر بلورية موضوعة على منضدة صغيرة،
وتقدم نحو الردهة. يدفع الباب نصف المفتوح.

- نمتي ولا إيه؟!

وفي اللحظة التالية، انتفض قلبه في صدره وسرت رعدة قوية في بدنه
كله.

عالم جدييد..

يكن بعبييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

جسدها الضئيل مستقر وسط مياه البانيو، العينان مغمضتان،
خصلات الشعر المبتلة ملتصقة بجبهتها.. الذراع مدلاة خارجًا والدماء
تنز من جرح قطعي في المعصم صانعة بركة حمراء تتسع تدريجيًا على
سيراميك الأرضية أبيض اللون.

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

الجزء الأول

الميلاد

لقطة تليفزيونية لكوكب الأرض الأزرق اللامع يسبح في الفضاء وسط
النجوم المتألقة.

موسيقى ناعمة.

(صوت أنثوي هامس):

«الأرض».

فوتومونتاج ناعم للقطات غابات خضراء، جبال شاهقة، سهول
ممتدة، وديان سحيقة، صحارى، محيطات، أسراب من الغزلان تركض
وسط الحشائش.

«عالمنا».

فوتومونتاج سريع لمشاهد بالأبيض والأسود ثم بالألوان للأهرامات،
أسلاك الهاتف، أول قطار بخاري، سيارة كارل بنز، الحربين العالميتين، ثم
صاروخ يغادر قاعدته متجهًا إلى الفضاء.

«ماضي».

فوتومونتاج سريع لشوارع مدن عصرية حديثة مليء بحركة المارة

والمركبات، واشنطن، طوكيو، باريس، بكين، القاهرة، دبيّ، تل أبيب.

” حاضرنّا.“

فوتومونتاج للقطات لمصانع عملاقة، وغيطان خضراء شاسعة، ثم سلوموشن لأطفال جميلي ودقيقي الملامح، جنسيات وألوان مختلفة، يركضون ضاحكين بهجة وحيوية وسط حديقة جميلة المنظر، وتحت سماء زرقاء صافية.

” مستقبلنا.“

فوتومونتاج سريع للقطات نار مشتعلة في أغصان جافة، طواحين هواء تدور مراوحها العملاقة، نافورات من النفط تتفجر من رمال الصحراء، أنابيب غاز ممتدة لمرمى البصر، ثم انفجار نووي.

” الطاقة.“

فوتومونتاج للقطات رياح عاصفة تنحني لها رؤوس الأشجار، قرص الشمس، وردة زاهية الألوان تتفتح على استحياء.

” الأمل.“

مساحات شاسعة من آلاف من الصفائح والخلايا الضوئية المنتصبة بزواوية لأعلى، وتنعكس عليها أشعة الشمس.

”الحلم“.

لقطة وان شوت، تتحرك الكاميرا برشاقة داخل منزل عصري حديث، آلات التنظيف الآلية، التليفزيون ثلاثي الأبعاد، مصابيح الإنارة المسطحة، ثم تستقر الكاميرا أسرة مكونة من أب وأم وطفلين رائعي الملامح، في قلب المنزل، يواجهون الكاميرا بابتسامات مشرقة.

”الإنسان“.

(EGY-ENERGY عريضة متألثة تملاً الكادر).

”هدفنا“.

(إظلام تدريجي).

”عالم أفضل“.

الخرابة مظلمة، مخيفة، كثيبة في هذه الساعة المتأخرة من الليل.
تمشي البنت الشابة بخطوات تحاول أن تكون ثابتة.. هي تسكن في
عزبة قريبة، تفصلها عن السكة الزراعية هذه الساحة الواسعة المظلمة،
الزائخة بجبال القمامة والمخلفات التي تفوح منها رائحة روث بشعة
ألفها أنف الفتاة بالتأكيد، على عكس قلبها الذي لم يزل يخشى هذا
المشوار اليومي الذي تقطعه كل ليلة لدى عودتها من المستوصف
الذي تعمل به في المركز القريب.

ليس مبعث خوفها هو الظلام، ولا التلال عطنة الرائحة ذات اليمين
وذاات الشمال، بالطبع ثمة خوف فطري من نباح كلب قريب، أو
من الحركة السريعة التي تنبعث من آن لآخر لواحدة من العِرس أو
الجرايع التي تكتظ بها الخرابة بطبيعة الحال، ولكن كل هذه المخاوف
-في النهاية- اعتيادية، تذوب بمرور الأيام وتكرار الخبرة وبالذات في حالة
بنت ريفيّة تربت وسط الغيطان.

مبعث خوفها الحقيقي هو الضحكات الماجنة القادمة من ركن
الخرابة، ضحكات المتحلقين حول النار.

كم عددهم؟ لا تعرف.. يبدون كثيرين من بعيد.. عشرات، مئات، آلاف.. زباله من نوع آخر تفرزه يوميًا العِزْب القريبة المتناثرة حول المركز.. عيال صيَّع بلا شغلة ولا مشغلة، شمامين كُلة ووش إجرام وخريجو السجون والأحداث.. لا بيت ولا أهل لأي منهم، لذا فهم يتخذون من هذه الخرابه متزامية الأطراف بيتًا ووكراً.

القصص التي سمعتها عنهم وعن إجرامهم مرعبة، وهذا يفسر أنفاسها التي تجسها في صدرها، والخوف الذي طبع بصمته على صفحة وجهها، وخطواتها التي تجاهد مع كل صوت وضحكة ماجنة تملو من بعيد، من خلف تلال القمامة.. تجاهد لكبح جماحها كي لا تتسع وتتحول إلى ركض مصحوب بصراخ هيسيتري.. تجد السير في مسار مدروس استطاعت رسمه وتجويده شهرًا بعد شهر من المسيرة اليومية الليلية، لتتجنب الالتقاء بأي من هذه المسوخ.

مشت في خط مستقيم بين صفين من التلال، مائة متر ثم انحرفت يمينًا مع انحراف صفي القمامة.. خمسون مترًا أخرى، ثم خفضت رأسها لتعبر كوة في الصف الأيسر أدت بها إلى ممر آخر أضيق عرضًا، عبرته في أقل من دقيقة شاعرة بتوترها يتصاعد مع عبورها المنطقة الأكثر اقترابًا من تجمع المتشردين، والتقاط أذنيها أصوات ضحكاتهم وشتائمهم بوضوح.. بلغت ماسورة صرف قديمة في نهاية الممر، فكورت جسدها الضئيل وحشرته داخل فتحته، وراحت تزحف بخفة تناسب ضآلتها وسط الجسد الأسطواني المكسوة جدرانها بالصدأ والفطر خانق الرائحة، الأمر الذي لم تك تملك ترف الشكوى منه.

وصلت للطرف الآخر من الماسورة، تأهبت لتدفع جسدها دفعة أخيرة تلقي بها خارج هذا الجحيم الخانق، عندما وقعت عيناها على ما جعل قلبها يرتج في صدرها رعبًا.

في البدء ضربت رائحة الصنان النفاذة أنفها.. ثم في اللحظة التالية لمحت الكعبين المشققين المتباعدين، يتساقط من بينهما خيط رفيع من بول أصفر داكن اللون.. تجمدت في موضعها وكتمت بأصابعها شهقة تلقائية كادت تفلت من بين شفيتها، وبصرها يزحف لأعلى على سمانتين سمراوين متكورتي العضلات، ثم أطراف السروال القماشي المهترئ حائل اللون.. صاحب السروال والسمانتين وخيط البول يغني أغنية ما بصوت أجش مخمور.. ينتهي من بولته ثم يبتعد تاركًا وراءه بركة امتزجت سريعًا بالتراب صانعة طينة ذات رائحة لا تطاق.

انتظرت لدقائق أرهفت خلالها سمعها حتى اطمأنت لابتعاد صوت الخطوات، وامتزاجها بالضجة القادمة من بعيد، مالت برأسها بحذر لتطل بزاوية على المشهد خارج فتحة الماسورة، ثم دفعت نفسها لتغادر وخطت محاذرة الخوض في التراب الممزوج بالبول، لتدوس في خطوتها على حفنة من الأغصان الجافة فتكسرهما صانعة صوتًا خافتًا.

الصوت كان خافتًا بالفعل، ولكنه فيما يبدو كان كفيلاً لطرق مسامع المخمور صاحب البؤلة الذي لم تنتبه لاستلقاته على ظهره عن قرب.. فقط انتبهت عندما صك أذنيها صوته الأجش المشروخ المنبعث من الظلام القريب يردد ”مين إنتي؟“.

إنتصبت جذور شعر رأسها من فرط الرعب وهي تلتفت بحركة حادة إلى مصدر الصوت لتحقق في العينين المتسعيتين اللتين غزت صفارهما أوردة حمراء كثيفة، والشعر المفلفل، والوجه الأسمر المتسلخ.. لحظة واحدة استشعرت خلالها حقيقة أن الكابوس قد تحقق، ثم أطلقت ساقها للريح.

قدماها الدقيقتان تمانان الأرض الغارقة في الأحوال والزبالة وروث الماشية مسًا.. تركض وتركض وهي تكتم الصرخة في حلقها، والدموع تندافع في عينيها.. تثب لتجتاز كومة من الفضلات.. تطأ جثة جرد منتفخة.. تضغط على أسنانها.. لا تلتفت خلفها، ولكنها تشعر بأقدام تعدو في إثرها.. أقدام ثقيلة جشعة.. تركض وتركض.. تتركز كل طاقتها وإرادتها في ساقها.. تختفي أصوات الكون من حولها، اللهم إلا صوت دقات قلبها.

تركض.. تركض..

تنحني..

تثب..

تناور واحدة من أكوام الفضلات..

تركض وتركض..

تلوح لها فرجة من بين أكوام القمامة.. فرجة تعرف جيدًا أنها تؤدي إلى الطريق التراي الذي تقع عزبتها في نهايته.. الأمل يغزو قلبها.. عزبتها الحبيبة.. أحضان أمها العجوز.. أخواتها الصغار.. الـ...

كان هذا آخر ما فكرت فيه قبل أن تتعثر وتسقط على وجهها.

وفي اللحظات التالية كانت تختنق تحت ضغط الأجساد التي انهالت

عليها .

كم كان عددهم؟! لا تعرف طبعًا، ولم يخطر على بالها أن تسأل نفسها.. مشاعرها كانت موزعة بالتساوي بين الصدمة والرعب الحيواني والألم العنيف.

لم تكّ واقعة أو تحرش أو اغتصاب.. كانوا ينهشونها بالمعنى الحرفي للكلمة.. الأصابع والأظافر والأسنان والقضبان تنتهك كل ملليمتر من جسدها.. أصوات متداخلة تملأ أذنيها بين زمجرة وفحيح ولهات وشتائم.. تشعر باختناق وضغط شديد يحطم ضلوعها، تعجز عن التنفس وقد فقدت إحساسها بنصفها السفلي الذي فشخت الأذرع ساقيه، وتناوبت القضبان على المهبل بعنف مجنون، الواحد تلو الآخر.. الأظافر تمزق ظهرها وساعديها وبطنها، الأصابع تمزق خصلات شعرها، تشدها من ثدييها، ويندلع فيهما ألم حارق جعلها تصرخ من أعماقها عندما عضها أحدهم فقمض حلمتها.. ثيابها؟! تمزقت بالكامل في أول ثلاث ثوان.

ما بين الدم والدموع والآلام المبرحة والأنفاس المكتومة تمت من الله أن تموت حالاً.

فقدت الإحساس بالزمان والمكان وبالوجود.. لذا فلم تسمع الصرخات.. لم تشعر بالاضطراب المحموم الذي ساد جموعهم. كانت تختنق تحت ما لا يقل عن عشرة أجساد، فلم تر الأجساد الأخرى وهي تنفض وتتبعثر برعبٍ شديد.

لم تسمع أصوات الفحيح المصاحبة للطلقات المخدرة وهي تغادر فوهات البنادق، تشق الهواء، تنغرس في أجساد مئات الأجساد الفائرة فتسقطها جثثًا هامدة على أرض الخراب.

الأجساد العشرة التي تنهشها تُنتزع من عليها انتزاعًا، ولكنها لا تشعر..

يتساقطون من حولها، ويظهر من ورائهم جندي مدجج السلاح، متشح بالسواد، وجهه مغطى بالكامل بقناع أسود، يقبض على بندقيته بين أصابعه.. آخر هؤلاء الحيوانات العشرة ينتبه لتساقط رفاقه كالذباب، يعتدل ليرى المشهد غير المتوقع.. المئات من عشيرته متناثرون جثثًا ساكنة في الأرجاء، والعشرات من المسلحين المقنعين المتشحين بالسواد يطاردون من تبقى منهم بين تلال القمامة، وأحدهم -أقربهم إليه- يسدد فوهة سلاحه نحوه هو شخصيًا.

زمر، انقضض عليه، تفادى المقنّع انقضاضه برشاقة، وأدار كعب بندقيته ليهوي به على وجهه ليسقطه أرضًا.

لم تر جسد المقنع وهو يتصلب إذ يحدق من وراء منظار الأشعة تحت الحمراء، في جسدها الممزق الذي غطته الدماء وملأته الخدوش. نقل بصره إلى جسد الحيوان الممدد أرضًا، ثم أعاد الكرة بكعب بندقيته.. هوى بها على وجهه بكل قوّته، مرة واثنين وثلاثة، عشرة، حتى غطته الدماء.. دفن حذاءه العسكري الثقيل في كليته، في رأسه، في منتصف عموده الفقري.

انتبه له أحد زملائه من ذوي الأقنعة، فاتجه نحوه بخطوات واسعة.. جذبه من ساعده، ليتبادلا معًا نظرة طويلة من خلف قناعيهما، دفعته لأن يسترد ذراعاه، يختم "العُلقة" بطلقة مخدرة استقرت في مؤخرة عنق الجسد المهشم، الممدد على الأرض.. ثم ركلة وداع أخيرة. ولكنها لم تشعر.

لم تشعر به وهو يتحسس نبضها، ثم يميل عليها لينصت إلى صوت تنفسها والأنين الضعيف المنبعث من بين أسنانها.

لم تر الأنوار الساطعة التي هبطت من السماء في قلب الخرابة، مثيرة

عواصف من ترابها.

وبالتأكيد لم تحس بالإبرة المخدرة التي انغرست في عنقها، وأطفأت وعيها تمامًا، ثم بنفسها وهي تُحمل حملًا بين ذراعيه المفتولتين.

استغرقت عمليات المطاردة والقنص وجلب وتعبئة الجثث المُخدَّرة ما لا يزيد عن الساعتين، توزعت بعدها مئات الأجساد الموثقة بإحكام على طوافتين ضخمتين حالكتي السواد متوقفتين في مساحة من الخرابة خالية نسبيًا من أكوام القمامة.

تحرك الجنود بعدها في روتينية، فاحتلوا أماكنهم المعتادة في الطوافتين اللتين امتزج أزيز محركاتهما بهدير مرواحهما التي أثارت عواصف جديدة من الغبار، وهما ترتفعا عموديًا بنعومة عن الأرض.

خلع المُقنَّع الذي أنقذ الفتاة الشابة قناعه ذا منظار الأشعة تحت الحمراء، مسح بأصابعه تقاطيع وجهه الثلاثيني القوية، ورأسه الذي زحف عليه الصلح.. أخرج علبة سجائر من جيب زيه الأسود، سحب منها واحدة دسها بين شفتيه، وهو يتطلع عبر النافذة إلى الأرض التي تبتعد وتذوب في ظلام الليل.. سأله زميله الجالس إلى جواره (نفس المقنَّع الذي دعاه ليتوقف عن ضرب المتشرد قبل دقائق) وهو يخلع قناعه كاشفًا عن وجه أربعيني مليء بالتجاعيد:

- البنت عايشة؟

نفث دخان السجارة وأجاب باقتضاب:

- تقريبًا.

حلقت الطوافتان في السماء المظلمة على ارتفاع متوسط، وفي مسار محدد سلفاً مدروس بدقة.. ابتعدتا عن دلتا النيل باتجاه الجنوب، ثم انحرفتا فوق بنى سويف غرباً بزاوية حادة، وطارتا بسرعة ضعف سرعة الصوت فوق رمال الصحراء الغربية.. تجاوزتا الواحات وسط ثرثرة لا سلكية لا تنقطع بين طياريهما وجهة إرشادية ما.

شيئاً فشيئاً بدأت تتضح أضواء المبنى العملاق الجاثم في قلب الصحراء.. كتل خرسائية ممتدة على مساحة شاسعة من الصحراء، أميال من الأسلاك التي تربط عدداً من الأبراج المعدنية، وكل هذا محاط بسور خرساني شاهق بارتفاع تسعة أمتار، تعلوه ثلاثة أمتار أخرى من الأسلاك الشائكة، ويتوزع عليه بانتظام عدد من أبراج المراقبة.

عبرت الطوافتان الأسوار، وبدأتا في الدوران حول نفسيهما، ثم الهبوط رأسياً ببطء في المهابط المخصصة لهما.

بمجرد أن استقرتا على الأسفلت الناعم الممهّد، انفتحت الأبواب وبدأ الجنود في المغادرة ليختلطا بعشرات الفنيين في أزياء موحدة برتقالية اللون تحمل على الجيب العلوي حربي E.N. واضحين، تحركوا بخطوات نشطة منظمة، وبدؤوا في إخراج الأجساد المخدرة الموثقة من قلب الطوافتين، وتوزيعها على عربات صغيرة ذات صناديق خلفية.

سار قائد الجنود (المقنع الأربعيني) بخطوات متثاقلة، ممسكاً بسيجار مشتعل بين أصابعه، وقد ثبت سلاحه إلى ظهره، رفع يده بالتحية

العسكرية إلى عساكر الحراسة شاي السلاح الَّذِينَ توزعوا بانتظام حول مهبطيّ الطوافتين، واتجه إلى رئيس وردية الفنين الذي وقف عن قرب يراقب عملية التفريغ بعيني صقر، صافحه بإرهاق محيياً، فرد عليه رئيس الوردية تحيته، ثم أردف مبتسماً:

- الصيد ما شاء الله كويس الليلة يا كابتن خالد.

نفث الكابتن خالد سحابة من دخان السيجار وهز رأسه قائلاً برضا:

- الحمد لله، صور القمر الصناعي كانت دقيقة.

ومد يده نحوه بشريحة دقيقة مستطرداً:

- دا ريپورت العملية.

تناول رئيس الوردية الشريحة، فدهسها في لوح التابلت الذي يمسك به، وراقب أرقامها وبياناتها وهي تنساب إلى داخله ومتمم:

- عظيم.

هز الكابتن خالد رأسه مرة أخرى ثم ابتعد متجهاً نحو أحد المباني القريبة وهو يبادل من يصادفه التحية، استقل مصعداً وسط عدد من رجاله، أضاء مصباح صغير بلونٍ أخضر بما أشار لتعرف كمبيوتر المصعد على بصماتهم الحيوية المسجلة في ذاكرته (الأمر الذي تكرر عند مدخل المبنى كإجراء أمني، وإلا ما سُمح لهم بالدخول أصلاً) وراح الرجال يتبادلون الدعابات من حول قائدهم وهو صامت مكتفٍ بابتسامة خفيفة على شففتين رفيعتين قاسيتين.. هبط المصعد ثلاثة طوابق تحت الأرض، ثم انزلق بابُه بنعومة كاشفاً عن ممر قصير مضاء جيداً بأضواء بيضاء ذاتية ، غادروه جميعاً إلى قاعة ضخمة مليئة بحركة محمومة من عشرات الأشخاص في أزياء متنوعة بين أزياء الفنين البرتقالية ومعاطف الأطباء البيضاء وأردية الحراس السوداء، بالإضافة إلى عدد

كبير من المهندسين والموظفين الموزعين بين عدد من الشاشات مختلفة الأحجام.

اتخذ الكابتن خالد مسارًا مغايرًا لرجاله، وقبل أن يتعد التفت كمن تذكر شيئًا، نادى:

- وليد.. شادي.. مصطفى.

ارتد الثلاثة منفصلين عن زملائهم، عائدين إليه، أدار بصره في وجوههم متسائلًا:

- أومال فين رابعكم؟.. فين زين؟!

تبادلوا النظرات للحظة قبل أن يهزوا أكتافهم.. قال مصطفى:

- آخر مرة شوفته كان ف الطيارة.

شكرهم خالد باختصار ثم استدار مكملًا طريقه نحو كابينته، أغلق بابها خلفه، وتخلص من ثيابه العسكرية السوداء، فضها مع سلاحه جانبًا، وأخذ دشًا سريعًا في الحمام الجانبي الصغير، خرج منه يتقاطر الماء من جسده الذي غطى نصفه السفلي بمنشفة بشكيرية عريضة، ثم أشعل سيجارًا سحب منه نفسًا عميقًا نفث دخانه باستمتاع.. فتح علبة مياه غازية باردة استخرجها من ثلاجة صغيرة مجاورة..

..T. V. -

أضاءت شاشة التليفزيون المجسم، استجابةً لأمره الصوق الذي وجهه لكمبيوتر الكابينة، واسترخى هو على فراشه الصغير يدخن ويرشف الكولا الباردة، ويتابع المحطات التليفزيونية المتتالية على الشاشة المجسمة، وشيئًا فشيئًا بدأ جفناه يتثاقلان وكاد يستغرق في النوم، عندما ارتفع أزيز رتيب انتزعه انتزاعًا من سنته.

اعتدل جالسًا وحدق للحظة في الرقم المرتسم على شاشة الهاتف

المجاور لفراشه.. أمر بالإيجاب، فتكونت صورة هولوجرامية مجسمة لرئيس الوردية:

- آسف للإزعاج يا كابتن خالد.

- ولا يهملك يا رشدي.. خير؟

- العدد الإجمالي الي تم حصره بعد عملية التصنيف والتوزيع أقل من العدد الموجود في الريبورت الي اتسجل في موقع العملية.
عقد خالد حاجبيه متسائلاً:

- أقل بأد إليه؟!

- بطارية واحدة.

- راجعت أكواد الصيادين على كل بطارية؟

- الأكواد سليمة والأعداد مضبوطة ما عدا عدد بطاريات الكابتن زين.
- زين!

- عدد البطاريات الي عليها كود الكابتن زين أقل من العدد المسجل باسمه في موقع العملية.
- سألته طيب؟

- حصل يا كابتن، وقالي إن البطارية المفقودة ماتت قبل عملية الحصر.

ضاقت حدقتا الكابتن خالد وهو يسأل:

- ماتت إزاي؟!

- صدمة عصبية بسبب التعرض لعملية تعذيب واغتصاب جماعي.

- ابعثلي تقرير التشريح من فضلك.

- دقايق ويكون عندك.

- شكرًا يا ر شدي.

- في خدمتك يا كابتن.

ومع تبدد صورته المجسمة، عاد خالد ليستلقي على فراشه، وإن لم يغمض عينيه.. ظلتا متسعتين مسطتين على الألواح البيضاء التي تغطي السقف.

- الاسم الرباعي؟
- يوسف محمد احمد شهاب.
- الوظيفة؟
- رئيس وردية التنظيم رقم 2 بالمزرعة 8B-EN-SE - أبو رواش.
- هل كنت موجودًا بمقر عملك في اليوم؟
- أيوه، كنت موجود.
- هل تزامن shift بتاعك مع الحادث اللي جرى في ذات التاريخ وبالتحديد الساعة 1:35 صباحًا؟
- مش بالضبط، بس أنا بالصدفة شوفت الحادث بعيني.
- إحكي لِلجنة شهادتك الكاملة عن الأحداث اللي جرت في التاريخ والساعة المذكورين.

كل ما يمكن أن أعد حضرات الباشاوات أعضاء اللجنة به، هو أنني سأقّص ما أعتقد أنني رأيته بعيني، وهو ما لا أكاد أصدق حتى هذه اللحظة.

التحقت بالعمل في Egi- Nergy قبل خمسة عشر عامًا بالتمام والكمال.. استغرقت قبلها عامًا كاملاً في الخضوع للاختبارات والتحريات،

وعامًا آخر للتدريبات، بعدها بدأت عملي في سلك التنظيم حتى وصلت إلى مركز رئيس وردية.

قسم التنظيم هو قسم وسيط يقع بين قسم التوريد وقسم التشغيل.. تتلخص طبيعة وظيفتي الحالية في الإشراف على سير العملية الإنتاجية منذ لحظة عبور البطاريات الجديدة لأسوار المزرعة، مرورًا بحصرها وتصنيفها وتوزيعها ومتابعتها طبيًا وبيولوجيًا، وحتى تسليمها لقسم التشغيل.. المسؤولية ليست بسيطة لأن البطاريات ثمينة جدًا، وخسارة بطارية واحدة كفيلة بخسارتي عملي إن لم يكُ ما هو أسوأ. يساعدني في عملي مساعدين اثنين يرأسان عددًا من الفنيين، والعمل كله يتم من خلال لائحة تشتمل على عدد من الإجراءات أحفظها ورجالي عن ظهر قلب، والتأكد من أدائها كفيل بإنهاء العمل على خير ما يرام.. كلما زادت أعداد البطاريات زادت المسؤولية الملقة على عاتقي، ولكن مع الوقت والممارسة تتحول العملية لمحض روتين تتم ممارسته بشكل آلي.

في هذه الليلة كان الوارد متوسطًا.. بضع عشرات من البطاريات عاد بهم الصيادون من إحدى قرى الجنوب.. وصلت الحملة قبيل منتصف الليل بدقائق، جاءني الإخطار من مركز المراقبة، فاستدعيت فريقتي وهبطنا لاستقبال الطائرات العائدة بالبطاريات الثمينة.

حتى الآن يا حضرات الباشوات، لا أذكر أنني رأيته أو انطبعت ملامح وجهه في ذاكرتي، سواء عند المعاينة الميدانية (غالبًا ما يقوم بها مساعداي، ولكنني فعلتها بنفسني تلك الليلة كسرًا للملل) أو مراجعة تقرير كل حالة أثناء الحصر، استعدادًا لتقديم تقرير نهائي يتم بناءً عليه تسليم البطاريات لقسم التشغيل.. فيما بعد -بعد الحادث أقصد-

عدت إلى تقرير هذه البطارية على الكمبيوتر، وتفرست في صورتها. ملامح عادية، وأقل من العادية.. وجه أسمر نحيف، شعر أسود كث، زغب قليل يعلو شفتين غليظتين.. العينان نصف مغمضتين بفعل المخدر (وقت التقاط الصورة) فلم أتبين لون حدقتيهما.. وبالعودة إلى تقرير قسم التشغيل قبيل دقائق من بدء تشغيله، شاهدت لأول مرة صورة واضحة مكتملة له.

تم تسليم الشحنة نهائيًا لقسم التشغيل قبل ثلاثة أيام من الحادث.. متوسط الفترة التي تقضيها البطاريات بحوزة القسم قبل تشغيلها قد تصل إلى أسبوع بين متابعة وعلاج وتغذية، ولكن الذي حدث هذه المرة أنَّ التشغيل بدأ بعد ثلاثة أيام فقط، وهو أمر يتكرر أحيانًا عندما يشتد الطلب على منتجات الطاقة.. وما عرفته فيما بعد أنَّ أوردت عاجل بطلبية ملحمة وصل قبل يوم واحد من إحدى المجموعات الاستثمارية العملاقة التي تعمل في تصنيع الصلب.

كل هذا خارج عن نطاق عملي الذي ينتهي بتسليم البطاريات لقسم التشغيل، كما سبق وأوضح لـ حضراتكم.. وسمحت لنفسى أن أبحث في بيانات صاحب البطارية بسبب الحادث.

علاقتي بالحادث جاءت بمحض الصدفة.. كنت أسير (وقد أنهيت عملي قبل قليل) في الممر العريض الذي يربط بين قسم التنظيم وقسم الإعاشة، سعيًا وراء دش ساخن ووجبة شهية في الكافيتريا ثم ساعات من النوم استعدادًا للـ shift القادم.

الممر محاذٍ لممر آخر يعبر فوق واحدة من قاعات الماكينات التي تسحب الطاقة الحيوية من البطاريات.. هذه القاعات مبطنة وعازلة للصوت تمامًا، الأمر الذي أصابني بالدهشة عندما سمعت أصواتًا قادمة

من الجدار المجاور.

توقفت أحدى مندهشاً في الجدار.. تلفتُ حولي، أنا وحدي بالممر..
اقتربت من باب طوارئ موصد بالحائط، ملتُ بجسدي، ألصق أذني به.
لا شك بهذا؛ هناك صوت ما، لا أستطيع تمييز طبيعته.. وهو بالمناسبة
يعلو بوضوح، يقترب.

تراجعت شاعراً بالخوف.. اتجهت نحو الهاتف المثبت إلى علبة من
البلاستيك الشفاف أحد جداري الممر.. فتحت العلبة ومددت سبابتي
إلى الشاشة الرقمية، عندما دوى الانفجار.

لا، لم يكن انفجاراً.. كان دوي باب الطوارئ، إذ انفتح بعنفٍ شديد،
وعبر منه جسد مألوف ميّزت فيما بعد أنه جسد رئيس فنيّ التشغيل
بالوردية.. عبر بسرعة خاطفة ليرتطم بالحائط المقابل لفتحة الباب..
يسقط أرضاً ثم ينهض ليركض مبتعداً عبر الممر، وحجرتة لا تكف عن
الصراخ.

حدّقت بخوف في فتحة الباب، التي بدأت تتخلل أنوار النيون داخلها
سحب من الدخان مصحوبة برائحة شياطين.

الآن أسمع بوضوح صرخات الرعب القادمة من أسفل.

ثم سمعت هذا الصوت.

سرت القشعريرة في جسدي.. الصوت واضح هذه المرة.

زمجرة.

فركت عينيّ اللتين امتلأت مقلتيهما بالدموع بسبب سحب الدخان،
وحددت في الجسد الداكن الذي عبر الباب المفتوح قادماً من داخل
قاعة الماكينات.. ضخم.. أسود.. يسير بتمهل وثقة على أربع، جازاً وراءه
ذيلًا كثًا.

حاولت أن أكتنم الشهقة بأصابعي، ولكن صوتًا خافتًا أفلت مني،
جعله ذلك الكائن الذي أفكر الآن أنه كان كلبًا أسود عملاقًا يدير رأسه
المدبب نحوي، ويرمقني بعينين قانيتي الاحمرار، ولعاب كثيف يسيل
من بين أنيابه مرعبة المنظر.

كلب أسود! هنا!

للحظات امتلأ قلبي برعب هائل، وفقدت السيطرة على مثانتي وأنا
أغوص في كأسَي الدم اللذين يملأ عينيَّ هذا الوحش، قبل أن يستدير
مكتملاً طريقه عبر الممر المؤدي إلى قسم الإعاشة، ويلف الظلام وعيي
فأفقدته.

- الاسم الرباعي؟
- أحمد صفوت عبد المولى طلبية.
- الوظيفة؟
- طبيب نوبتجي بالوردية رقم 2 بالمزرعة 8B-EN-SE - أبو رواش.

ما رأيته لم يكُ كلبًا أسود يا حضرات.. كان alien!
صدقوني، أنا لا أهدّي، لا أعاقِر الخمر، ولم أتعاط أي نوع من المخدرات
طيلة حياتي، وتقاريرِي الطبية تشهد على صحة كلامي.

الذي حدث أن الأوردر جاء بتشغيل هذه المجموعة من البطاريات بعد ثلاثة أيام فقط من دخولها قسم الإنتاج، وهو أمر يحدث في بعض الأحيان عندما تأتي طلبية عاجلة، من دون سابق حذر.. قام الرجال بنقل البطاريات من عنابرهم إلى العيادة، حيث قمت بقياس معدلاتهم الحيوية والتأكد من جهوزية سيالهم الحيوي للتشغيل.

في العادة لا أتعجب مع أسئلة البطاريات إلا بأكليشيهات مطمئنة تعودنا أن نحفظها بخصوص ما نفعله بهم من فحوصات وحقن لمواد مجهولة.. طبعًا لا أخبرهم بأن هذا السائل وردي اللون الذي أحقنه في أوردة أذرعهم هو رحمة السماء بهم، وأن هذه التكنولوجيا التي حُرِمَ منها أسلافهم طيلة خمس عشرة سنة الأولى من عمر مشروع Egy-Nergy ستفصل وعيهم وترحمهم من الإحساس بالآلام المروعة المصاحبة لتقطيع أوصال أجسادهم داخل الماكينات لانتزاع طاقتهم الحيوية.. هذا العقار القنبلة الذي أحدث نقلة في عمل المشروع، ودفع حكومات عديدة (فيما تسرب إلينا من أنباء) لتبني المشروع.

هذه البطارية بالذات، موضوع الحادث، لم تسأل.. لم تثرثر.. لم تستفسر عن طبيعة السائل الوردي الذي حقنته في عروق ذراعها البارزة.. كان مستسلمًا تمامًا، فلم أنتبه له إلا والحارس يسحبه من ذراعه.. رفعت عيني أنظر إليه سريعًا بينما أصابعي تتحرك بسرعة وروتينية على الشاشة التاتش المجسمة أمامي، لتستكمل الريبورت قبل قدوم البطارية الجديدة.. نظرة خاطفة، خطر لي بعدها أن هذا البنيان المتهالك لن يصمد طويلًا داخل الماكينة، وأنه لولا الحاجة، لكان أولى بنا أن ندعه يستكمل برنامج تأهيله البدني والغذائي قبل تشغيله.

اكتمل التقرير على الشاشة أمامي بتعرف الكمبيوتر على بصمته (بصمة البطارية) الحيوية.. ألقيت نظرة سريعة على البيانات والصورة

المجسمة التي حملت وجهًا شابًا لم يتجاوز صاحبه عقده الثاني..
تثاءبت وأنا أضغط save مجسمة، ثم ضغطت زرًا مجاورًا لي كي تدخل
البطارية التالية.

لا أعرف كم مر من الوقت لأنني استغرقت بالكلية في عملي، نظرًا
لضيق الوقت وإلحاح الإدارة على سرعة تلبية الأوردر.. فقط انتهت
لأزيز الهاتف، ضغطت زر الإيجاب، فتكونت أمامي في الفراغ صورة
مجسمة لزميلي الباشمهندس يحيى.

- الاسم الرباعي؟
- يحيى إبراهيم عبد الحميد حسان.
- الوظيفة؟
- مهندس تشغيل بالوردية رقم 2 بالمرعة 8B-EN-SE - أبو رواش.

كان عنكبوتًا عملاقًا أسود اللون! أنا متأكد من هذا كما أنا متأكد
من مثولي الآن أمام اللجنة الموقرة.
طرق الدكتور صفوت باب حجرتي ثم دلف من دون أن ينتظر إجابة،
نظر إليّ بوجه متوجس وتساءل:
- خير يا باشمهندس؟!

أشرت له ليتقدم وأنا أقول:

- مشكلة غريبة.

تقدم ليجلس على المقعد المقابل لمكتبي، حركت أصابعي لتستدير الشاشة الهولجرافية المجسمة نحوه وقلت:

- دي البطارية رقم (...).

تأمل الداتا المرتسمة بحروف مضيئة في الفراغ، ألقى نظرة على التاريخ والساعة ثم تساءل:

- دي المفروض دخلت التشغيل من نص ساعة، مش كده؟

- مضبوط.

- فين المشكلة؟

حركت كفي أفقيًا فتلاشت صفحة البيانات من على الشاشة الهولجرافية، وحل محلها رسم بياني.

-المشكلة إنه مفيش حاجة..

رفع حاجبيه مرددًا بدهشة:

- مفيش حاجة!

- مفيش أي باور.

- مفيش باور إزاي؟! تقصد مات يعني؟!

حركت كفي مرة أخرى لتتقسم الشاشة إلى قسمين، قسم تظهر عليه أرقام المعدلات الحيوية، والقسم الآخر بث حي من داخل الماكينة.

- لا مامتش.. ومعدلاته الحيوية نموذجية، وبرنامج استخراج السيل الحيوي شغال بكفاءة، بس مفيش إنتاج.

حدّق مذهولاً في الجروح البشعة التي أحدثتها أذرع الماكينات في جسد البطارية، وعداد الباور الذي لم يكد يبتعد عن الصفر حتى يقفز عائداً

إليه.. ثم رفع عينيه ونظر عبر زجاج النافذة إلى صفوف مقصورات
ماكينات استخلاص السعال الحيوي المترصة بالمئات على الجهة المقابلة
لغرفة مكنتي.. همس:

- إزاي ده؟!

قلبت كفي وأنا أقول:

- مش عارف! دي أول حالة من نوعها، فحببت أسألك.

نقل بصره من الشاشة إلى وجهي مردداً:

- تسألني؟

- أنا قرئت الريبورت بتاعك، والبروسيدجز اللي إنت مشيت عليها.

- تمام.

- فيه أي عامل طبي أو بيولوجي ممكن يكون سبب في الـ case دي؟

ظل صامتاً للحظات كست خلالها وجهه علامات تفكير عميق، قبل
أن يهز رأسه قائلاً:

- صعب أحدد دلوقتي.. الـ case ؛ واضح إنها more than complicated
من إني أفسرها وأنا قاعد هنا.

- والحل؟!

قال بحسم:

- دي مشكلة أكبر مننا.. أوقف التشغيل حالاً وابعت إيميل بالتفاصيل
للـ HeadDepartment.

ارتفع صوت أزيز مزعج في هذه اللحظة، وصاحبه إضاءة مصباح
الطوارئ أحمر اللون.. تبادلنا النظرات الشاحبة، وأسعرت أضغط زر
الانتركوم، تجسدت أمامي صورة هولوغرافية لرئيس الفنيين وهو يهتف

بوجه ممتع:

- فيه مشكلة ف الماكينة يا باشمهندس!

هرعنا إلى الخارج حيث سادت حركة مرتبكة بين الفنيين، وتوقفنا أمام البوتقة التي تحمل رقم البطارية صاحبة ذات المشكلة، وحدقت بدهشة في سحب الدخان التي بدأت تتسرب من داخلها من وراء الباب الموصل إلكترونياً.

- إيه ده يا عزيز؟!

أجاب بلهجة موشكة على البكاء:

- والله ما أعرف يا باشمهندس! البطارية دي عليها عفريت أصلاً، مفيش باور خارج منها، وأدى الماكينة كمان بوظتها.
نظرت إلى خط سير برنامج الاستخلاص على الشاشة الصغيرة المجاورة للباب، وفتحت فمي لأقول شيئاً عندما حدث شيء رهيب.

- الاسم الرباعي؟

- عبد العزيز رافت محمد عبد العزيز.

- الوظيفة؟

- رئيس فنيين التشغيل بالوردية رقم 2 بالمزرعة EN-SE 8B- أبو رواش.

المكان كله راح يرتج يا حضرات الباشاوات.. كأن مسًا من الجان
أصاب كل شيء..

الماكينات.. الأجهزة.. الكراسي والتراييزات.. الشاشات.. مؤشرات
العدادات راحت تتقاذف بجنون.

ثم تلك الصرخة العاتية.

- شهقنا وتراجعنا جميعًا متخبطين في رعبٍ هائل.

تجمدت عيناى على باب البوتقة التي تضم البطارية رقم (...).

الباب المصنوع من الفولاذ راح يهتز كورقة، سمعت صوت طقطقة
مفاصله، ثم رأيت بعيني هاتين، أطرافه تنثني.. تتجعد.. ثم لم يلبث أن
-والله العظيم ثلاثًا- ذاب كقالب من الزبد.. ثوانٍ قليلة بدت لي كدهرٍ
كامل، ثم خلت فتحة البوتقة من أيِّ حواجز تحجب ما بداخلها.

وفي اللحظة التالية، انفجرت مصابيح النيون كلها، وامتزجت الشرارات
بشظايا الزجاج في الهواء.

كان دويًا هائلًا، ساد بعده ظلام دامس، رحنا جميعًا نصرخ بعزم ما
فيينا، وقد أُلصقنا ظهورنا بجدران القاعة.

من وسط صراخنا، ميزت بوضوح صوت خطوات على مقربة مني.
خطواته.

خطوات الشيطان الذي خرج من البوتقة!

لا يا حضرات، أنا لا أبالغ ولا أهذي والله.. لقد رأيته رأي العين في
ضوء كشاف المحمول الذي أضأته بأصابع مرتعشة محمومة.

كان غولاً حقيقياً كما نقلت لنا حكايات الآباء والأجداد.

جسد عملاق، مفتول العضلات، أسود اللون كقلب الكافر، العينان

جمرتان من النار، وثمة بخار يندلع من منخاره.. أما الساقان، فساقا
ماعز.. وقبل أن تنفجر شاشة التليفون، لمحت الأرضية المصنوعة من
القنالتكس تذوب في موضع خطواته.
زحفت مبتعدًا بحركات متشنجة، ثم نهضت وهولت متجهًا نحو
السلم المعدني المؤدي إلى أعلى.

. Enough -

خرجت حاسمة قاطعة من بين الشفتين الرفيعتين المحاطتين بشارب منمق ولحية أنيقة وخطتهما شعيرات بيضاء زادت هما أناقة لآدم المصري، المدير الإقليمي للمجموعة، ومالك الحصة الأكبر من أسهم Egy-Nergy.. وعلى الفور، وبنعومة، تبذرت الصورة الهولوجرامية المجسمة لعبد العزيز رافت عبد العزيز رئيس الفنين وهو يدلي بشهادته أمام لجنة التحقيق.. والتفت في بذلة سوداء أنيقة يواجهه الوجوه الهولوجرامية لشركاءه الخمسة.

- كلب أسود، alien، عنكبوت عملاق، وغول.

نطق "غول" كما نطقها نحن بالعربية، تساءل الشريك الصيني بالإنجليزية عن معناها.

It means some kind of a monster -

واعتدل مستطردًا بذات الانجليزية:

-هذه عينة من بين مجموعة من شهادات العاملين الذين شاهدوا الحادث وقت وقوعه.. كلهم تقريبًا اتفقوا على تفاصيل ما جرى، حتى نقطة معينة اختلفت بعدها رواياتهم.. الرواية الموحدة هي جلب البطاريات، ومن بينها البطارية موضوع الحادث، وإعدادها وفقًا للبروسيدجر المعتمدة باللائحة، إدخالها للماكينات، ثم تعطل الماكينة التي تشغل البطارية إيها.

تساءل الشريك الفرنسي:

- ومن بعدها اختلفت الروايات؟

- بالضبط مسيو ريهون.

- كل الروايات؟!

- يمكننا القول بلا خطأ كبير إن كل رواية جاءت مستمدة من ثقافة صاحبها، أفكاره، مخاوفه، ومن الطبيعي أن تتشابه روايات لأفراد منتمين إلى نفس البيئة والثقافة.

قالت الشريكة الأمريكية واضحة ساقاً على ساق:

- وأين الحقيقة وسط كل هذا؟

حدجها آدم بنظرة محايدة وقال:

- الحقيقة هي ما سجلته كاميرات المراقبة.

ومع آخر حروف كلماته ساد الظلام، تكونت في الفراغ، في قلب القاعة، صورة هولوغرامية مجسمة لقاعة الماكينات من منظور عين الطائر، بما يشير إلى أنها مُلتقطة من كاميرا مثبتة بأعلى الجدار.

تركزت أعين الجميع على الفيديو المجسم.. ثمة هرج ومرج واضحين في حركة الفنين من حول بوتقة الماكينة التي تضم البطارية إياها.. الدكتور صفوت والمهندس يحيى يصلان القاعة، يتبادل الأخير حديثاً قصيراً مع رئيس الفنين، يتجه بعده إلى كمبيوتر البوتقة، قبل أن يبدأ الارتجاج.

كل شيء يرتج، بما فيه الصورة نفسها (بما يشير لاهتزاز الكاميرا). المهندس يحيى، وبحركة متشنجة يضغط أزرار كمبيوتر البوتقة، فينتج بابها.

تتفجر مصابيح الإضاءة، ويسود الظلام قاعة الماكينات لجزء من الثانية، تنتقل بعده الكاميرا أوتوماتيكياً لنظام الأشعة تحت الحمراء.. ثمة جسد غير واضح المعالم يغادر البوتقة.

مال الشركاء الخمسة للأمام بحركة تلقائية طلباً لرؤية أفضل.. الجسد تتضح تفاصيله تدريجياً مع اقتراب مساره من موضع الكاميرا.. لم يكُ كلباً ولا عنكبوتاً ولا مخلوقاً فضائياً ولا غولاً بالطبع.. كان بشرياً.. رجل عادي نحيف الجسد، عارٍ تماماً، يمشي في الظلام بين أجساد الفنيين المرعوبين الصارخين.. بخطوات مترنحة، ولكنها -خُيل لهم جميعاً- حملت قدراً من الثقة.

صعد السلام المعدنية (في أثر رئيس الفنيين) المؤدية إلى الممر العلوي المعلق، وكأنه يحفظ طريقه جيداً.. وصل إلى باب الطوارئ الذي فتحه رئيس الفنيين في طريق هروبه الهستيري، عبره بثقة إلى الممر العريض المؤدي إلى قسم الإعاشة.

الإضاءة في الممر كانت أفضل حالاً.. ميزوا جميعاً (من الكاميرات المثبتة في الممر) بوضوح، الدماء القانية التي تغطي أغلب أجزاء الجسد.. استمر في المشي بتؤدة، ألقى نظرة على رئيس وردية التنظيم الملقى أرضاً، ثم واصل طريقه.. عَبَرَ ممرات قسم الإعاشة، وساد هرج عنيف وتعالَت الصرخات لدى مروره بين موائد الكافتريا، ولاحظوا أَنَّ الجميع بمن فيهم رجال الأمن شاكيي السلاح يتراجعون أمامه بهلع حقيقي.

الموقف ذاته تكرر بالخارج، وبالقرب من البوابة الفولاذية التي تتوسط السور الخرساني الشاهق، حاول أحد الحراس استجماع شجاعته، فشهَر سلاحه في وجه صاحب الجسد النحيف (البطارية سابقاً) هاتفاً

بشيء ما.. ثم في اللحظة التالية تلفت حوله بهلع، وأطلق النار عشوائيًا في جميع الاتجاهات. فيما بعد، تضمنت شهادته أنه راي قطيعًا من الذئاب الصحراوية تركز نحو من جميع الاتجاهات.

لحظة أمام بوابة الأفراد الملاصقة للبوابة الفولاذية الرئيسية.. لحظة واحدة انفتحت بعدها بنعومة. أقر حارس البوابة في شهادته بالتحقيق أنه اضطر إلى فتح البوابة حتى يسمح للعاملين بالمزرعة بالفرار من ألسنة اللهب التي أقسم أنه رآها تأكل كل شيء.. ثم، وبهدوء واثق، عبر الجسد النحيل فتحة البوابة، ليذوب في ظلام الصحراء.

. Enough -

تبددت الصورة المجسمة، وعاد آدم المصري يلتفت لشركائه الخمسة الذين كست أمارات الدهشة والصدمة وجوههم.. قال بهدوء:

- هذه هي (موجهًا حديثه لهولوجرام جوليا فرانكلين، الشريكة الأمريكية) الحقيقة التي سألت عنها مسز فرانكلين.

لنصف دقيقة ران صمت ثقيل على قاعة الاجتماعات الفسيحة، قبل أن يقطعه الشريك الهندي قائلاً:

- عفواً، مستر آدم.. هل هذا التسجيل حقيقي؟

غزت ابتسامة خفيفة زاوية فم آدم وهو يقول:

- حقيقي، مستر راجا.

- ولكن هذا مستحيل!

كذا ردد الشريك الفرنسي مذهولاً، فمر عليه آدم بنظرة سريعة ثم قال:

- We have a situation here -

حدّثوا فيه.

- لنستبعد المستحيل حتى نستطيع التعامل.

- لنفعل.

قالتها الأمريكية بحماس.

- بينما لم تسجل أجهزة الاستخلاص بالبوتقة أيّ طاقة تم نزعها من سيال البطارية الحيوي، سجلت المؤشرات الحيوية اختلافاً غير مألوف في طبيعة هذا السيل الحيوي.

ومع كلماته تكونت صورة هولوجرامية مجسمة جديدة في الفراغ.. الصورة رسم كروي لجسدٍ جالس على مقعد، ومن حوله هالة ذات لون أصفر خفيف.

- هذا هو السيل الحيوي الطبيعي الخاص بأي بطارية قبيل بدء عملية التشغيل.

يبدأ عداد رقمي إلى جانب الصورة في عد متسارع، ومعه يبدأ لون الهالة المحيطة بالجسد في الشحوب تدريجيّاً حتى تتلاشى تماماً، ويصاحب ذلك صفير خافت:

- تشغيل ناجح.. تم استخلاص الطاقة الحيوية من البطارية.

تعود الصورة الأولى المحاطة بالهالة الصفراء من جديد.

- الأمر مختلف قليلاً في الحادث الأخير.

يبدأ العداد الرقمي في العد.. ولكن الهالة الصفراء لا تشف أو تتلاشى، على العكس، تزداد إظلاماً، تتحول إلى اللون البرتقالي، فالأحمر القاني.

- السيل الحيوي هنا لم يستجب لمؤثرات الألم التي تعرضت لها

البطارية، بل على العكس.. يمكننا القول دون خطأ كبير (ووفقًا للدراسة التي أجرتها معاملنا على شريط تسجيل عملية التشغيل) إنَّ السَّيَال الحيوي للبطارية ازداد كثافة لو كان هذا واردًا.

ردد الصيني مندهشًا:

- ازداد كثافة!

هز آدم رأسه قائلاً:

- نعم، هذا ما سجلته الأجهزة والعدادات.. وبمعنى آخر، السَّيَال الحيوي لهذه البطارية في مقاومته للانتزاع، تضاعفت كثافته، وصاحب هذا تلك القدرات النفسية غير المألوفة التي شاهدهموها في تسجيل الفيديو قبل قليل.

تساءل الفرنسي:

- أي قدرات؟!

- الوهم.

رددت الأمريكية مع الفرنسي والهندي بصوت واحد:

- الوهم!

- الوهم.. كل واحد من أصحاب الشهادات راي في المشهد كابوسه الخاص.. كلب أسود وعنكبوت عملاق وغول ومسح فضائي وقطيع من الذئاب وحريق يلتهم المزرعة و... و... بينما فيديوهات المراقبة لا تُظهر أكثر من رجل عادي ينزف، يسير بين الجموع.

وصمت لحظة راقب فيها تأثير كلماته على وجوههم ثم تابع.

- يعني باختصار.. السَّيَال الحيوي الخاص بهذه البطارية من دون غيرها، استفزته محاولة الاستخلاص، واستنفرتة للدفاع عن صاحب

الجسد، ففجرت به هذه القدرة النفسية الخارقة.. القدرة على الغوص في العقول، واستخراج مخاوفها وخلق وهم تجسدها أمام أصحابها. وأخذ نفساً عميقاً.

- ومن ثم ببساطة، تمكن من الهروب.

تساءلت الأمريكية مشدوهة:

- هل هناك شيء كهذا؟!

هز الصيني رأسه، وقال الهندي:

- القدرة على الوهم والإيحاء موجودة لدى أغلب البشر، وجزء كبير من عمل النصابين والحواة مرجعه إلى تلك الموهبة، ولكنني لم أر من قبل شيئاً بهذه القوة.

تساءل الفرنسي:

- هل هي الحالة الأولى من نوعها في المشروع؟

- كلا.

خرجت ثقيلة، بطيئة، واثقة من بين شفتي الشريك الروسي اللتين لم تنفرجا منذ بدء الاجتماع.. استدارت الأعين كلها إليه، فتابع وهو يداعب شاربه الذي طغى الشيب على شقرة خصلاته:

- هناك أربع حالات مسجلة ما بين روسيا ومصر وزامبيا والفلبين، على مدى ربع القرن الفائت.

وسلّط عيناه الزرقاوين النافذتين على آدم مستطرداً:

- لقد واجهتم شيئاً كهذا قديماً.. أليس كذلك؟

بدله آدم نظرة ثابتة بأخرى مماثلة قبل أن يقول ببطء:

- ليس بالضبط!

قبل خمس وعشرين عامًا:

المظاهرة حاشدة تعبر جسر قصر النيل.. الأعداد ضخمة تُقدّر بعشرات الآلاف ما بين رجال ونساء من مختلف الأعمار والطبقات والتوجهات.. أعلام مصر، ولافتات قماشية مختلفة الأحجام والألوان تحمل إعلانات وتنبديدات مختلفة بالعربية والإنجليزية بجرائم شركة Egy-Nergy في حق الإنسان حول العالم، وأكثر من لافتة تحمل صورة للشهيد أحمد ممتاز خشبة.. الهتافات تصم الآذان.. كاميرات تحمل شعارات أكثر من محطة أجنبية تنقل المشهد على الهواء مباشرة.

مدرعات الداخلية تقترب من جهة ميدان التحرير.. تشكيلات العساكر من ذوي الأردية السوداء تنتظم في صفوف.. حاملو بنادق قنابل الغاز المسيل للدموع يتقدمون يشهرون فوهات بنادقهم بزاوية ٤٥ درجة لأعلى باتجاه المظاهرة القادمة عن بعد.. يضغطون الأزرار.

تنطلق عشرات القنابل مصحوبة بعشرات الفرقعات.. تشق السماء متجهة نحو المتظاهرين.

يحدث هنا أمر غير طبيعي.

ترتبك مسارات قنابل الغاز في السماء.. تتبعثر وتفقّد اتجاهها، ثم وبشكل مستحيل فيزيائيًا، وكأنّ قوة خفية غير منظورة جمعتها ثم قذفتها.. ترتد عائدة لتهوي وسط صفوف عساكر الأمن المركزي.

تضطرب صفوف العساكر وينهار تنظيمهم.. الكل يهرع وهو يغالب ذهوله مبتعدًا عن الغاز المتسرب من القذائف.

حاملو البنادق يحاولون استعادة تنظيمهم، وإعادة الكرة.

المظاهرة الصاخبة مستمرة في تقدمها.

انتهت عاملة محطة التموين من تركيب البطارية الجديدة التي تحمل لوجو E.N. في سيارة الكابتن زين.. أشارت إليه حيث جلس وراء الزجاج في مقعد القيادة، فأدار الموتور وألقى نظرة سريعة على العدادات، ثم لَوَّح بقبضته المضمومة مرفوعة الإبهام إشارة إلى الجودة. أعادت العاملة الشابة غطاء الكبود إلى موضعه، وتأكدت من إحكام إغلاقه، ثم دارت حول مقدمة السيارة متجهة إلى زين، سحبت جهازاً صغيراً من حزام اليونيفورم، ضغطت أزراره وهي تقول بروتينية:

Egy-Nergy - بتقدم طاقة نظيفة صديقة للبيئة بأسعار في متناول الجميع.. كارت الـ E.N. ييقدم لحضرتك بطارية مجانية على كل أربع بطاريات.. سعر الك...

بترت عبارتها الآلية وهي تحدد في البطاقة الممغنطة التي دفع الكابتن زين بها إليها مبتسماً بإنهاك.. تناولتها من بين أصابعه.. شعار E.N.، الاسم والصورة.. نقلت بصرها بين الصورة في البطاقة والوجه المنهك ذي الذقن نصف الحليقة المائل أمامها، قبل أن ترتسم ابتسامة جذابة على شفيتها المصبوغتين وهي تقول:

I am Sorry يا كابتن.

هز رأسه، بينما دست هي البطاقة الممغنطة في فجوة شريطية مستطيلة في جانب الجهاز الذي تمسك به، والذي استغرق ثانيتين ليصدر بعدها أزيزاً، وفاتورة مطبوعة، سحبتها العاملة وناولتها مع

البطاقة الممغنطة إلى زين وهي تقول محافظة على ابتسامتها:

- في خدمتك دائماً يا كابتن.

شكرها بكلمات خافتة وهو يتناول بطاقته ويدسها في محفظته..
أصدر أمراً لكمبيوتر السيارة يحدد المسار المطلوب بين المطار ومنزله
بالقاهرة الجديدة، ثم أسبل جفنيه واسترخى في كرسيه تاركاً مهمة
القيادة للسائق الآلي، الذي قاد السيّارة خارج محطة التمويل، ثم انزلق
بها بنعومة إلى الطريق الأسفلتي العريض.

ثلاث عشرة دقيقة تقريباً قضاها ما بين النوم واليقظة، ومذيع
السيارة ييث أغاني كلاسيكية لسيلين ديون وليونيل ريتشي، قبل أن
تتوقف السيارة في موضعها المخصص بجراج البناية التي يقطن بها..
رسالة مسجلة بصوت أنثوي تهنئه بسلامة الوصول، انفتحت الأبواب
أوتوماتيكياً، فغادر حاملاً حقيبة ظهر صغيرة على كتفه.. في طريقه إلى
شقته، حياً من قابل من جيرانه بإكليشيات موجزة مصحوبة بابتسامة
حافظ عليها بصعوبة من فرط إرهاقه.

ضغط أزرار الشفرة، فانفتح الباب، وتعرف كمبيوتر الشقة على
بصمته الحيويّة بمجرد دخوله.. اشتعلت أضواء الأباليك أوتوماتيكياً،
وانبعثت موسيقى هادئة من السماعات الموزعة بهندسة احترافيّة في
الشقة.

- (بصوت أنثوي حنون): حمد الله على السلامة يا زوزي!

ابتسم وهو يجيب رسالة ترحيب الكمبيوتر:

- الله يسلّمك.

- وحشتني يا حبيبي!

- وإنّتي كمان يا ماما.

وتوقف يتأمل صورة كبيرة معلقة إلى موضع مميز على الحائط
لسيدة أنيقة في أربعينيات العمر، وثمة خط أسود مائل يقطع أحد
أركانها.. همس:

- أوي!

صوتك تعبان أحبيبي.

استلقى متهاكاً على أقرب مقعد إليه، وألقى حقيبته إلى جواره.

- الصيد كان كثير الأسبوع ده.

- أجهزلك الشاور؟

- بليز، ماما.

سمع صوت خريير المياه قادمًا من الحمام، إذ انفتح صنورها إثر أمر
من شبكة الكمبيوتر الداخلية لتملأ البانيو.

- حد اتصل بي؟

نهال، اتصلت 3 مرات.

رفع رأسه متسائلاً:

- عايزة إيه؟!

- تحب تسمع الماسدج اللي سابتهاك؟

- أسمع.

”هاي زين.. إيه أخبارك؟ أنا بتصل عشان أفكر إن معاد تجديد
اشتراك النادي خلاص قرب يعدي.. أنا حاول أجدهولك في الهايتس،
بس الإدارة رفضت عشان المشكلة الأخيرة.. خالو عادل ممكن يتوسطلك
عندهم، بس إنت لازم تبقى موجود.. بليز، أول ما ترجع كلمني
ضروري.. باي“.

بدا عليه شيء من السأم.. نهض من مقعده متجهًا إلى باب مغلق لغرفة جانبية.. خاطبه الكمبيوتر بذات الصوت الأمومي الحنون:

- الشاور جاهز، والمية دافية.

لم يعلق.. فتح الباب المغلق، ودلف إلى الغرفة ليتوقف أمام الفراش الذي يتوسطها، وتأمل (في ضوء الأباحورة الموضوعة على الكومودينو) الجسد المسجي عليه، والملفوف بكامله تقريبًا بالأربطة والضمادات.

- أخبرها إيه يا ماما؟

الدكتور بيجي يوميًا للمتابعة، وممرضة الشيفت المسائي هتوصل خلال دقائق.

أطلت لمحة من الإشفاق من عينيه.. مر بسابته على الكف الدقيق الملفوف بالشاش.

سألها:

- ليه النظارة؟

تحسست الإطار الداكن الدقيق بأناملها، وابتسمت بدلال قائلة:

- وحشة؟

ابتسم بدوره وقال:

- لا خالص، مش القصد.. أنا بس مش فاكر اني شوفت حد لابس نظارة طبية، يمكن من أكثر من 20 سنة.

- النظارات والعدسات وكل البصريات دي انقرضت من زمان.. عمليات الليزك حلت مشكلات ضعف البصر للأبد.

- ماده اللي بقوله! ليه بقى إنتي لابسة نظارة؟!

خفضت السيارة بين أصابعها ونفثت عموداً من الدخان من بين شفتين مضمومتين مصبوغتين، لم تلبث أن انفجرتا عن ابتسامة وهي تقول:

- بلبسها ف البيت ساعات Just for fun.. بحسها بتدي جاذبية معينة لوش البنات.. بتخليه more sexy وكده.

بدا الإعجاب واضحاً على صورته الهولوجرامية المجسمة وهو يقول:

- ده حقيقي.

-ميرسي.

قالتها بمزيج من خجل وانتشاء ودلال، ثم تساءلت مغيرة الموضوع
وكأنهما لتداري انتشاءها:

- عيد ميلاد مريومة كان عامل إزاي؟

- لطيف.

رفعت ساقها اليسرى إلى المقعد، وثنت ركبتها لتضمها إلى صدرها
وهي تقول بمرح:

- تفاصيل يا رِخم!

مر بأصابعه بين خصلات شعره فضية اللون وهو يقول:

- عادي، الكامب اهتموا بكل التفاصيل.. التورتة، الشو، اللبس..
واخدين مني شيك برقم مش بطال أبداً.

تنفث مزيداً من الدخان:

- وإنتو عملتم إيه؟

- إحنا مجرد نزلنا من البيت، قعدنا شوية ورجعنا.

رفعت حاجبيها المزججين بعناية قائلة:

- بَطْل بقي! دي بنوتك!

- بنوتي فرحت وانبسطة ولعبت مع أصحابها وقضت يوم عيد ميلاد
حلو ورجعت البيت مبسوطة آخر انبساط.

هزت رأسها وهي تنفض الرماد من على طرف سيجارتها في قلب
المطفأة البلورية على المنضدة أمامها وقالت:

- مش مصداقك بجد! بعد كل كلامنا الأيام اللي فاتت؟!

زفر قائلاً:

- مفيش! حاولت يا إيمان ومقدرتش.. ده سقفي.

وابتسم بهرارة مستطردًا:

- ومتقلقيش، مامتها قايمه بالواجب وزياذة.. والبنت واصلالها دوز كير
تكفي مدرسة بنات!

ابتسمت مغمغمة بإشفاق:

- البنت ملهاش دعوة بأي مشكلة بينك وبين مامتها، ولازم تخليها
تحس دايمًا إنك مهتم بيها.

تنهد قائلاً:

- بكرة تكبر وتفهم.

- متكلمتوش تاني؟

- مَعندهاش استعداد تتكلم أساسًا.

- هي الي معندهاش ولا إنت الي معندكش؟

ردد بدهشة:

- أنا مَعنديش؟!

نفث الدخان مجددًا وقالت:

- أيوه معندكش استعداد تاخذ أي خطوة يا يحيى! إنت خلاص
سَسِيتِمْ نفسك على إن حياتك وعلاقتك برضوى وصلت لطريق
مسدود، ملجرد إن فيه ميس كوميونكيشن بينكو ف كام موقف كده.
رفع حاجبيه قائلاً:

- أنا يا إيهي؟! يا ربي! ده أنا حَكِيتُكَ كل حاجة!

هزت رأسها قائلة بإصرار:

- وعشان حَكِيتُلي كل حاجة بقولُكَ إنت الي لازم تاخذ خطوة لقدام..
مش معنى إنها مش مركزة معاك إنك تكبر دماغك منها.. لازم تفهم

كويس إنك ليك متطلبات غير الأكل والشرب واللبس.

- ودي حاجة محتاجاني أفهمهاها؟!

- آه يا سيدي! نصيبك بقى! تعمل إيه؟! تشتري دماغك وتبيع بيتك،
وتسيب بنتك تتعقد وتكبر وسط أب وأم مش طايقين يبصوا ف وش
بعض؟! ولا تستجدع كده وتطول بالك على مراتك عشان تغير طريقته
معاك؟!

قال بحنق:

- يا ستي حاولت، والله العظيم حاولت!

- تحاول تاني وتالت وعاشر.. دي بنتك وده بيتك يا ابني!

صَمَت.. زفر بحنق، وسحبت هي نفسًا عميقًا توهج له طرف
السيجارة بين شفتيها، نفثت على أثره سحابة كثيفة من الدخان..
تأملها بنظرة طويلة ثم قال بلهجة مغايرة:

- على فكرة إنتي وحشتيني.. وأوي.

صمتت للحظة قبل أن تقول بخفوت:

- وانت كمان ...

- عارفة أنا بقالي أد إيه مشوفتكيش؟

رفعت أصابعها لتزيح خصلة نافرة من على جبهتها وهي تقول
بعينين لامعتين:

- إسبوعين.

- سبعتاشر يوم.

... -

- ينفع كده يعني؟!

زمت شفيتها وبدأت على ملامحها للحظة علامات صراع ما، قبل أن
 ترسم ابتسامة مرتبكة على شفيتها وتقول:
 - إنت معندكش شغل بكرة ولا إيه؟
 ضحك ضحكة خفيفة وهو يقول:
 - قديمة أوي الطريقة دي.
 ضحكت بدورها متسائلة:
 - مش هتاكل معاك يعني؟!
 - أي حاجة تجيني منك هاكلها أكل.
 رفعت كفها محيية بحركة مسرحية وهي تقول مداعبة:
 - مطرح ما يسري يمري يا سيدي.
 ضحكا معًا مرة أخرى، قبل أن تسأله:
 - قولي بقى بجد.. الشغل ماشي كويس؟
 - الحمد لله، السوق متذبذب شوية بس under control.
 تمت أن الحمد لله، ثم خلعت نظارتها الطبية وهي تقول:
 - بكرة يوم مشحون.. شكلي كده هقولك تصبح على خير.
 ابتسم قائلاً:
 - وانتي من أهل الخير.. بس خلي بالك، مش هتهربي مني كثير.
 أنهيا الاتصال، تابعت هولوجرامه وهو يذوب ويتبدد.. ظلت جالسة
 إلى مقعدها لدقيقة تحديق الفراغ أمامها بشروء وثمة بقايا ابتسامة
 عالقة ما زالت بشفتيها وعينيها.. نهضت لتعبر فراغ غرفة المعيشة
 المتسع، مرت بالأثاث القليل المنسق بعناية، والجيتار الرقمي المثبت في
 فراغه المخصص بالحائط، في طريقها إلى الشرفة.

داعبها هواء الليل البارد، فسرت قشعريرة في جسدها أسفل ثيابها
المنزلية البسيطة، التيشرت والبنطلون القطني فاتح اللون.. أحاطت
كتفيتها العاريتين بذراعيها ووقفت تحديق في المشهد الأخاذ من حولها
لأضواء القاهرة المتلألئة في ظلام الليل من على ارتفاع سبعة وعشرين
طابقًا.

بقايا ابتسامتها؟ .. ذابت تمامًا.

(تسجيل هولوجرامى قديم):

فتاة شابة ضئيلة الجسد، شاحبة الوجه، سوداء الشعر قصيرته،
تجلس صامتة في رداء مستشفى أبيض أمام طبيب ثلاثيني هادئ
الملامح، يجلس معتدل الظهر خلف مكتبه.. ممرض له جسد مصارع
يقف قرب باب الحجرة.

- حياة.

يخاطبها الطبيب، فلا ترد.. يكرر نداءه بصوتٍ أعلى، فلا يبدو عليها
أنها سمعته، لا تنظر إليه من الأساس.

ينهض من مقعده، يدور حول المكتب ليجلس على المقعد المقابل
لها.

- حياة.

يربت بكفه على أصابعها المستكنة على طرف المكتب.

- (برفق): إنتي لازم تساعديني عشان أقدر أساعدك.

تحقق في أصابعه، ثم ترفع ببطء عينين زجاجيتين إلى وجهه.. تنفرج
شفتاها.. تهمس:

- تساعدني!

يهز رأسه قائلاً بابتسامة مشجعة:

- طبعاً.. أنا هنا عشان أساعدك.

تمر ثوانٍ.. تتماسك نظرتها.

- سيجارة.

- نعم؟!

- عاوزه سيجارة.

- (مرتبكا): بس التدخين ممنوع هنا ف المستشفى.

ثم ينتهد.. يرفع عينيه إلى الممرض الواقف قرب الباب.

- سيجارة من فضلك يا منعم.

يبتسم الممرض وهو يتقدم مخرجًا علبة سجائره، يمد بواحدة نحو

حياة، ثم يشعلها لها، ويعود إلى وقفته الأولى.

يراقبها للحظات وهي تمص السيجارة بجشع، وتنفث الدخان بكثافة

سحابة وراء سحابة.. يبتسم قائلاً:

- إنتي خرمانه أوي كده؟!

لا ترد.

- ممكن تحكي لي عن الأصوات الي بتكلمك؟

تستدير إليه بعينيها.

- بتكلمني!

- الأصوات الي بتسمعيها ف ودانك.. بتقولك إيه؟

تصمت للحظات، قبل أن تهز رأسها.

- مش بتقولي حاجة.

وتكور شفيتها.. تدفع من بينهما بعمود من الدخان.. تستطرد بلهجة

تقريرية:

- مش بتكلمني.

يحدق بدهشة في التعبير المحايد الذي يفتش ملامحها.. يبتلع دهشته
بمهنية يُحسد عليها، ويتساءل بهدوء:

- أومال بتكلم مين؟

تخبط جانب السيجارة بأوسطها برفق لتسقط عمود الرماد المتدلي
منها على الأرضية.. تجيب بهدوء مماثل:

- مش بتكلم حد.. مش بتتكلم أصلاً.

وزحفت كرتا عينيها على حوائط المكان ذاتية الإضاءة، وكأنها تبحث
عن شيء ما وهي تسأله:

- إنت مش سامع؟

- سامع إيه بالظبط؟!

تحديق في عينيه مباشرة، تقول بحدقتين متسعيتين:

- الأنين.

لدهشته، يتراجع أمام سواد عينيها بشيء من الذعر.. يردد مأخوذاً:

- الأنين!

- آه الأنين.

وبحركة مباغتة تثب من مكانها برشاقة لتعتلي جسده، تكتم فمه
بكفها اليسري، وبأصابع اليمنى تدفن السيجارة المشتعلة في راحته.

ينتفض جسده ألماً، وتجحظ عيناه.. يئن بعنف، ويتداخل أنينه مع
صرختها المفاجئة:

- أئين زي ده.

وفي اللحظة التالية يتحرر منها عندما يحتويها الممرض منعم بين

ذراعيه المفتولتين ويحملها ببساطة كما لو كان يحمل طفلة صغيرة..
تقاوم بشراسة، تطوح رأسها وساقها صارخة بهيستريا:
- الأنين مبيخلصش.. مبيخلصش.
- تاخذ مهدئ بسرعة، وتروح أوضتها يا منعم.
يقولها الدكتور وهو يعتدل ويتحسس راحته المحترقة بألم، بينما
تواصلت صرخاتها وهي تبعد بين ذراعي الممرض:
- إنتو مبتسمعوش عشان ضمايركو ماتت.. ضمايركو ماتت.

ثلاثين دقيقة أمضاها الكابتن زين في الركض في الشوارع الخالية في تلك الساعة المبكرة من الصباح.. في ثوب رياضي بسيط ملتصق بجسده بفعل العرق الغزير الذي ينضح من مسامه، وأديداس رمادية، وبسماعة MP7 دقيقة في الأذن اليسرى، وزجاجة مياه بلاستيكية بين أصابع اليد اليمنى، دار دورة أخيرة حول صف من الشجيرات، وعَبَر بوابة حديقة البناية.. سعد لشقته بالطابق الثاني.

- (بصوت متهدج): الله يَسْلِمِك يا ماما.

مجيئاً تحية كمبيوتر الشقة، ثم:

- الشاور بسرعة بليز.

- حالاً، حبيبي.

اتجه إلى الغرفة الجانبية، طرق الباب ثم دخل.. ألقى تحية الصباح على الممرضة الشابة الجالسة إلى المقعد المجاور للفراش.

- إيه الأخبار؟

أجابته بصوت منهك:

-الحمد لله.

وأشارت إلى الجسد الممد على الفراش، واستطردت:

-المعدلات الحيوية بتتحسن، والجروح بتلتئم.. امبارح بالليل فاقت

شوية وطلبت تشرب.

تنهد، شكرها بوجه حمل علامات الرضا.. قالت:

- أنا استنيت حضرتك ترجع عشان أبلغك إني هنزل دلوقتي.. نيرس الشيفت الجديدة هتوصل خلال دقائق إن شاء الله.

استحمم سريعًا، وخرج ليجد النسكافيه ساخنًا بانتظاره في الغلاية، والخبز محمصًا في آلة التحميص.. قال آمرًا الكمبيوتر:

- تليفزيون.. ناشيونال جيوجرافيكس.

ثم جلس يتناول إفطاره ويرشف النسكافيه وهو يشاهد التليفزيون المجسم.. قبل أن يفرغ من طعامه، ارتفع أزيز جرس الباب.. تساءل:

- النيرس؟

أجابه الكمبيوتر بالصوت الأمومي الحنون:

- لا يا حبيبي.. دول أربع أفراد.

تكونت في الفراغ صورة هولوجرامية مجسمة التقطتها الكاميرا المثبتة في المدخل.. أربعة أفراد.. رئيسه المباشر الكابتن خالد، ورفاقه الثلاثة شادي، مصطفى، وليد، في أرديتهم الرسمية السوداء.

شعر بالدهشة لقدومهم إليه في منزله للمرة الأولى، وفي مثل هذا التوقيت، ولكنه ابتلع دهشته بسرعة وقال للكمبيوتر:

- افتحيلهم، ودخليهم الريسبشن.

و...

- اقفلي باب الأوضة.

نهض سريعًا ليغسل يديه، وبينما يجففهما سمع الكمبيوتر يردد عبارات الترحيب المسجلة.. رسم ابتسامة ترحاب على شفثيه وهو

يخطو داخل الريسبشن، حيث نهض خالد ووليد لمصافحته.

تساءل بدهشة:

- أومال فين مصطفى وشادي؟!

ابه وليد:

- تحت مستنينا ف العربية.

- مطلعوش ليه؟!

- أصلنا مش هنتأخر عليهم.

قالها الكابتن خالد وهو يسترخي في مقعده، فاردًا ساقيه داخل حذائه العسكري الثقيل.. رفع السيجار المشتعل بين أصابعه:

- أنا سمحت لنفسي أدخن بعد إذنك يا زين.

أسرع يردد:

- البيت بيتك يا كابتن!

شكره الكابتن، ثم ابتسم وهو يلوّح بسبابته في الهواء مستطردًا:

- لطيف صوت الكمبيوتر الي انت بتستعمله.. ده من استوديو

الشركة؟

- لا أنا طلبته مخصوص من مهندس الصوت.

- قريب من صوت حد معين؟

- آه.

وصمت للحظة ثم أردف بخفوت:

- صوت ماما الله يرحمها.

لم تفتّه النظرة السريعة التي تخاطفتها أعينهما لجزء من الثانية،

بينما شفاهما تتمم بـ“الله يرحمها”، ولكنه لم يتوقف عندها.. نهض من مقعده قائلاً:

- الكلام خدنا، ومسألتكوش تشربوا إيه!

- مفيش داعي.

- لا إزاي؟ لازم تقولوا.

نهض وليد قائلاً بأريحية مفاجئة:

- أنا هجيب حاجة ساقعة م التلاجة.. (ضحكة صفراء) مش البيت

بيتنا، ولا إيه؟!

نظر إليه زين للحظة قبل أن يعود لمقعده قائلاً بابتسامة باهتة:

- طبعاً!

تحرك الشاب بنشاط باتجاه المطبخ، وتابعه زين بعينه للحظة، قبل

أن ينتبه إلى أن الكابتن خالد يخاطبه:

- واضح إنك كنت مرتبط بوالدتك جدًا.

تنهد زين وهو يلتفت إليه قائلاً:

- ده حقيقي.

- (يضع ساقاً فوق ساق): إنت لازم تفكر جدياً تـمـلا فراغ حياتك يا

زين.. مش ناوي تتجوز؟!

- ما إنت عارف الي فيها يا كابتن.. جربت حظي خلاص.

- جرب تاني يا أخي!

- (يبتسم): مفيش نفس.

غمز خالد بعينه قائلاً:

- ف عينك كده!

حدّق زين في وجهه بحيرة، فاستطرد:

- مفيش حاجة حصلت كده اليومين اللي فاتوا؟!!

- (بارتباك): حاجة إيه وإمتى يا كابتن خالد؟! هو الشغل مدينا فرصة ناخذ نفسنا؟!!

نفث دخان سيجاره مبتسمًا بسخرية:

- يمكن حاجة ف الشغل يا سيدي.

تجمدت الابتسامة الحائرة على شفتي زين؛ قال بصعوبة:

- حاجة ف الشغل إزاي؟!!

عاد وليد في هذه اللحظة إلى الريسبشن، وقال بلهجة جادة مخاطبًا الكابتن:

- باب الأوضة مقفول.

شحب وجه زين وهو ينقل بصره بينهما، وشعر بحلقه جافًا تمامًا..
حدق في عيني الكابتن خالد المسلطتين على وجهه، تساءل بصعوبة:
- هو فيه إيه بالظبط؟!!

خرجت منه الكلمات خافتة، مختنقة.. عقد وليد ساعديه أمام صدره وهو يرمقه بتحدٍ، في حين نفث الكابتن خالد مزيدًا من دخان السيجار ثم قال:

- بلاش تضيع وقتك ووقتنا يا زين.

- يعني إيه؟!!

قال ضاغظًا على حروف كلماته:

- يعني تقول لما تفتح لنا باب الأوضة المقفولة.

طرق مُعْتَز حشاد باب غرفة رئيس التحرير، ثم دلف على الفور من دون انتظار الإذن بالدخول، لعلمه المسبق بأن لا رئيس التحرير ولا مرؤوسيه الملتفين حول مكتبه انتبهوا لطرقاته على الباب..

عشر دقائق قضاها يمارس أنشطة مهمة جدًا من قبيل التثاؤب، حك كعب حدائه في الموكيت القديم حائل اللون، حك فروة رأسه بظفر بنصره الطويل، وفقع الحبة النامية أسفل أنفه... إلخ. عشر دقائق، انتهى meeting بعدها، وغادر رؤساء الأقسام بعدها، وبقي مُعْتَز (لم تفتّه النظرات التحتية التي رمقوه بها لدى مرورهم به) وقد نفّض عنه بقايا الكسل، واعتدل في وقفته من دون أن ينبس بحرف.

قال له رئيس التحرير من دون أن يرفع عينيه عن الشاشة الهولوجرافية أمامه:

- عايز حاجة يا معتز؟

تقدم مُعْتَز منه وقال مغالبًا بحة في صوته:

- صباح الخير يا ريس.

لم يرد رئيس التحرير الخمسيني، استمر يتنقل بأصابعه بين الصفحات المجسمة، فتنحج مُعْتَز قائلاً:

- أنا كنت عايز أعذرك بس يا ريس عشان اليومين اللي فاتوا.

لم يبد على الرئيس أنه سمع حرفًا، فتابع:

- أنا والله كُنت تعبان وعندي حرارة، وكلمت حتى كاميليا بلغتها.

- سلامتك!

لفظها الرئيس باقتضاب كأنه يبصقها، واستمر في عمله، واستمر الشاب واقفاً في مكانه.

- حاجة ثاني يا معتز؟!

أسرع يقول:

- شغل يا ريس! (يضحك بافتعال) أنا كده قاعد عاطل!

- مش ده اللي إنت عايزه؟!

- (بوجوم): اللي هو إيه بالظبط؟!

- إنك تقعد ف بيتكو وآخر كل شهر تنزل تسحب مرتبك من أقرب

ATM!

هتف بانزعاج:

- أنا؟! ليه بتقول كده بس يا ريس؟!

- مش أنا اللي بقول.. ده الريبورت بتاعك.

وأدار الشاشة الهولوجرامية نحوه مستطرداً:

- دا التايم ساكديوال بتاع الـ 3 شهور اللي فاتوا.. 21 يوم غياب.. و8

أيام ”بس“ حضور ف معادك.. معدل الإنتاج: صفر.

- يا ريس!

- معتز، وفر بليز كل الكلام اللي هتقوله لأنني عارفه ولأني مش فاضي..

ريح نفسك، أنا مش هطلب منك شغل لأنك مش بتاع شغل.. خليني

أكون صريح معاك؟ إنت عارف كويس إنه لولا إن مدير أكبر وكالة

إعلان بتتعامل مع الموقع بتاعنا هو اللي طلب تعيينك بشكل شخصي،

مكنتش كملت معانا شهر.. إحنا موقع صغير، وفلوسنا مش كتيرة
عشان نبعزقها على صحفي بينزل من بيتهم بالعافية.

- يا ريس والله العظيم ظروفك كانت وحشة و...

- متكلمنيش عن ظروف ومش ظروف، I do not give a shit.. ويكون
ف علمك، أنا هقابل مستر شاكر الأسبوع الجاي، وهكلمه عنك.

هتف معتز بضراعة:

- اديني فرصة أخيرة يا إبراهيم بيه.. فرصة واحدة أخيرة، وأوعدك
إني هعمل تحقيق هایل.

رمقه رئيس التحرير للحظات، قبل أن يلقي نظرة على أرقام ساعته
ثم يقول بحسم:

- قدامك 48 ساعة.. تقب وتغطس وترجعلي بشغل، ومش أي شغل..
عايز تحقيق يكسر الدنيا، يلف النِت وياخد الأعلى مشاهدة بعد
دقايق من رفعه.. مفهوم؟

أسرع معتز يقول بحماس:

- مفهوم.

- 48 ساعة يا معتز.

- 48 ساعة يا ريس.. بس فيه حاجة.

- إيه تاني؟

- هحتاج جاسوس.

خلف مكتبها الواقع في الطابق التاسع والثلاثين من ذلك البرج الشاهق المكسوة واجهته بالزجاج، والمطل على كورنيش المعادي، جلست إيمان في توب أبيض يعلوه جاكيت رمادي وجوب قصير بنفس لون الجاكيت، تتفرس بعينين فاحصتين في هولوجرام مجموعة من الرسومات ثلاثية الأبعاد لمبنى ما.

الرسومات تتوالى، تكبر وتصغر إثر نقرة وأخرى من سبابتها ذي الظفر المطلي بهانيكير داكن.. على المقعد المقابل للمكتب استرخت زميلتها هند واضعةً ساقاً على ساق، تتشاغل بالنظر إلى السماء الصافية عبر الحائط الزجاجي للغرفة، ومتابعة خط المترو الطائر الذي يمر قرب ضفة النيل الأخرى، ومن آن لآخر تمد أصابعها داخل علبة مفتوحة على المكتب تحمل لوجو مونجيني، وترفعها ممسكةً بهيني سندوتش إلى فمها وتمضغ ببطء.

دقائق قليلة، انتهت إيمان بعدها من مراجعة اللوحات، نقرت بضعة أزرار على لوحة المفاتيح المجسمة، ثم أجرت اتصالاً:

- آآ يا عصام.. أنا خلاص راجعت الرسومات.. آه، كل الكومنتس اتصلحت.

أشارت لهند بمعنى أن خلاص قربت، فابتسمت لها الأخيرة متفهمة.

- لا، خط التهوية رقم 3 مكانش فيه مشكلة أصلاً.. آه.. اتأكدت.. خلاص، أنا دخلت كود الكواليتي كونترول وبَعَثَ الإيميل لمستر مصطفى

عشان يconfirm الشغل.. (تنظر في ساعتها) قدامنا 28 دقيقة على
ميعاد التسليم.. يلا ربنا معاكو.. باي.

تلاشى هولوجرام المهندس الشاب، وعادت هي لصديقتها معذرة:
-أنا آسفة!

- (تبتسم): آسفة على إيه؟! إنتي الي البريك بتاعك انضرب يا
مسكينة.

تناولت قطعة من الميني سندوتش التهمتها بنهم وهي تقول:

- الكاستمر ملوش دعوة بريك ولا بغير بريك.

وابتسمت مستطردة بشدين متكورين:

- وبعدين أنا head department.. يعني أعمل الي أنا عايزاه.. ياكش
حتى آخذ اليوم كله بريك.

- يا جامد!

ضحكتا معاً، ولثوانٍ انهمكتا في مضغ سندوتشات التونة والسوسيس
والجبنة بالزعر، وشرب الشاي في مَجْنِ خزفيين موضوعين على سطح
المكتب، قالت هند بصوت حالم:

- سيجارة بقى، ويبقى الكوكب ده هو الأحدى ف درب التبانة.

أشارت إيمان إلى لافتة no smoking وفمها منشغل بمضغ الطعام،
فدمدمت هند بسخطٍ مفتعل:

- أومال head department إيه بس؟!!

وأشارت بسبابتها مطلية الظفر إلى ضلفة النافذة الزجاجية المفتوحة
قائلة:

- والشباك المفتوح ده ليه بقى؟

- كولستروفويا.
- إنتى لسه مخلصتيش م القصة دي؟!
- ومش هَخَلَصْ شكلي.. الدكتور تقريباً يئس مني.
- ساد الصمت قليلاً، ثم تساءلت هند بشغف:
- مقولتيليش صح، أخبار المُرْ إيه؟
- رشفَت إيمان من مَج الشاي وخفضته قائلة:
- كويس.
- لسه بتتقابلوا؟
- مش كثير.. الشغل زي ما انتي شايفة.
- بس بتتكلموا فون.
- كل يوم.
- غمزت هند بعينها قائلة بلهجة عابثة:
- طب إيه؟!
- إيه؟!
- إمتى؟!
- إمتى إيه؟!
- متستعبطيش يا إيمي!
- مفيش حاجة م اللي ف دماغك الوسخة دي!
- ضحكت:
- أيوه ما أنا عارفة إنه مفيش.. عشان كده بسأل إمتى هيبقى فيه!
- تنهدت قائلة:

- مش هيبقى فيه.

رفعت حاجبها وهي تتساءل:

- ليه؟!

أطرت إيمان بعينها أرضًا ولم ترد، فتابعت هند:

- إنتي يا بنتي مش قولتي إني وهومي؟! ذكي ومختلف وناجح وحنين

وhandsum ومش وسخ؟!

أومأت إيمان برأسها مؤيدة، فرددت هند:

- مش ميال ليكي؟!

هزت إيمان رأسها نافية.

- إنتي مش ميالة ليه؟!

- متنبيلة!

- طب إيه بقى؟!

غمغمت إيمان:

- عشان هو مش وسخ، مينفعش أبقى أنا وسخة.

- وسخة ليه؟!

صمتت إيمان لثوانٍ، قبل أن تخرج علبة السجائر من حقيبتها وتسحب واحدة لتدسها بين شفتيها أمام عيني صديقتها المستنكرتين.

- Head department.

قالتها وهي تشعل السيجارة وتهز رأسها مبررة، فابتسمت هند وهي

تشعل سيجارة أخرى نفتت دخانها وتراجعت برأسها للخلف، وهي

ترمق صاحبها التي صمتت لثوانٍ أخرى ثم قالت بخفوت:

- يحيى متجوز.

- إيه؟!

كررت بصوت أعلى:

- متجوز، يحيى متجوز.

- (تنفث دخان السيارة): so؟!

- متجوز يا بنتي!

- So؟! ما سامح كان متجوز!

- سامح متجوز، بس هو أصلاً مكانش بتاع جواز.. اتصدم شوية بالحقيقة دي وبعدين تأقلم على إن جوازه حبر على ورق وقرر يعيش حياته زي ما هو عايز.

ونفثت عموداً من الدخان من بين شفتيها المضمومتين وقالت:

- يحيى غير.. يحيى زوج وأب.. family man.. عنده شوية مشاكل مع مراته، هرشة السبع سنين، أزمة منتصف العمر، so what؟ دي حاجة بتحصل كل يوم ف كل بيت ومع كل الناس، ولما بتعالج صح بتعدي من غير خسائر.

ساد الصمت بعدها للحظات، تكاثفت خلالها سحب الدخان في المسافة الفاصلة بينهما، قبل أن تتساءل هند وهي تنفض بقايا الرماد العالقة بطرف السيارة في منفضة على سطح المكتب:

- حب؟

- مش عارفة!

- فعلاً؟!

لم ترد إيمان على الفور، نفثت مزيداً من الدخان ثم قالت بصوت

متهدج:

- عندي حالة شغف بيه.. متخيلة؟! شغف! مش مُز زي سامح، مش غني حرب زي زفت الطين هيثم.. family man في منتصف العمر، متكحرت ف الفلوس، وبكرش! بس عنده حالة من السلام الداخلي مش طبيعية.. أبيض، مش عبيط، مش غبي، اشتغل وسافر وشاف كتير، بس جواه حاجة نضيفة متلمستش، حاجة بحسها بتطهرني لما بتكلم معاها، عارفة نفسي ف إيه؟

- (بخفوت): إيه؟

- إني أنا، واريح راسي على رجله، وأسمعه وهو بيتكلم ويتكلم وصوابعه بتحسس على شعري لغاية ما أروح ف النوم. نظرت إليها هند بتأثر ثم غلبها حس الدعابة، فقالت بابتسامة عابثة:

- المهم بس المشهد يعدي على خير.. أنا واثقة فيه، بس مش واثقة فيكي !

قالت إيمان مبتسمة:

- لا متقلقيش، vibrator رجع م الصيانة.

جلجلت ضحكتيهما صافيتين منطلقتين ، وسارعتا بوضع أصابعهما على فميهما لتكتما الصوت المجلجل.. ساد الصمت للحظات قبل أن تلتقط هند نفساً عميقاً وتتساءل:

- طب وهو؟!

تنهدت قائلة:

- بيجبني.. مقالهاش بصراحة، بس عينية قالتها، ابتسامته قالتها، تون

صوته قالها.. اهتمامه.. قلقه.. خوفه.

- مش شرط، دي طبيعة مرحلته العمرية.. الرجالة ف السن ده بتحب على روحها.

هزت كتفيها وهي تقول:

- ممكن!

وتراجعت مريحة رأسها على مسند مقعدها وقالت:

- وحتى لو! أنا أدمنت إحساسي معاه.

- وبعدين؟ أدمنتي إحساسك معاه، وف نفس الوقت مش عايزة

تقتحمي حياته أكثر عشان متبوظيهاش! هتحليها إزاي دي؟!

دفنت إيمان بقايا سيجارتها في المطفأة وأجابت بهدوء:

- هحلها بإني أحافظ على المسافة بيني وبينه.. أحافظ على مقعد

الصديقة.. نتكلم كل يوم، أسمعاه ويسمعني.. أنصحاه وينصحني، من غير ما الي بيننا يتطور لأكثر من كده.

- بس الي بينكو already تجاوز المرحلة دي!

- يرجع تاني.

ارتفع أزيز الهاتف في هذه اللحظة، التقى حاجبا إيمان وهي تنظر

إلى الرقم، فتساءلت هند بشغف:

- هو؟!

هزت إيمان رأسها نافية وهي تقول:

- لا، دي خالتي.

والتقطت سماعة أذن دقيقة دستها في أذنها اليمنى مستطردة:

- بتستعمل phone قديم من غير هولوجرام!

ثم.

- آآ يا شوشو.. وعليكم السلام ورحمة الله.. إزيك؟ أنا كويسة الحمد لله.. آه معلش، إنتي عارفة الشغل وقرفه.. معاكي حق (بضجر).. أنا.. أيوه والله.. طيب.. جنازة إيه؟! مين؟! الهلاي؟ آه.. مش ده بتاع الـ...؟ إمام.. دي إمتى؟ (تنظر في ساعتها).. مش عارفة والله يا خالتو، الوقت ضيق.. لا لا.. استني طيب.. طب إنتي فين دلوقتي؟ (تزفر بحنق) ماشي، حاضر.. هعدي عليكي ونروح سوا.

تجاوزت الطوافة المجال الجوي للعاصمة، ثم أطلق الطيار لها العنان، وسرعان ما استحالت الأرض للنظر من نوافذها إلى سجادة رملية ذهبية مترامية الأطراف، تلمع تحت أشعة شمس الصباح.

بالداخل، اضّجع الكابتن خالد في مقعده واضعاً ساقاً على ساق، وراح يدخن سيجاره وهو ينقل بصره بين رجاله الثلاثة، وليد وشادي ومصطفى، (الذين توزعوا في أرجاء الطوافة ما بين منظفٍ لسلاحه ومسترخٍ في مقعده ومعتنٍ بالجسد الضعيف الذي اصطحبوه معهم من الغرفة المغلقة بمنزل زين)، ورابعهم زين نفسه، المنكمش بين ذراعيّ كرسيه قبالة الكابتن خالد مباشرة.

نفث الكابتن دخان سيجاره، ثم تساءل:

- ليه يا زين؟

رفع زين عينين زائغتين متسائلتين، فأوماً برأسه تجاه الجسد الملفوف بالضمادات.

- ليه زورت تقرير الوفاة، وهربت البطارية دي م المزرعة؟

نظر زين إليه، وحاول أن يفتح فمه ليقول أي شيء ولكنه لم يستطع، فأطبق شفتيه.

ابتسم خالد والدخان يتراقص خارجاً من طاقتيّ أنفه.. وقال:

- إنت عارف إنك محيرني من زمان؟

- محيّر!-

كذا ردد لأول مرة منذ صعوده على متن الطوافة، بصوت أجش حائر.

- زي ما بقولك كده.. من أول ما ابتديت شغلك معايا.. تفتكر من

كام سنة؟!

قال وليد المسترخي في مقعده عن قرب:

- تسع سنين يا كابتن.

- برافو وليد.

ثم نفث مزيداً من الدخان.

- كنت غير زمايلك يا زين.. زمايلك الي الشركة استلمتهم من دور

الأحداث ورعاية الأيتام وأخضعتهم لاختبارات وبرامج تدريب عسكري

متطورة أهّلتهم إنهم يبقوا صيادين في Egy-Nergy.. إنت كنت مفصول

من سنة أولى شرطة عشان ضربت مدربك وزمايلك.

نظرة مُقت أطلت من عيني وليد.

ارتجت الطوافة رجّات خفيفة متتالية، وانفتح باب كابينة القيادة

بنعومة مصحوباً بأزيز، وارتفع صوت الطيار من داخلها قائلاً بمرح:

- تسع دقائق وأربعة وتلاتين ثانية يا دَرش.

ألقي مصطفى نظرة على أرقام ساعة يده، ثم مط شفتيه وعاد إلى

الجسد الذي بدأ يستعيد شيئاً من وعيه، وانبعث أنين ضعيف من بين

شفتيه.. صاح الكابتن خالد متسائلاً:

- بدري أد إيه عن المرة الي فاتت يا عبد الله؟

أجابه الطيار مبتهجاً:

- اتنين وعشرين ثانية يا كابتن.

قال له شادي المنهمك في تنظيف سلاحه:

- حلال عليك الرهان يا عم.

دمدم مصطفى بسخط وأصابه تملأً محققاً بسائل شفاف:

- حلال ورهان do not mix!

ضحك زملاؤه الثلاثة، شادي ووليد وعبد الله، في حين اكتفى الكابتن خالد بابتسامة هادئة وعاد إلى زين قائلاً:

- العنف.. الي لاحظته عليك كان العنف.. مش أي عنف.. كل زمايلك عندهم درجة من درجات العنف في أدائهم، جايز يكون مرتبط بالتنشئة الي طلوعوا عليها.. جايز يكون إخلاص زيادة ف الشغل.. لكن ف النهاية، عنفهم كان خاضع لمهنتهم.. لاحترافيتهم.. إنت بقى، غير. تركز بصر زين على أسنانه السفلى غير المنتظمة الأشبه بقواطع حادة من حولها إطار من شعيرات لحية غزاها البياض.

- خليني أعترفلك اعتراف.. إنت صياد شاطر.. الأشر يمكن من بين زمايلك، دي نتايج تدريباتك واختباراتك.. ورغم كده إنتاجك دائماً الأقل بين إنتاجهم.. جواك غضب.. جواك غل.. مسيطرين عليك.. بيحركوك.. إنت مش بتصطاد عشان تحقق أعلى نسبة بطاريات زي شادي ومصطفى ووليد.. تؤول.. بتصطاد كنوع من تفريغ الغضب.. من الانتقام. - وحش!

قالها شادي ساخراً وهو يرش قطرات من الزيت على فوهة السلاح.. وعلى عكس مرؤسيه، لم يبتسم الكابتن خالد حتى.. تابع وكأنه لم يسمع: - بتنتقم من مين يا زين؟ ده السؤال الي كان محيرني بشأنك.. ولما زُرنّاك أنا ووليد ف البيت وسمعت الصوت الي انت أدخلته لسيستم كمبيوتر الشقة عشان يحاكي صوت والدتك، فكرت ف احتمال كده..

وصمت لحظة ليرقب آثار كلماته على وجه فتاه، ثم ألقى سؤاله:

- فين بابا يا زين؟

رغم وجه البوكر الذي كسا ملامح زين، إلا أن سحابة الانفعال التي عبرت عينيه بسرعة، والاختلاجة الخاطفة في عضلات وجهه، لم تغيبا عن عينين قديمتين كعيني كابتن خالد.. ابتسم بظفر وهو يتراجع بظهر مقعده.. نفث سحابة من دخان السيجار في وجهه قائلاً:

- كده أنا بفكر ف الاتجاه الصح.

تنهد زين، وأشاح بوجهه إلى الزرقة الصافية المطلة من النافذة المجاورة.

- لما نخلص، هعمل الحاجة الي كنت المفروض أعملها من زمان.. هراجع ملفك الشخصي.

- نخلص؟!

ردد زين متسائلاً وهو يعود ببصره إلى قائده الذي ابتسم مجيباً:

- التحقيقات وكده.

- وبعد التحقيقات؟!

- اقرأ عقدك يا كابتن! سرقة وتهريب البطاريات جريمة خيانة عظمى في عُرف الشركة، والخيانة عقابها واحد في كل الأعراف.

قال وليد ساخرًا:

- متنساش بس تسلملنا على الماما.

أدار زين رأسه ليرمقه بعينين حمراوين، استقبلهما بابتسامته الشامتة، مر بعينه على زميليه الآخرين سريعًا، ثم أعادهما إلى قائده الذي قال

برفق :

- دخول الحمام مش زى خروجه يا زين.. إنت already اتحولت
لبطارية بمجرد ما فكرت تتصرف التصرف الطايش بتاعك ده.. أنا فعلاً
مستغرب إنت إزاي مفكرتش، محسبتكاش صح! لغاية دلوقتي مش
فاهم إنت عملت اللي عملته ده ليه! بس أوعدك إني هجتهد وأفهمك
صح من ملفك.

- لا تبع فراء الدب قبل صيده يا كابتن.

سحب خالد مسدس الطلقات المخدرة بحركة سريعة من غمده،
وسدده نحوه قائلاً:

- بلاش تصعّب الأمور على نفسك وعلينا يا ابنى.. دول زمايلك، وأنا
الكابتن بتاعك، والمفروض انك عارف ان مفيش فايدة من التهور معنا.
مع كلماته، سرت موجة من التحفز في أجساد الصيادين الثلاثة، في حين
قال زين بهدوء مثير:

- إسمحلى اختلف معاك ف نقطة الحمام.

- الحمام؟!

التقى حاجبا خالد..

- ساعات الخروج من الحمام..

وهو يحدق في وجهه المحتقن..

- بيبقى أسهل من دخوله!

ضغط خالد زناد مسدسه، فغادرت الطلقة المخدرة فوهته لتغوص في
ظهر المقعد في الموضع الذي كان يحتله زين قبل جزء من الثانية، وفي
الجزء التالي شعر خالد برأسه يدور وبالرؤية تهتز وتغيم أمام عينيه،

وسمع صرخات مرؤوسيه وكأما قادمة من بئر عميق.

شدد زين من ضغط أصابع يده اليسرى أسفل أذن قائده السابق مانعًا تدفق الدم إلى المخ، وباليدي اليمنى، وبسرعة البرق، رفع كفه القابضة على المسدس، وضغط سبابته المتقلصة على الزناد.

الطلقة الأولى اخترقت كتف شادي، وكان قد هبّ واقفًا وأشهر سلاحه الذي كان ينظفه لتوه.. وقبل أن يهوى أرضًا كانت الطلقة الثانية قد أصابت صدر مصطفى.

وبينما كان يدير ماسورة المسدس باتجاه وليد، زميله القديم وخصمه الثالث، التقطت أذنه صوتًا مكتومًا، ميز بسهولة أنه صوت خروج الطلقة المخدرة من فوهة مسدس محسن المسددة نحوه.

رد الفعل جاء سريعًا بشكل أدهشه هو نفسه.. تخلص عن ذراع الكابتن خالد، ومال بجذعه للخلف بهرولة، ولمح الطلقة (وكأما هو مشهد سينمائي يُعرض بالـslow motion) تعبر أمام عينيه مباشرة.. تشق فراغ الطوافة.. تعبر باب كابينة القيادة المفتوح.. ثم تنغرس في مؤخرة عنق الطيار.

- لا، لسه موصلتش نزلة المعادي.

قالها معتز الجالس خلف مقعد قيادة الميني كوبر الدقيقة، وعجلاتها تنهب أسفلت الطريق الدائري نهبًا.. أصابعه تقبض على عجلة القيادة، وعلى التابلوه أمامه صورة هولوجرام مصغرة ليارا زميلته في الموقع جالسة خلف مكتبها.. تردد صوتها عبر ميكروفون سماعة تليفون السيارة:

- هو كده كده هيستناك ف القسم لغاية الظهر.. اسمع منه ونقيلك قضية كده تكون حلوة وفيها ساسبنس تعرف تشتغل عليها.
صنع غرزة خاطفة بارعة بين ثلاث سيارات وهو يدمدم من بين أسنانه:

- 48 ساعة برخامة أمه!

- إنت الي م النوع الي مبيشتغلش غير لما يتزنق.. نسيت مشاريع الكلية؟!

- خلاص خلاص، إنتي هتشتغلي؟! بقولك إيه؟ صاحب خطيبك ده لذيذ كده وهعرف أتعامل معاه ولا تلح زي صاحبه؟
- تصدق، أنا الي غلطانة إني خليته يساعد حيوان زيك!

أطلق ضحكة خافتة عابثة تداخلت مع صوت كمبيوتر السيارة المسجل ينبهه لاقترابه من تجاوز السرعة القصوى.. خفف من سرعته

قليلاً وهو يقول:

- لو مكانش لسانك زفر كده، كنا عملنا couple هایل.

- (بضجر): معلش ملناش ف الطيب نصيب يا عم المؤدب.. يلا بقى وقتك خِص، أنا مش فاضية.

- سلام يا بيبي.

انتهى الاتصال فتبددت الصورة الهولوجرامية بنعومة.

- مزيكا.. كاباكا.

قالها بلهجة أمرة لكمبيوتر السيارة، فارتفعت دقات الطبلية ممتزجة بالإلكترونيك جيتار والصوت المبحوح الـdouble لعبده كاباكا، وبدأ معتز يندندن معه صانعاً إيقاعاً بالطرق بأنامله على عجلة القيادة.

كان ذلك قبل أن يخبره الكمبيوتر بأنه مضطر إلى خفض السرعة لأن ثمة اختناق مروري على بعد ما يقرب من الكيلومتريين.. زفر بحنق مدمدماً أن "يا ديني عَ العَطَلَة!" وهو ينظر إلى مؤخرات السيارات الملتكدسة في طوابير عن بعد، وطلب من الكمبيوتر أن يفتش عن السبب على الإنترنت..

مرت ثوانٍ قليلة بلغ خلالها مؤخرة الطابور وتوقفت السيارة تماماً.. بدت له ألسنة اللهب وسحب الدخان عن بعد في موضع ما أمام أرتال السيارات المتوقفة، وذلك قبل أن يخبره الصوت المسجل للكمبيوتر بتقرير من موقع الإدارة العامة لمرور القاهرة، أن الاختناق سببه "حادث مروري قبل ثماني دقائق نتيجة انقلاب سيارة نقل، الحصر المبدئي تحطم أربع سيارات ووفاة شخصين وسقوط عدد من المصابين".

- يا فرج الله!

تمتم بانفعال وأصدر أمره للكمبيوتر فانفتح باب السيارة المجاور له رأسياً.. وثب خارجها بنشاط غير عابئ بلفحة الحرارة التي استقبلته بمجرد خروجه من قلب السيارة مكيف الهواء.. انغلق الباب خلفه أوتوماتيكياً، وانطلق هو يركض بكل قوته بين أرتال السيارات التي غادرها بعض قائديها ليستطلعوا ما هنالك، وفضلت الغالبية البقاء في الهواء المكيف وإرسال البلاغات عبر الإنترنت لإدارة المرور وراديو مصر. راح صدره المعبق بالتبغ يعلو ويهبط وهو يقطع الكيلومتريين الفاصلين بينه وبين موضع الحادث ركضاً.. سمع هديراً يقترب.. توقف يلهث، ورفع لأعلى وجهاً غارقاً في العرق.. ضيق حدقته بسبب الشمس، ولمح طوافة الإسعاف تحلق في السماء الصافية مقتربة.

(قبل عشرين دقيقة):

يتحرك بخطوات بطيئة، ولكنها واثقة.

كم ظل سائراً على قدميه؟ لا يعرف.. فقد من ضمن ما فقد -بفعل المخدر الذي حُقِنَ في عروقه قُبيل دخوله الماكينة- الإحساس بمرور الزمن.

بالواقع لم يكُ هو من يتحرك.. لم يكُ من يتحكم.. لم يكُ من يرسل الإشارات الكهربائية الناتجة عن تفاعلات الصوديوم والبوتاسيوم في الخلايا من المخ إلى الأعصاب ومن ثَمَّ للعضلات.

كان الوعي غائباً تماماً، ودفة الجسد كانت بالكامل تحت سيطرة تلك الهالة غير المرئية من الطاقة الحيوية أو السيل الحيوي أو الإكتوبلازم

المحيط بالجسد.

هي التي تقافزت من حول الجسد وتضاعفت قدراتها أضعافاً مضاعفة بينما الماكينات داخل البوتقة تمزق أوامر الجسد المخدر صاحبه كلياً.

هي التي اندفعت كالعاصفة لتغزو عقل المهندس الشاب الواقف أمام البوتقة وسط رجاله، تنبش فيه، تنتزع صورة لطفلة صغيرة (ابنته) وفي جزء من الثانية تجسدها أمامه، فيراها في عقله موثقة داخل البوتقة تصرخ ألماً، يجن جنونه ويهرع ليضغط أزرار الكمبيوتر، فيوقف عمل برنامج استخلاص الطاقة الحيوية، ويفتح باب البوتقة. كيف عرفت أن هذا المهندس هو من يملك إيقاف البرنامج؟ هل أدركت أن هناك برنامجاً أصلاً بينما صاحبها نفسه لا يدرك من أمر نفسه شيئاً؟!

كيف شقت طريقها إلى خارج المزرعة بجسد ممزق وبصر فقأت الماكينات داخل البوتقة أدواته؟!

كيف امتلكت تلك القدرة؟!

هل مارستها من قبل؟!

لا توجد إجابة عما سبق.. يمكننا نحن أن نجيب فقط عن السؤال الأخير بـ“لا”. أما بالنسبة إليها، فهي لا تطرح أسئلة.. لا تفكر.. تتحرك على نحو غريزي صرف.. تستشعر ما تملك من قدرة، وتستشعر في ذات الوقت الخطر المحدق بصاحبها.

لماذا تفعل؟ لو كان لها أن تسأل أو تبحث لكان الجواب الأنسب هو ما يمكن أن تجيب به إنزيمات الهضم داخل المعدة عن سبب أداؤها لوظيفتها.

هي لا تسأل.. فقط تفعل.

ليلة ليلاء كانت.. طلع الصبح على الناس شرق الطريق الدائري فتهامسوا برعب في البيوت والمحلات والورش عن شياطين، عن كلاب مسعورة، ذئاب صهباء، ثعابين ضخمة، عصابات من السرسجية ظلت تجوب القفر الممتد بين أبو رواش وصقر قريش.

يتحدثون ويقسمون أغلظ الأيمان أنهم لم يكونوا مخمورين أو مساطيل، غير عالمين أن ما رأوه لم يكُ يعدو جسدًا عاريًا نحيفًا مغطى بالدماء، مشقق الأقدام (بعد حفاء ومسير ليلة كاملة على أرض جبلية)، أعمى (!) بعد أن انفجرت كرتا عينيه داخل البوتقة.. يسير بغير هدى أو هدف أو وعي.

لم يروا بأعينهم سوى ما انتزعته طاقته الحيوية الخارقة من عقولهم من صورٍ مرعبة ثم جسدها أمامهم وهمًا خالصًا.. الأمر الذي ربما يفسر الحركة المتشنجة التي أدار بها سائق سيارة النقل السائرة على الدائري عجلة قيادته، بينما قدمه تعتصر دواسة الفرامل ليتفادى الشاحنة العملاقة التي فوجئ بها تبرز من الفراغ وتندفع نحوه، في عكس اتجاه السير الطبيعي، بسرعة لا تقل عن مائة كيلومتر في الساعة. انقلبت الناقلة؛ طارت في الهواء لتعبر من فوق جسد نحيف مغطى بالدماء يقف متهالكًا في منتصف الطريق الأسفلتي السريع.. ثم تهوى أرضًا لتقلب مرتين بدوي صاخب.

صرير الفرامل امتزج بعواء الكلاكسات وصرخات النساء وارتطام عشرات السيارات بعضها ببعض.. ثم انفجار خزان وقود الناقلة.

حدق رئيس التحرير في فيلم الهولوجرام المجسم أمامه لموقع الحادث بعينين فاحصتين، قبل أن يداعب ذقنه الحليقة، ويقول بلهجة راضية:
- Good job يا معتز.

المشاهد ثلاثية الأبعاد المجسمة في فراغ المكتب حملت لقطات متتالية من مناظير وزوايا مختلفة لموقع الحادث على الطريق الدائري.. الفوضى والسيارات المتداخلة والزجاج المكسور، والنيران كثيفة الدخان المندلعة في جسم الناقلة المقلوبة، خراطيم المطافئ التي ترش تيارات من المياه لإخماد الحريق، ورجال الشرطة والإسعاف يهرعون هنا وهناك لنقل الجثث وأجساد المصابين.

ارتفع صوت معتز المتحمس عبر ميكروفون الهاتف الموزعة سماعته باحترافية في المكتب:

- لسه يا ريس، مفيش ولا جورنال أو ويب وصل موقع الحادث.. يعني الصور بتاعتنا هتبقى الأولى.

حرك رئيس التحرير الهولوجرام بأصابعه ليتمكن من الرؤية بشكل أوضح، وهو يتساءل:

- الشرطة قفشت على التصوير؟

تحركت شفتا الصورة الدقيقة المجسمة لمعتز وهو يجيب:

- ف الأول مخدوش بالهم مني، وبعد ما بعدوني ومنعوا التصوير استعملت ”الجاسوس“. حددت الإحداثيات وزوايا التصوير المطلوبة ووظبطت البرنامج وسبته يصورلنا الفيلم الجميل ده.

- اشتغلت بالجاسوس قبل كده؟

- مرة واحدة أيام الكلية يا ريس.. كان واحد زميلنا له عم مصور حر وببشتري الكاميرات الجديدة أول بأول، وسمحلنا نستعملها.

- (مبتسمًا): طب ما انت كويس أهو.

- أنا مش ناقصني غير الفرصة تجيني بس يا ريس.

- الفرصة مبتروحش لحد، إنت اللي بتروحلها.. (مستمر في تقليب اللقطات) طبعًا إنت عارف اننا مش هننزل بالصور دي كلها عشان منفضحش نفسنا ونزعل الأمن الوطني والمجلس الأعلى للصحافة.. إحنا مجرد بس هـ.. إيه ده؟!

التقى حاجباه وهو يحدق لوهلة في الجسد النحيل النازف الممدد على الأسفلت.

- فيه حاجة يا ريس؟

لم يرد.. نقر بسبابته على صورة الجسد، فقامت الكاميرا بتكبيرها مع الحفاظ على الـ resolution العالية.. حديق مبهوئًا في الجلد المتسلخ المصبوغ بالدم، والجروح البشعة التي تزين الكتفين والصدر والبطن والفخذين.. نقرة أخرى على الوجه، شهق وهو ينظر إلى الفجوتين الخاليتين من الأعين.

- فيه حاجة يا ريس؟

- (بصوت مختنق): ده من مصابي الحادث؟!

أجاب معتز بعد لحظة من الصمت نظر خلالها (في سيارته) إلى اللقطة المقصودة:

- أكيد يا ريس.. أومال إيه اللي خرشمه كده؟!

هز رئيس التحرير رأسه قائلاً:

- الجروح دي مش بسبب الحادث.

ونقر نقرة أخرى طالبًا المزيد من الـ zoom.. تأمل الجروح القطعية

في الذراعين.

- دي جروح قطعية متعمدة أحدثتها أدوات حادة.. وعلى درجة من التجلط.

- يعني إيه؟

- يعني دي جروح مش حديثة.. على الأقل مش من زمن الحادث ده.

ثم مال بجسده مدققاً.

- ده عايش أصلاً؟

- عايش يا ريس والإسعاف نقلته على المستشفى (Emergency Case) مع باقي المصابين.

- تطلع على هناك دلوقتي حالاً، وتجييلي ميديكال ريبورت كامل بحالته.. حجم الإصابات وأسبابها وكده.

- حالته هو بس، ولا حالات كل المصابين؟

قال بضيق:

- حالة كل المصابين أوتوماتيك يا معتز من غير ما hقولك طبعاً.. مفهوم؟

- مفهوم يا ريس.. بس...

- بس إيه؟!

- بالنسبة للخبر والسبق الصحفي وكده؟

- هينزل حالاً على الموقع باسمك.. المهم تكمل عشان شكله حوار كبير.

- ومهلة الـ 48 ساعة؟

- (بصرامة): لسه زي ما هي!

تبدد هولوجرام معتز إثر انتهاء الاتصال الهاتفي، وعاد رئيس التحرير يقلب في اللقطات المجسمة، تحديدًا لقطات الجسم النحيف الجريح الممدد أرضًا.. بالمزيد من الزووم وتعديل زوايا التصوير تمكن من ملاحظة جرح حديث تنزف منه الدماء في المنكب الأيمن.. ثم لم يلبث أن التقى حاجباه مجددًا.

نقرة أخرى وأخرى وأخرى، ثم ضاقت حدقاته وهو يحدق في الحروف المنقوشة على الكتف، والتي لم تفلح الدماء المتجلطة في إخفاء الحرفين الأبرز منها.
E.N.

(أزيز الهاتف).
- آلو يا ريس.
- معتز، خلصت المديكال ريبورت؟
- لسه واصل المستشفى يا ريس، الطريق واقف بسبب الحادثة إنت عـ..
- (مقاطعًا): اسمعني كويس.. هتخلص الريبورت، وهتطلع مشوار مهم جدًّا عشان تستكمل التحقيق.

انتهى إمام مسجد السلام بحي عاشر مدينة نصر من أداء صلاة العصر.. سلم المصلون من خلفه ذات اليمين وذات الشمال، ثم انتظموا صفوفًا ليؤدوا صلاة الجنازة التي سبق وأن نَوّه عنها قبيل تكبيرة الإحرام.

جاء النعش محمولاً على الأكتاف.. وُضِعَ أمام الإمام الذي صلى سريعًا على صاحبه، ثم عادت

الأكتاف والأذرع لتتناقله، مصحوبة باسترجاع وتهليل الألسن حتى استقر أخيرًا في قلب عربة نقل الموتى.

العدد لم يكُ كبيرًا، وأغلب المصلين كانوا موجودين بالصدفة وفضلوا الانتظار بعد الفريضة لأداء صلاة الجنازة طمعًا في ثوابها، لذا كان منطقيًا أن يكون العدد الذي صاحب الجثمان إلى مثواه الأخير محدودًا.. الأمر الذي سهل على معتز الجالس في سيارته تمييز السيدة الستينية الوقورة المتشحة بالسواد، التي تغطي عينيها بمنظار شمسي داكن، وتسير بخطوات واهنة متكئة على ذراع سيدة شابة في النصف الأول -كما حَمَّنَ معتز- من الثلاثينيات ترتدي جاكيت رماديًا وجوبًا قصيرًا بنفس اللون يكشف عن ساقين بديعتين.. وتغطي عينيها هي الأخرى بمنظار داكن.

المدفن مبني بالطوب الأحمر ومغلق بباب من الفولاذ ذي رتاج إلكتروني رقمي. جرت مراسم الدفن وسط جو حزين، بدت أجواء

وألوان الغروب المقبل بسرعة ملائمة له.. ”مدفن عائلة الهلالي“. قرأها معتز على اللوح الرخامي المثبت قرب باب المدفن بصعوبة من مكانه داخل سيارته، نقل بصره بين العدد المحدود من الرجال والنساء المتشحين بالسواد ثم عاد ليركز على السيدة الستينية التي اختارت أن تقف مع مرافقتها الثلاثينية على مبعدة من الجمع.

”يا شعب مصر، جه الوقت عشان تفوق.. حياتك وحريتك وكرامتك أصبحت على المحك“.

خرجت الكلمات من الفيديو القديم قديم مرحلة ما قبل ظهور الهولوجرام.. تأمل معتز ملامح قائلتها الأربعينية المحجبة وقد امتلأت بقدر هائل من العزم والتصميم.

”إحنا أصبحنا فريسة العالم كله بينهش فينا“.

عاد يرفع عينيه إلى السيدة الستينية الواقفة عن بعد.. فكر أن ربع قرن فعل الكثير حقًا في هذا الوجه المكتنز والجسد الممتلئ.. فكر في هذا وعيناه ترحفان على الجسد الهزيل الذي فقد الكثير من وزنه وحيويته وبدأ أكثر ضالة في الثياب السوداء.

نقرة على الشاشة.. فيديو آخر لها وسط مظاهرة حاشدة تقطع شارع جامعة الدول، إلى جوارها يسير رجل أربعيني نحيف في ثياب بسيطة.. عدد من ميكروفونات المحطات الفضائية مصوبة إليهما.

- ”مفيش رفاهية لأي خيانة أو مصالح شخصية أو صراعات سياسية..
الملايين اللي نازلة الشارع دي عارفة كويس إن الخطر المرة دي حقيقي
وبيمس أرواحهم حرقيا“.

- (مراسل إحدى الشبكات الإخبارية): خطتكم إيه؟

- (بصوت يحاول أن يعلو على الهتافات الصاخبة): ”التصعيد لأعلى
من أعلى سقف ممكن.. شايف الناس اللي حوالينا دول؟ فيه زيههم
ملايين ف كل ميادين مصر والعالم الحر.. ومحدث منهم هيسيب
الشارع ويرجع بيته لغاية ما الصفقة القذرة اللي بين الشركة والدولة
تتفصح، وكل من تأمر على أرواح المصريين يتحاسب“.

- (مراسل شبكة أخرى): ”ممکن تكلّمونا عن أسلوب التصعيد؟“.

- ”الاعتصامات.. المظاهرات السلمية.. العصيان المدني“.

ارتفع رنين الهاتف، تعرف كمبيوتر السيارة على المتصل، فأمره معتز
بالإيجاب، وفي اللحظة التالية تكوّن هولوجرام مجسم دقيق لرئيس
التحرير.

- لقيتها يا معتز؟

- لقيتها يا ريس.

- (بانفعال): اتعرفت عليها؟ متأكد إنها هي؟!

- 90% هي.. شكلها اتغيّر عن الفيديوهات القديمة اللي حضرتك

بعتهالي يا ريس.. عجزت أوي.

- طبعي، دول 25 سنة.. لو كانت هي فعلاً!

- صورتها؟

- آه.

- ابعطي الصورة.

أطاعه معتز، ومرت ثوانٍ من الصمت قال الرئيس بعدها بلهجة مشوبة بالارتياح:

- هي.

- ملهاش عنوان أو داتا ممكن نوصلها؟

هز رأسه مجيباً:

- مفيش أي داتا من أي نوع.. هي سافرت برة مصر من بعد الأحداث القديمة، وكل بياناتها امحت كأنها ملهاش وجود.. ومن كام سنة عرفت من مصدر خاص انها رجعت مصر.. بس معرفش فين ولا بتعمل إيه.

- يعني لولا الجنازة دي مَكناش هنعرف نوصلها؟!!

- بالظبط.. دي صدفه أقرب للمعجزة.. بشير الهلالي الله يرحمه كان أقرب أصدقائها، وكان شريكها ف القلق الي حصل زمان من 25 سنة، ولما شوفت خبر الوفاة على النت، ربك ألهمني انها إذا كانت عايشة فهي لازم هتكون ف جنازته النهارده.

تساءل معتز وهو يحدق بإمعان في ساقى الشابة الثلاثينية التي ترافق هدفه:

- ودي إيه علاقتها بالتحقيق بتاعنا يا ريس؟

صمت رئيس التحرير للحظة ثم أجاب:

- بيان الداخلية وشهادات الشهود بخصوص الحادثة مرتبكين جدًا..
مفيش قصة محددة متماسكة تفسر إزاي الحادثة دي حصلت..
والكاميرات المتوزعة على الطريق مش موضحة الي حصل بالضبط..
فيه حاجة غامضة ف الليلة دي.. حُط دي مع الشخص المتشلفط
المختوم بلوجو E.N.

وأردف ببطء وكأنه يكلم نفسه:

- لو الي بفكر فيه صح، فالمخمضة الي حصلت النهاردة دي هي
نفسها الي حصلت من 25 سنة.

- الي هو إيه يا ريس؟

- سوبرمان.

- سوبرمان؟!

- سوبرمان جديد.

- مش فاهم يا ريس!

- هفهمك، بس المهم دلوقتي تمشي وراها، تعرفلي ساكنة فين.. ثمرة
العربية.. ادخل على النت اعرفلي بياناتها.. عندنا أكثر من طرف لأكثر
من خيط.

تنحنح معتز قائلاً:

- وال 48 ساعة؟

- (بصرامة): وصلوا 38 يا أمور!

*****.

(إعلان تليفزيوني):

(لقطات لعروس شابة جميلة في ثوب العرس الأبيض، تتبادل french kiss مع عريسها الشاب الوسيم، يرقصان slow، يقطعان تورتة الفرح، تدير ظهرها لصديقاتها ثم تلقي لهن بباقة من الزهور وهي تشاركهن الضحكات المبتهجة).

(موسيقى ناعمة في الخلفية).

- (تعليق صوتي أنثوي): مين فينا يا بنات مَحْلَمِتَش باليوم ده؟
الفرح.. الأبيض.. الورد.. الأهل والأحباب.. بداية حياة جديدة
مع الإنسان الي اختاره قلبك؟

(لقطة خارجية لمنزل أنيق).

- (الصوت الأنثوي): طب كام واحدة فينا حلمها مَتَحَوِّلَش لكابوس؟!

(الموسيقى تفقد نعومتها وتزداد غلظة).

(طفل سمين يصرخ "جعان يا مامي؟". طفلة أصغر منه سنًا تبكي بسبب تحطم لعبتها.. رضيع لا يتوقف عن الصراخ.. الزوج -العريس الشاب الوسيم في المشهد الأول- بكرش منتفخ في فانلة داخلية بيضاء وبوكسر منقط يمسك قميصًا بين يديه ويهتف مواجهًا الكاميرا "القميص بقاله إسبوعين ف الغسيل يا هانم". "الأكل فييين؟!". دخان كثيف يتصاعد من حلة على نيران البوتاجاز.. أكوام من البامبرز المستعمل متناثرة في الحمام.. "مش معقول كده، البت عواطف تتأخر لها يومين، البيت يتحول لزريبة!").

- (الصوت الأنثوي متحسرًا): مش بس كده!

(الزوج ينهض من الفراش بحركة حادة، يلتفت إلى زوجته المستلقاة إلى جواره في ظلام الغرفة.. يدمدم بصوت لاهث ولهجة ساخطة "تعبانة تعبانة! كل يوم تعبانة! وأنا إمتى هاخذ حقي الشرعي؟!").

- (الصوت الأنثوي): هي دي البنوتة الحلوة اللي كانت منورة فستان فرحها؟!

(الزوجة -العروس الشابة الجميلة في المشهد الأول- وقد تعملت أردافها وتهدل صدرها في ثياب منزلية غير متناسقة، وأطلت خصلات شعرها جافة متقصفة من تحت إشارب يحيط برأسها.. هالات سوداء تحيط بعينين شاردتين اكتسبتا نظرة كثيبة ثابتة، وسيجارة مشتعلة بين أسنان صفراء).

- (الصوت الأنثوي): هي دي النهاية؟!

(تراجع الكاميرا بحركة بان ليتسع الكادر، ويظهر الزوج والأطفال وقد أحاطوا بالزوجة البائسة الجالسة إلى ترابيزة وسط المطبخ الخانق المتسخ المليء ببقايا الطعام تملأ الأطباق وأواني الطهي، وكل منهم -الزوج والأطفال- يعوى مطالبًا الزوجة بتلبية طلباته).

- (صوت أسامة منير): لا، مش دي النهاية!

(يظلم المشهد ويختفي الكل ما عدا الزوجة التي تلتفت لتحقق في الكاميرا مباشرة بعينين دامتتين يطل منهما مزيج من الضراعة والأمل).

- (صوت أسامة منير): لسه قدامك الفرصة إنك تستردي حياتك وتحققي أحلامك.. شركة The Eye بتقدمليك أحدث إنتاجاتها.. المنزل الذكي.. SMART HOME.

- مع SMART HOME.. مشاكلك مع شغل البيت اتحلت.

- SMART HOME نظام تشغيل بيتك تركيبه في بيتك، بيتحكم في كل أجهزة وأدوات البيت بناءً على أوامرك الصوتية.. S.H. بيحتفظ في ذاكرته بالبصمة الحيوية لأفراد الأسرة، وبناءً عليها بيلبي طلباتهم الشفهية منه.

- مع SMART HOME مش هتحتاجي إنك تدخلي بيتك واحدة غريبة عشان تساعدك ف شغل البيت.. SMART HOME هيبقى

خادمك الأمين.

- SMART HOME هي تقوم بكل شغل البيت.. المطبخ.. الغسيل..

أعمال النظافة.

- مع SMART HOME إنتي ملكة ف بيتك.

- مع SMART HOME وقتك بقى ملكك.

- مع SMART HOME حياتك رجعتك.

فتح وليد عينيه.

لأول وهلة بالطبع آلم الضوء حدقتيه، فأغمض عينيه مرة أخرى بقوة
ثم عاد يفتحهما بحذر.

- وليد، سامعني؟

ظلت الرؤية مهتزة غائمة للحظات ثم بدأت تدريجيًا في الاستقرار
والاتضاح.

- لو سامعني، حرك راسك.

وجه شاب حليق يطل عليه من فوق معطف طبي أبيض، وإلى
جواره وجه آخر مألوف.

- سامعني يا وليد؟

غمغم بصوت واهن:

- سامعك.

ابتسامات.. تنهيدات ارتياح.

تمتم:

- أنا فين؟

أجابه صاحب المعطف الأبيض:

- إنتَ ف المركز الطبي التابع لـ E.N.

سمع صاحب الوجه المألوف يقول بصوت مألوف:

- الحمد لله على سلامتك يا وليد.

وكأهما طرق الصوت المألوف بابًا منسيًا في الجدار حالك السواد الذي يحيط بعقله، فانفتح مرسلًا دفقة من النور.

- كابتن خالد!

قالها بضعف، قبل أن يستسلم لتيار الصور والأصوات والروائح الذي انهمر عائداً إلى ذاكرته.

الكابتن خالد!

يذكره ملتصقاً بمقعده في الطائرة العائدة بهم إلى المزرعة، وقد شدد زين قبضته حول عنقه.

يذكر أنه سحب سلاحه وسدده إلى زين الذي تحرك أسرع من الجميع، فأطلق الطلقات المخدرة من مسدس الكابتن خالد.. أسقطت طلقاته شادي، ثم مصطفى.. وقبل أن يطلق المزيد نحو وليد، كان الأخير قد ضغط زناد سلاحه.

الوغد تحرك بانعكاس حركي مذهل، مال مبتعداً عن مسار الطلقة وتركها تشق الفراغ لتصيب

الطيّار عبد الله في مؤخرة عنقه، فأسقطته في اللحظة التالية منكفئاً على لوحة أزرار القيادة.

تتداعى تفاصيل هذه اللحظة الكابوسية إلى ذاكرته.. هو متجمد في موضعه، أصابعه متقلصة حول مقبض وزناد مسدسه.. يحدق غير

فاهم في جسد عبد الله المرتخي.. الطائرة تفقد توازنها، تميل..
يترنح.. في اللحظة التالية ينتبه لزين.. يلمح له إذ يثب، يطير في فراغ
الممر القصير بين المقاعد تجاهه.

يستعيد سيطرته، يحاول أن يرفع مسدسه لكن جسد زين يرتطم
به في نفس اللحظة.. يسقط أرضاً بعنف.. الطائرة تميل أكثر.. أصابع
زين تقبض ككلابة من حديد على معصمه الممسك بالمسدس، تخبطه
بعنف في حافة المقعد المجاور، فيطير المسدس بعيداً.

تفور الدماء في عروقه، يزمجر غاضباً.. يميل برأسه ليتفادى لكمة من
قبضة زين تنغرس في أرضية الطائرة المخملية، ثم يثني ساقيه ويدفعه
عنه بعنف إلى الوراء، قبل أن يثب واقفاً بهرولة أكسبته إياها التدريبات
الشاقة الطويلة، ويستدير لمواجهة خصمه.

الطائرة تميل أكثر.. جسد الكابتن خالد فاقد الوعي يسقط عن
مقعده.

يشتبكان في قتال يدوي.. الاثنان متقاربان جسداً وعمراً وتدريباً..
لشوانٍ قليلة تتطاير الضربات والركلات في الاتجاهين فتطيش أو تُصد..
ثم يرتج رأسه بعنف إثر ضربة مزلزة أصابت صدغه.. يتراجع خطوة
للوراء قبل أن يشهق بألم عندما يهوى حذاء زين العسكري الثقيل على
جانب قبضة ساقه فيهشهما.

يسقط أرضاً، يشعر بإحدى قبضتي زين تحيط بعضده والأخرى
تقبض على مؤخرة عنقه.. يسمعه وهو يفتح من بين أسنانه:
- الماما بتزذلك السلام.

يصرخ عندما يدير ذراعه اليمنى بعنف فيخلعها من مفصلها، ثم
يغيب عن الوعي عندما يخط رأسه مرتين في جانب المقعد المجاور.

زمجِر بمزيجٍ من غضبٍ ومرارة.. حرك ذراعه المصابة وأدهشه أن طاوَعته بيسرٍ وبلا أَلَمٍ تقريبًا.. نقل بصره إلى وجهي الكابتن خالد والطبيب الشاب المبتسمين، قبل أن يسمع الأخير يقول:

- بمجرد وصولك خضعت لجراحتين ليزر، واحدة في ذراعك والثانية في ساقيك.. تم استبدال أعضائك المهشمة بأعضاء صناعية بـ cover من أنسجة بشرية طبيعية، تم توصيلها بنجاح بالنهايات العصبية. ردد بدهشة وهو يرفع ذراعه اليمنى أمام وجهه، ويضم أصابعه ويفردها:

- سايبورج؟!

- بالظبط!

حرك ساقيه بشكل طبيعي (انتبه في هذه اللحظة أنه جالس إلى مقعد وثير أقرب إلى مقاعد عيادات أطباء الأسنان) متسائلًا بدهشة:

- بس أنا اتكسرتلي رجل واحدة بس!

اتسعت ابتسامة الطبيب وهو يقول:

- الأعضاء الصناعية أقوى وأسرع 3 مرات من الأعضاء الطبيعية، واضطرينا نستبدل الساق السليمة بساق صناعية عشان توازن سرعة الساق الأولى المستبدلة، وإلا كنت هتواجه مشاكل كثيرة في الحركة. تساءل:

- أنا هنا من إمتي؟!

- حَمَس ساعات، استغرقت الجراحة منهم 3 ساعات.

انتبه إلى أنه لم يسأل أسئلة مهمة، فأدار عينيه إلى قائده، الكابتن خالد، متسائلًا:

- الطيارة! الطيارة ماوق...!؟

قاطعته إشارة صامته من عيني الكابتن خالد الذي التفت للطبيب الشاب وسأله:

- يقدر يمشي إمتى يا دكتور؟

نقل الطبيب بصره بينهما وهو يجيب:

- هو تلقى كورس متكامل من المضادات الحيوية والمسكنات، والأهم عقاقير تجديد الخلايا الي بتسرع التئام الأنسجة.

كرر الكابتن خالد بنفاد صبر:

- إمتى؟

- 6 ساعات راحة وبعدها شوية اختبارات، عشان نضمن على توافق حركة الأعضاء الجديدة و...

نهض وليد من رقدته بحركة رشيقة مفاجئة، حرك ذراعيه وساقيه بشكل طبيعي وهو يقول:

- التوافق زي الفلّ يا دكتور.

فتح الطبيب فمه ليعترض، غير أن الكابتن خالد بادر:

- اسمع كلام الدكتور يا وليد.

- بس يا كابتن...

قاطعته ملتفتاً للطبيب:

- هو هيخضع للـ time schedule يا دكتور، بس أنا محتاج أتكلم معاه شوية.

نقل الطبيب بصره بينهما قبل أن يتنهد قائلاً:

- It's ok ، بس دقايق من فضلك، وتسييه يرتاح.

غادر الحجرة بخطوات سريعة، وانزلق الباب لينغلق أوتوماتيكياً من خلفه.

- إرتاح يا وليد.

عاد وليد ليسترخي في مقعده، وحدق بعينين فضوليتين في وجه قائده الذي جلس على مقعد قبالته وقال بهدوء:

- الطائرة ما وقّعتش.

وامتدت أصابعه لتخرج علبة السجائر من جيبيه قبل أن يتذكر أن التدخين ممنوع بالضرورة في المركز الطبي، فأعادها إلى موضعها وتابع: - الطيار الآلي استشعر فقدان الطائرة لتوازنها بعد ثوانٍ من سقوط عبد الله، وسيطر عليها أوتوماتيك ورجعها سليمة للمزرعة.

- وزين؟!

- اختفى.

- اختفى!

- هرب.. الصندوق الأسود سجل فتح باب الطائرة قبل دقائق من هبوطها، وبالحصر لقينا فيه مظلة هبوط وجهاز اتصال مفقودين.

أطل المقت واضحاً من عيني وليد وهو يقول:

-والعمل؟!

- دي حالة في اللايحه تدخل تحت بند ”سهم مكسور“، يعني المفروض تبدأ عملية تعقب ومطاردة عاجلة.. دا صياد هارب، مدرب، عنده مهارات متقدمة، وعارف حاجات كتيرة ممكن تعمل شوشرة، ولازم نحط إيدينا عليه قبل ما يسبب مشاكل.

- (بحماس): عظيم!

هز خالد رأسه نافيًا وهو يقول:

- لا مش عظيم ولا حاجة! عملية التعقب بدأت متأخر جدًا ومن غير التزام بالبروسيدجز.

- (بحيرة): ليه؟!

التقا حاجباه وهو يجيب ببطء:

- فيه مشكلة.. مشكلة كبيرة حصلت امبارح بالليل، ف مزرعة أبو رواش غالبًا.. بطارية هربت.

ردد وليد مذهولاً:

- هربت إزاي؟!

- معنديش تفاصيل، دي معلومة عرفتھا شفهي كده من مدير العمليات، هو صاحبي أساسًا، وأنا برفعله تقرير باللي حصل.. البطارية هربت فعلاً والحوار ده عامل قلق جامد، وفرّق المطاردة كلها نزلت تَدَوّر عليها، وده معناه إننا هنشتغل وحدنا.

- وحدنا!

- آه يا وليد وحدنا.. إحنا هنتعرض لتحقيق وغالبًا كنا هنتفشخ بسبب هروب زين مننا، لولا حوار البطارية المفقودة دي الي نزلنا نجدة من السما.. الدنيا اتقلبت والكل انشغل فيه، وده هيدينا مهلة زمنية ننبش الأرض وراه لغاية ما نلاقه.

وضغط على حروفه وهو يحرق في عينيه مباشرةً مستطردًا:

- نصطاد زين = مستقبلنا.

كوّر وليد قبضته الصناعية الجديدة، وقال من بين أسنانه:

- هَستمتع بالصيد ده.

- ربت الكابتن على كتفه وهو ينهض قائلاً:
- مصطفى وشادي عاملين غرفة عمليات لاقتفاء آثاره.. هتخلص علاجك وتحصلني على هناك.
- حاضر.
- تصافحا، وابتسم الكابتن خالد وهو يستشعر قوة الأصابع الجديدة حول عظام قبضته، وقبل أن يغادر سمع مرؤوسه يناديه:
- كابتن خالد!
- التفت ينظر إليه متسائلاً.
- سؤال أخير.
- اسأل.
- البطارية اللي زين سرقها من المزرعة.. راحت فين؟!

أوقفت إيمان سيارتها بمحاذاة الرصيف في ذلك الشارع الهادئ من شوارع جاردن سيتي.. التفتت إلى خالتها العجوز وقالت:

- شدي حيلك.

تنهدت قائلة:

- تعيشي يا إيمي.

والتفتت تواجهها وهي تردف:

- اطلعي اقعدي معايا شوية.

غمغمت إيمان معتذرة وقالت شيئاً ما عن ”الشغل وكده“، فقالت الخالة العجوز بابتسامة واهنة لم تُخفِ ما زال عالقاً من الحزن:

- شغل مين يا ام شغل؟! اليوم خِص خلاص.

ملأت إيمان عينيها بمشهد الشارع الهادئ الغارق في ضوء الغروب البرتقالي، ثم نظرت إلى أرقام ساعة السيارة فقالت خالتها مشجعة:

- بقالك كتير مزورتيش خالتك العجوزة.

- (بتخاذل): عندي معاد الـgym برضه!

وكرتها خالتها في كتفها برفق وهي تقول:

- يلا يا إيمي متبقيش رخمة بقى.. هما كوبايتين شاي وتلحقي الـgym بتاعك.

صمتت إيمان مفكرة للحظة ثم هزت رأسها ومدت أصابعها لتطفئ موتور السيارة.. غادرتا إلى مدخل بناية قريية ذات طابع كلاسيكي عتيق لا يخلو من أناقة.. أشارت إيمان إلى متجر صغير مغلق لدى عبورهما أمامه:

- البازار أجازة النهارده؟!

أجابت الخالة وهي تعبث في حقيبة يدها:

- سماح، البنت اللي بتُقَف معايا مَجَتَش النهارده، وجالي مشوار الجنازة ده فاضطريت أقفل البازار.

- هي مش كان اسمها مروة؟!

- لا، مروة مِشيت من زمان.

- ليه؟ دي كانت كويسة!

- مفيش حاجة بتفضل على حالها.

قالتها الخالة العجوز وهما تصعدان آخر الدرجات القليلة في مدخل البناية الكلاسيكية وتوقفان أمام باب شقة تقليدي من الخشب المشغول، تجاوره لافتة معدنية صغيرة تحمل بخط متعرج "شقة رقم 1- شادية نور الدين". انحنى لتدس المفتاح في الثقب المخصص وتديره ثم تدفع الباب.

- اتفضلي يا إيمي.

دخلت إيمان لتغوص في الظلام شبه الدامس إلا من الضوء القادم من مدخل البناية.. غابت شادية بالداخل للحظات، ثم ارتفع هدير محرك مفاجئ لم تنزعج له إيمان، وكأنها بشكلٍ ما تتوقعه. سمعت صوت خالتها:

- افتحي النور من عندك.

مدت أناملها لتتحسس الحائط المجاور لها حتى عثرت على زر الإضاءة.. ضغطته فانبعثت الإضاءة البيضاء الناعمة من أكثر من مصباح فلورسنت موزعين بانتظام في أرجاء المكان.. برزت شادية من مدخل المطبخ القريب من باب الشقة وعلى شفيتها ابتسامة مجعدة. أغلقت إيمان باب الشقة وتساءلت:

- الجيران مبيشتكوش من صوت الدينامو؟!

- الحيطان عندي وعندهم عازلة للصوت.

- ابتسمت إيمان بسخرية وهي تخلع سترتها قائلة:

- طب كويس والله إنك رضيتي تستعملي عوازل الصوت!

- هَنبِتدي؟!

قالتها شادية مبتسمة، ثم أشارت بأصابعها مستطردة:

- ادخلي التويليت واغسلي وشك بقى وخُدي راحتك على ما اعمل الشاي.

أطاعتها إيمان، وخرجت من الحمام وقد أነع وجهها بقطرات المياه لتلقي نظرة طويلة على محتويات صالة الشقة التي بدت لها مغرقة في الكلاسيكية، وكأنها صورة هولوغرامية ملتقطة من الزمن القديم.. السقف الشاهق والنوافذ الطولية الضيقة، الكرانيش ذات المنمنمات الكلاسيكية، السجاجيد معقدة النقوش حائلة اللون، النجف الكريستالي.. المقاعد والأرائك القديمة المغطاة بالملءات وقايةً لها من الأتربة، ثم الشاشة المسطحة الـ LCD العتيقة التي تتوسط حائط المدخل.. كل هذا على خلفية رتيبة من صوت الدينامو القادم من المطبخ.

- أفتح الـ T.V. إزاي؟!

تساءلت بصوت عالٍ وهي تنفخ بحنق، فأجابتها شادية من المطبخ:

- الريموت كونترول عندك على التراييزة.

نظرت إلى التراييزة وتناولت الريموت، حدقت فيه باستهجان وهي تقلبه بين أصابعها وكأنه قطعة أثرية، قبل أن توجهه نحو الشاشة وتضغط أزراره عشوائيًا ثم تلقيه جانبًا وتستلقي على الأريكة، تريح رأسها على المسند الخلفي، وتسبل جفניה غير عابئة بما يدور على الشاشة.

لم تدر كم ولا كيف ولا متى نامت.. فقط شعرت بأنامل شادية تربت برقة على كتفها، وتسلفت رائحة شهية إلى أنفها.. فتحت عينيها لتجد أمامها صينية تحمل طبقًا ممتلئًا بقطع الكرواسان الساخن، ومَج شاي يتصاعد منه البخار، وانتبهت لأنها مغطاة بكوفرتة خفيفة.. قالت لها خالتها الملتحفة بإسداد صلاة:

- إنتي تعبانة أوي كده؟!

- (تفرك عينيها بأصابعها): مَبنامش كويس.

نظرت إليها شادية قائلة بإشفاق:

- ليه يا حبيبتي؟

خللت إيمان أصابعها بين خصلات شعرها وهي تعتدل لتفرد ظهرها.. تجاهلت إجابة السؤال، وأشارت إلى الطبق الذي يتصاعد منه البخار شهى الرائحة وتساءلت:

- عمايل بيت؟

هزت شادية رأسها وهي تبتسم، ثم قالت:

- هَـصلي العشا وأَجيلِك.

- (بدهشة): أنا نمت كثير كده؟!

أجابتها بابتسامة حنون وهي تستدير متجهة إلى غرفة نومها.. أدت صلاتها ثم عادت لتجد ابنة أختها قد أتت على ما يزيد عن نصف محتويات الطبق، وراحت تحسو من مَج الشاي وتسحب الأنفاس بالتبادل من سيجارة مشتعلة بين أصابعها.

- حرماً.

- (وهي تنزع إسدالها): جمعاً ان شاء الله.

وجلست قبالتها مرددة:

- سبحان مغير الأحوال!

- إשמعنى؟

قالت وهي تحديق في عينيها مباشرةً:

- اللي يشوفك دلوقتي ميشوفكيش زمان.

التقا حاجبا إيمان وهي تردد:

- زمان!

- أيام الالتزام، ودروس المسجد وكده.

نفثت إيمان دفقة من دخان السيجارة ثم قالت ببرود:

- إنتي لسه قايلة من شوية.

وبادلت خالتها تحديقاً في العين بتحديق في العين وهي تردف:

- مفيش حاجة بتفضل على حالها.

ارتفع حاجبا شادية وهي تردد:

- فعلا؟!

ابتسمت إيمان في سخرية وهي تقول:

- ماعدا انتي طبعًا.

وأدارت عينها في أرجاء الشقة واستطردت:

- وشقتكِ.. زي ما هي من ساعة ما سكنتها.. مفيش قشاية اتحركت

من مكانها.. حتى ف الباور، لسه بتستعملي دينامو بيشغل بالسولار!

تراجعت شادية في مقعدها واضعةً ساقًا على ساق وهي تقول:

- ودي حاجة كويسة ولا وحشة؟

- الجمود عمره ما كان كويس.. ده موت.

- حتى ولو كان جمود أو ثبات على الصح؟

نفثت إيمان مزيدًا من الدخان صانعة حلقة بيضاء متقنة، وقالت:

- مفيش صح بيستمر صح لسنين يا شوشو.

قالت شادية:

- الصح بيفضل صح طول عمره.. الخير بيفضل صح.. العدل بيفضل

صح.. الشرف بيفضل صح.

ابتسمت إيمان مجددًا وحملت ابتسامتها لمحة من قسوة وهي

تقول:

- إنتي بالذات بعد كل اللي شوفتيه المفروض متقوليش الكلام ده..

إنتي في لحظة معينة ضحيتي بحياتك وبحياة عيلتك كلها عشان الخير

والعدل والشرف.. عشان ناس متستاهلش.. كانت النتيجة إيه؟! خسرني

أهلك وأصحابك وشغلك، وفضلتي سنين مش عارفة ترجعي بلدك..

وعشان ترجعي اضطررتي تغيري اسمك وبياناتك.. لسه بعد كل ده

بتعتبري إنك ضحيتي عشان خير أو عدل أو شرف؟!
واتسعت حدقتها فبدت أشبه بنمرة مفترسة وهي قص نفساً من
السيجارة وتتساءل بانفعال:

- مش الهلالي اللي رُحتي جنازته النهارده هوَ اللي اتخلي عنك زمان؟!
أطرفت شادية برأسها وهي تغمغم:

- إنتي فاهمة غلط.

- ماتصيعيش عليّ يا شوشو.. أنا كنت صغيرة ساعتها بس كنت
فاهمة.. من بين الجروب القديم، الهلالي هوَ الوحيد اللي متقتلش
ومعتقلش ومهرّش، بالعكس، اشتهر وبقي ضيف ف برامج التوك شوز،
ومكتبه بقى أشهر من نار على علم.

صمتت شادية ولم ترد، فتابعت إيمان من بين أسنانها:
- يعني باختصار: خاين.. وسخ.

رفعت شادية عينيها ورمتها لأول مرة بنظرة غاضبة.

- بتزعلك الحقيقة، مش كده؟

- قولتلك إنتي فاهمة غلط.

- باعك وباع زماليه واشترى مصلحته، ورغم كده بتدافعي عنه
ورُحتي جنازته وبتعيطي عليه! ده برضه نوع من الثبات على الحاجة
الصح؟!

ألقت تساؤلها الأخير وهي ترفع حاجبيها متحدية.

ساد صمت متوتر بينهما للحظات، قبل أن تطفئ إيمان بقايا سيجارتها
في مطفأة قريبة، وترشف آخر قطرات الشاي، ثم تخفض المَجّ قائلة:
- تسلّم إيديكي.

- بالهنا والشفاء.

نهضت تلتقط الجاكيت الذي نضته شادية بعناية على مسند الأريكة وهي تقول:

- أنا أتأخرت أوي، يا دوب هلحق أمشس دلوقتي.
ثم وهي ترتديه:

- مش عايزة حاجة أجيبها لك من برة؟
قالت شادية بابتسامة باهتة:

- خلي بالك من نفسك.

ارتفع في هذه اللحظة رنين جرس الباب.. أجفلت إيمان للحظة ثم التفتت لخالتها متسائلة:

- مستنية حد؟

هزت شادية رأسها نافية، ونهضت متجهة إلى الباب، ورمقتها إيمان بشبح ابتسامة على زاوية فمها امتزجت فيها السخرية بالازدراء، وهي تميل بجذعها لتلتصق بالباب كي تنظر إلى الزائر بالخارج عبر عدسة العين السحرية التي انقرضت منذ زمن بعيد مع انتشار أنظمة الأمن المرفقة بأنظمة Smart Home.

فتحت شادية الباب، ورأت إيمان عبر فتحته شابًا عشرينيًا نحيفًا أكرت الشعر، ابتسم في مواجهة خالتها قائلاً:

- مساء الخير.

- مساء النور.

- معتر حشاد.. صحفي بموقع Egypt Now.

- أي خدمة؟

- لو وقت حضرتك يسمح، كنت محتاج رأيك في تحقيق مهم خاص بالموقع عندنا.

رددت بدهشة:

- رأيي أنا؟!!

- (مبتسمًا): طبعًا.

ومال برأسه قليلاً نحوها، وقال بصوت خفيض بلغ مسامع إيمان داخل الشقة:

- رأي مدام أمل الشافعي.

تجمعت التجاعيد حول عيني شادية، إذ ضاقتا وهما تحدقان في وجهه، في حين نبض قلب إيمان بعنف وهي تسمعه يستطرد:

- حضرتك.. مش كده؟

- الآنين مبيخلصش.. مبيخلصش.

- تاخذ مهدئ بسرعة، وتروح أوضتها يا منعم.

يقولها الدكتور وهو يعتدل ويتحسس راحته المحترقة بألم، بينما
تواصلت صرخاتها وهي تبتعد بين ذراعي الممرض:
- إنتو مبتسمعوش عشان ضمايركو ماتت.. ضمايركو ماتت.

مد الدكتور محسن عبد الفتاح، نائب مدير عام مركز "أبو زيد"
لعلاج الأمراض النفسية سبابته لينقر زرًا، اختفى على أثره التسجيل
الهولوجرامي، ورفع عينيه بعدها إلى مدير المستشفى الدكتور محمود
أبو زيد الجالس خلف مكتبه، تعلو رأسه صورة مؤطرة لوالده الراحل،
مالك ومدير المستشفى السابق د. حازم أبو زيد.

ساد الصمت قليلاً بين الرجلين، قبل أن يقطعه الدكتور محمود
متسائلاً بصوت مبجوح:

- دي حالة وحيدة؟

أوما الدكتور محسن برأسه موافقًا.

عاد يسأل وهو يرمق الشاشة على مكتبه:

- اسمها؟

- حياة.

- التقى حاجباه وهو يقول:
- دي باباها الـ...؟
- بالظبط.
- التحاليل وصور الأشعة؟
- نيجاتيف.
- عاد الصمت ليسود بينهما، ثم قطعه الدكتور محمود:
- شايف إيه؟
- قال محسن:
- ممكن تكون حالة فردية!
- المشكلة القديمة بدأت بحالة فردية وبعدين وسّعت.
- و انتهت خلاص من زمان.
- انتهت لوحدها.. من غير سبب علمي، وعشان كده سهل إنها ترجع تاني.
- هز محسن رأسه موافقاً من دون أن يعقب.. تساءل محمود:
- الحالة الي بابا الله يرحمه كان بيعالجها.. كان اسمه...؟
- (بشروء): أحمد خشبة.
- أحمد خشبة، صح.. كان بيعاني من نفس الأعراض.. هلاوس.. سماع أصوات.. أحلام.. وتفاقمت معاه لغاية ما اتحولت لجنون كامل انتهى بمصرعه.
- قال محسن بخفوت:
- دي كانت البداية.

ثم نظر إلى وجه محمود، والتقط غيمة الحزن السريعة التي عبرت صفحة وجهه، فأسرع يقول:

- مفيش دليل واحد على إن والدك الله يرحمه كان من ضحايا الشوطة دي.. أنا كنت جنبه الفترة دي يا محمود، وأنا بنفسى اللي عملته التحاليل وصور الأشعة.. وفاكر كويس، على عكس نتايج كل الحالات اللي جتّلنا المستشفى، نتايج تحاليل الدكتور حازم كانت نيجاتيف كلها. تنهد محمود قائلاً:

- تحاليل وأشعة حياة برضه نيجاتيف.

- وارد جداً تكون حالة نفسية عادية.. أو حتى غير عادية.

حك محمود جانب لحيته الأنيقة بأنامله وهو يقول:

- هَيبان إن شاء الله.. المهم إن مسار العلاج ينتظم، والأهم إن أي حالة مشابهة تجيلنا لازم تبلغني بيها يا محسن.

- (بابتسامة مطمئنة): أكيد يا محمود.

تنقلت عينا إيمان بانتظام بين مشاهد الهولوجرام المجسمة في فراغ الشقة، وتعبيرات وجه خالتها التي اتسعت عيناها وانفجرت شفتها قليلاً وراح صدرها يعلو ويهبط بانفعال متصاعد بينما بصرها مثبتاً على الهولوجرام.

انتهى العرض بمشهد ثابت للـ E.N المطبوعة على كتف الجسد الملطخ بالدم الملقى على أسفلت الطريق في موقع الحادث.. نظر معتز، الجالس على أحد مقاعد الصالة، لوجه العجوز وتساءل:

- ده شعار Nergy -Egy.. مش كده؟

لم ترد.. ظلت تحديق في الفراغ بشروء، وقد التمعت عيناها -بما بدت له، لدهشته- دموغاً.

نظر إلى إيمان، ونظرت إليه وهي تنفث دخان سيجارتها.

- مدام أمل!

تحركت عيناها ببطء لتستقران على وجهه.. حدقت فيه للحظة ثم قالت وكأنها تستفيق:

- نعم.

- ده شعار Nergy -Egy؟

هزت رأسها مؤيدة بآلية.

- طب والأرقام اللي مكتوبة تحتها؟

شردت بعينها للحظات وهي تسترجع صورة قديمة من الذاكرة.

جسد مفتول العضلات، عاري الجذع، يقف منتصب القامة، ندوب
عديدة منتشرة هنا وهناك، وثمة *E. N*. مطبوعة على كتفه اليمنى
وأسفل منها أرقام وحروف إنجليزية مطبوعة بخط دقيق.

- ده كود الصياد.

قالتها مجيبة بصوت متهدج.. ردد بدهشة:

- الصياد!

هزت رأسها مفسرة:

- الصياد الي اصطاده ووَرَّده لـ *Egy- Nergy*.

حدق في وجهها غير فاهم، فرفعت حاجبيها قائلة بشيء من السخرية:

- إيه؟! متعرفش العربية الي إنت جيت بيها لغاية هنا بتتحرك

إزاي؟!

- تقصدي إن...؟!

- أيوه.. أقصد.

وصمتت للحظة قبل أن تستطرد:

- بطارية.

امتنع وجهه، فواجهته بنظرة متحدية وهي تقول:

- محسني ليه إنك متفاجئ؟!

قال مرتبِّكًا:

- لا مش متفاجئ.. بس الـ...

بتر عبارته وهو ينقل بصره بينها وبين إيمان، التي جلست على الأريكة بهلامح جامدة وساقٍ على ساق، وبدت عليه الحيرة والعجز عن إتمام عبارته، قبل أن يتنهد مستسلمًا ويقول:

- ممكن نكمل التحقيق؟

سألته:

- عرفت إسمي منين؟

فوجئ بالسؤال، فصمت للحظة تابعت هي خلالها:

- الاسم دا اختفى من زمان.. حتى الإعلام نسيه من سنين.. باسبوري ورقمي القومي باسم ”شادية نور الدين“.. بنت أختي نفسها (مشيرة بكفها نحو إيمان) بتقولي ”يا شادية“.

ومالت نحوه متسائلة وهي تضغط على حروفها:

- عرفت اسمي القديم إزاي؟

تمالك نفسه وأجاب بصوت خرج منه مرتبًا:

- أنا صحفي، وليّ مصادري.

نظرت إليه للحظة ثم تراجع في مقعدها قائلة ببرود:

- فرصة سعيدة يا أستاذ معتز.

قال بسرعة:

- رئيس التحرير.

- مين رئيس تحريرك؟

- إبراهيم جودة.

ضاقت حدقتها وكأنها تبحث عن الاسم في ذاكرتها، تبادلت نظرة مع ابنة أختها الصامتة، قبل أن يضيء وجهها بالتذكر:

- إبراهيم!

- حضرتك تعرفيه؟

- (مراسل إحدى الشبكات الإخبارية): خطتكم إليه؟

- (بصوت يحاول أن يعلو على الهاتفات الصاخبة): "التصعيد لأعلى من أعلى سقف ممكن.. شايف الناس اللي حوالينا دول؟ فيه زيهم ملايين في كل ميادين مصر والعالم الحر.. ومحدث منهم هيسيب الشارع ويرجع بيته لغاية ما الصفقة القذرة اللي بين الشركة والدولة تتفضح، وكل من تأمر على أرواح المصريين يتحاسب".

- أعرفه.

خرجت الجملة منها مقتضبة، جعلتها نبرة الازدراء أقرب إلى البصقة، ثم التفتت إلى إيمان قائلة:

- أهو ده اللي بجد خاين ووسخ.

أجابتها إيمان بعمود دخان آخر من بين شفتيها المضموتين، في حين كتم معتز ابتسامة كادت تطفو على شفتيه، وكتم معها فضولاً مسته كلماتها، واستمع لها وهي تسأله:

- هو اللي قالك تجيني؟

- فعلاً.

- ووصلتولي من الجنازة؟

- بالظبط يا فندم.

رفعت حاجبًا متساءلة:

- ومتوقع مني أتجاوب معاكم؟!

قال بارتباك:

- دي أسئلة بسيطة!

- أيّا كان.. ليه أكشف شخصيتي بعد السنين دي كلها في تحقيق

صحفي ينزل على النت؟

- كلمة شرف، شخصيتك هتفضل سر محدش يعرفه.

هزت رأسها قائلة:

it is not personal يا ابني.. بس مينفعش تحُط كلمة شرف مع

إبراهيم جودة في جملة واحدة.

ابتسم قائلاً بتهذيب:

- أنا متفق مع حضرتك ف الجملة الأخيرة دي كومبليتي، وده يخليني

ألفت انتباهك لحاجة مهمة.. واحد بأخلاق وانحطاط رئيسي العزيز،

طالما وصل ليكي، فمش هيتورع إنه يفضح شخصيتك الحقيقية لو

مخدش الي هو عايزه.

التقى حاجباها وهي تقول:

- تهديد؟!

أسرع يقول:

- أبدًا والله العظيم! أنا بكلم حضرتك ف الي ممكن يعمله.

زمت شفيتها وهي تهز رأسها كأنها توافقه، صمتت مفكرة للحظات

قبل أن ترفع عينها إليه قائلة:

- موافقة بس بشرط.

أطل الاهتمام من عيني إيمان الصامته أضعاف الاهتمام الذي أطل
من عيني معتز وهو يتساءل:

- شرط إيه؟

اعتدلت مجيبة:

- توصلني المستشفى.

ردد:

- المستشفى!

- المستشفى الي نقلوا المصاب ليها.

- تروحي المستشفى!

رددت إيمان باستنكار في غرفة النوم بمجرد أن دخلتها وأغلقتا الباب
خلفهما.

لم تجب أمل وهي تفك أزرار بلوزتها على عجل، فتابعت إيمان بحلق:

- عايزة تروحي المستشفى ليه؟

- عايزة أشوف الحالة دي بنفسي.

- ليه؟!

قالتها إيمان وهي تخطف نظرة خفية لم تخل من اشمئزاز من
جلدها الأبيض الذابل على عظامها، وصدرها الواهن المتهدل داخل
مشد فاتح اللون.

مرة أخرى، لم ترد أمل وانهمكت في حشر ساقها في بنطلون جينز
أزرق اللون، فصاحت إيمان:

- رُدِّي عليّ!

صوّبت أمل إليها نظرة غاضبة، قالت مشيرة بسبابتها إلى الباب
المغلق:

- الرجل قاعد برة!

- (من بين أسنانها): حَيتي للجنان بتاع زمان؟! مش مكفيكي اللي
حصل؟!

- لا مش مكفيني!

قالتها بحزم وهي تخفض طرف السويتشرت الأسود الذي ارتدته، ثم
عقصت خصلات شعرها البيضاء خلف رأسها بينما إيمان تقول بغضب:
- مش مكفيكي لو انتي لوحديك، ياكش حتى ترمى نفسك ف النيل..
إمّا انا ذنبي إيه أتلط معاكي؟!

قالت أمل ببرود وهي تلف طرحة داكنة على شعرها:

- أنا قولتلك تيجي معايا؟!

تقلصت عضلات وجه إيمان بينما تقول بغضب:

- وهوّ كان حد راح معاكي لما سبتي اسكندرية وجيتي القاهرة عشان
تعملي فيها بطلّة وزعيمة؟!
لا رد..

تابعت همارة:

- محدش.. ورغم كده العقاب طالنا كلنا.. أبويا وأمّي وخالي ماتوا ف
الغربة.. تيتة عاشت وماتت لوحدها.. محدش من ولادها عرف ينزل
مصر عشان يدفنها حتى! وكُل ده ليه؟! عشان اخوات الزعيمة العظيمة
الي بتقود الثورة ف الشوارع.

اغرورقت عينا أمل بدموع لم ترها إيمان بطبيعة الحال، وقد أولتها

خالتها ظهرها وولت وجهها صوب الدولاب المفتوح، تعبت بأصابعها بين محتوياته.

- (بانفعال): عايضة عملي إيه تاني يا شادية؟! خلاص، مبقاش فاضل
ف العيلة المنكوبة غيري.. ناويالي على إيه؟! سجن ولا نفي ولا إعدام؟!
أغلقت أمل سوستة الحقيبة القماشية التي لفتها على وسطها،
وأخفت عينيها الدامعتين بمنظارها الشمسي الداكن.
قبضت إيمان على معصمها وهتفت بعصبية:

- رُدي عليا يا شادية!

التفتت أمل إليها، حدتها بنظرة طويلة من وراء عدسات منظارها
الداكنة.. وجهها المحتقن وعيناها الحمران، قبل أن تجذب معصمها
برفق لتحرره من قبضتها ثم ترفع أناملها لترت على وجنتها برقة،
قائلة بصوت مشفق:

- أنا اسمي أمل.

ارتعشت شفتا إيمان وهي تحديق في وجه خالتها للحظة، وتقلصت
ملامحها كما لو كانت على وشك البكاء.. همست بصوت مختنق:
- إنتي أنانية أوي.

ثم أزاحت أصابعها عن وجهها بشيء من العنف واستدارت مغادرة.

أضاءت إشارة المرور الإلكترونية الخضراء، فتحركت صفوف السيارات لتعبر التقاطع، وانحرف السائق الآلي بسيارة معتز يسارًا (بعد أن أضاء مصباح اليسار) ليدور حول الصينية المزروعة التي تتوسط الميدان، ثم أطلق العنان لسرعته في الشارع شبه الخال.

بالداخل، نظر معتز لأمل الجالسة إلى جواره، والتي أعادت تليفونها المحمول عتيق الطراز إلى حقيبتها بعد مكالمة هامسة مقتضبة لم يفلح في التقاط أي من فحواها.

- مش قديم شوية؟! -

استدارت عيناها إليه، فابتسم وهو يستطرد مفسرًا:

- الموبايل.

ابتسمت، فتجمعت التجاعيد على طرفي شفيتها الرفيعتين وهي تقول:

- لزوم الكاراكتر وكده!

بدت له ابتسامتها مصطنعة وكأنها بذلت مجهودًا في رسمها لتخفي قدرًا ملحوظًا من التوتر، وإن لم تمنعه ملاحظته من إطلاق ضحكة مرحة على سبيل المجاملة، وسألها:

- حضرتك دارسة دراما بقى!

تنهدت مجيبة:

- مش لازم.. حياتنا كلها دراما، ولازم نتعامل.

- (عالمًا بالإجابة): أومال دارسة إيه؟

- إعلام.

- (ضاحكًا): أووو! زميلة!

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تقول:

- ده كان من أكثر من 40 سنة.

- كنتي دفعة إبراهيم بيه جودة؟

هزت رأسها نافية وقالت بشيء من الازدراء:

- إبراهيم دفعة متأخرة عني ببيجي حوالي عشرة، خمستاشر سنة، وعرفته أصلاً بعد ما كُنت اعتزلت العمل الإعلامي.. فـ الأحداث القديمة.

وصمت لحظة ثم أردفت:

- كان لسه ساعتها مراسل محطة فضائية مش فاكهة اسمها دلوقتي.

- اتعرفتوا إزاي؟

شردت ببصرها عبر الزجاج الذي تنعكس عليه أضواء المحلات وأعمدة الإنارة المتتالية على جانب الطريق.

”(بحماس): لا يذكر التاريخ الإنساني خروجًا عظيمًا لشعب كامل عن بكرة أبيه كما خرج الشعب المصري الأبيّ في هذا اليوم المجيد.. لا شيء قادر على الصمود أمام هذه الجحافل العظيمة.. لا الغاز ولا الرصاص ولا دانات الدبابات حتى.. المصريون هبوا من أجل حياتهم التي تُسرَق منهم“.

”(بعينين محتقتين وصوت مختنق): الجثث متناثرة على الأسفلت.. جثث ثوار سلميين خرجوا للمناداة بحقهم في الحياة.. ولكن أبت EGY- Nergy والنظام العميل المتحالف معها إلا أن يضيفوا جريمة أخرى لسجل جرائمهم.. (يسعل) القتل عن عمد، والطلقات ثقت الرؤوس.. الحرائق في كل مكان، وسحب الغاز المسيل للدموع تملأ السماء.. (يسعل) ورغم ذلك، الروح المعنوية للثوار عالية وقد تعاهدوا على استكمال ثورتهم مهما كان الثمن“.

”أمل الشافعي، أعزائي المشاهدين.. السيدة المصرية الأصلحة.. حفيدة إيزيس وحتشبسوت.. رمز الثورة وقائدتها.. تُعلن من على المنصة تضامن عدد من المنظمات الحقوقية حول العالم مع ثورة الشعب المصري، ووصول وفود منهم إلى القاهرة للانضمام للحراك الشعبي السلمي“.

”كان معكم.. إبراهيم جودة، مراسل قناة ال(....)“.

- مش معقول!

التفتت له مبتسمة بسخرية وهي تقول:

- صعب، مش كده؟!

- (مندهشاً): إبراهيم جودة!

هزت رأسها مجيبة، فتابع:

- بس ده ليه فيديوهات قديمة هاجم فيها الأحداث دي واعتبرها
مؤامرة لإحداث فوضى في البلد وتقويض دعائم الاستقرار وكده!
وقطّع فِـرَوتِي انا شخصياً واتهمني إني عميلة ومأجورة وبلا بلا بلا.
ساد الصمت بينهما قليلاً، وعجلات السيارة تنزلق بنعومة على
الأسفلت الممهّد بعناية، قبل أن تنتهد مستطردة:
- مش هوّ لوحده.. الكلّ تقريباً ساعة الجد نفّض إيده.
- الكل؟!!

هزت رأسها، وعادت لشرودها.. ساد الصمت للحظات أخرى، ثم
سألها بحذر:
- والسوبرمان؟
التفتت ببطء تحديق في عينيه، رددت:
- السوبرمان؟!
التقط نفساً ملأ به صدره وقال:
- السوبرمان اللي كان بيحارب في صفوفكم.
لم يفته الشroud الذي ذابت فيه عيناها، وكأنها تراقب رؤي ما تعبّر
أمامها في الفراغ.

جسد مشدود الأوتار، عاري الجذع، يقف منتصب القامة، ندوب
بشعة وآثار جروح قطعية منتشرة هنا وهناك، وثمة E.E. مطبوعة على
كتفه اليمنى وأسفل منها أرقام وحروف إنجليزية مطبوعة بخط دقيق
- اسمه أدهم.

ردد وراءها مستوضحاً:

- أدهم؟!

- آه.. أدهم صبري.

المظاهرة الحاشدة القادمة من شارع التحرير تقترب حثيثاً من كوبري قصر النيل.. الهاتفات تصم الآذان.. يسير هو في قلبها.. كفّاه مدسوستان في جيبي الجاكيت ذي غطاء الرأس الذي يرفعه فيخفي به أغلب ملامحه.. صامت لا يهتف.. عيناه لا تكفان عن مسح الأجواء المحيطة من الجهات الأربع، وثمة سماعة دقيقة مستقرة في أذنه من تحت غطاء الرأس.

الهاتفات.. الحماس.. التصفيق.. الأنباء تتواتر من مقدمة المظاهرة عن حشود مضادة من الداخلية تتقدم من ميدان التحرير صوب كوبري قصر النيل.

يميل برأسه قليلاً وهو يرفع أصابعه إلى أذنه وكأنها لينصت إلى محدثه عبر السماعة.

يلتقي حاجباه.. يرفع عينيه إلى السماء الممتلئة غيومًا.. يبدأ في مدافعة الناس للوصول إلى مقدمة المظاهرة.

- الاسم ده أنا عارفه!

قالت:

- ده مش اسمه الحقيقي طبعًا.. أدهم صبري اسم شخصية خيالية كنا بنقراها ف الروايات زمان.

- أومال اسمه الحقيقي إيه؟
- توقفت عيناها على لمبة حمراء دقيقة مضيئة في طرف التابلوه..
- أومات تجاهها برأسها وهي تقول:
- أفترض كده إنك بدأت أسئلتك؟
- نظر إليها بارتباك قائلاً:
- لو مكانش يضايقك.
- (بصرامة): يضايقني إنك متبقاش واضح.
- (متلعثماً): أنا مقصدتش.. آسف.. لو تحبي أظفي المسجل.
- لا محبش.
- قالتها باقتضاب حاسم جعله يبتلع لسانه وهو ينظر إلى الطريق
- أمامه، شاعراً بالدماء تغزو أذنيه.
- محدش يعرف اسمه الحقيقي.
- قالتها وهي تزفر بعشق وكأنها لتطرد المشاعر السلبية من صدرها.
- ردد:
- فعلاً!
- هو نفسه مكانش يعرف اسمه الحقيقي.
- (بدهشة): إزاي؟!
- لما عرفناه كان مصاب.. مصاب زي الحالة الي إحنا رايعين نشوفها
- في المستشفى دلوقتي.. وكان على كتفه شـ...
- E.N. مطبوعة على كتفه اليمنى وأسفل منها أرقام وحروف إنجليزية
- مطبوعة بخط دقيق.

تساءل:

- بطارية هربانة برضه؟!

- بالظبط.

كذا أجابت، وصمتت للحظة ثم أضافت:

- وكان فاقد ذاكرته.. تمامًا.

- وليه سميتوه...؟!

- أدهم صبري.

- آه.. ليه بقى؟!

شردت بعينيه في الفراغ وهي تغمغم:

- عشان كان زي ما إنت قولت.

ردد:

- زي ما أنا قولت!

- (من دون أن تنظر إليه): سوبرمان!

مدرعات الداخلية تقترب من جهة ميدان التحرير.. تشكيلات العساكر من ذوي الأردية السوداء تنتظم في صفوف.. حاملو بنادق قنابل الغاز المسيل للدموع يتقدمون.. يشهرون فوهات بنادقهم باتجاه المظاهرة القادمة عن بعد.. يضغطون الأزرار.

تنطلق عشرات القنابل مصحوبة بعشرات الفرقعات.. تشق السماء متجهة نحو المتظاهرين..

يحدث هنا أمر غير طبيعي.

ترتبك مسارات قنابل الغاز في السماء.. تتبعثر وتفقد اتجاهها، ثم وبشكل مستحيل فيزيائياً، وكأنّ قوة خفية غير منظورة جمعتها ثم قذفتها.. ترتد عائدة لتهوى وسط صفوف عساكر الأمن المركزي. تضطرب صفوف العساكر وينهار تنظيمهم.. الكل يهرع وهو يغالب ذهوله مبتعداً عن الغاز المتسرب من القذائف.

- إزاي ده؟!

كذا ردد معتز مذهولاً.

- سايكوكاينزس.

- مين؟!

قالت مفسرة بتؤدة:

- سايكوكاينزس.. كلمة لاتينية معناها ”التحريك عن بُعد“.

ثم رفعت حاجبيها متسائلة بشيء من التهكم:

- مبتشوفش أفلام؟!

حاملو البنادق يحاولون استعادة تنظيمهم، وإعادة الكرّة.

المظاهرة الصاخبة مستمرة في تقدمها.

أدهم يصل إلى الصفوف الأولى.

الفوهات ترتفع مجدداً بزاوية لأعلى باتجاه المسيرة.

الأصابع على الأزددة.

عيناه مثبتتان على صف العساكر على مرمى بصره.
في اللحظة التالية تتقاذف البنادق من أيدي العساكر.
يتراجعون صارخين بفزع وهم يرون أسلحتهم المعلقة في الهواء
تنسحق وتتحول إلى غبار تذروه الرياح.
يسود الاضطراب.. القوات تتراجع.
المسيرة تتقدم، وهتاف ”الله أكبر“ يرج كوبري قصر النيل.

- الكلام ده بجد؟!

هزت رأسها قائلة:

- لو مكنتش شفته بعيني مكنتش هصدق.

- بس ازاي؟!

يعتدل الدكتور محمود أبو زيد في مقعده بمستشفاه بـ“باراداييس
هايتس“.. ينقل بصره بين أمل وأدهم الجالسين في مقعدين متقابلين
أمام مكتبه.. يتكلم بتؤدة:

- السايكوكاينز في الأساس قدرة عقلية فائقة، موجودة عند ناس
كتيرة (زي أغلب الأنشطة العقلية الفائقة) بدرجات متفاوتة تكاد تكون
غير محسوسة.. ونادراً لما بتظهر بشكل واضح ملحوظ عند حد.. ولما
بتظهر مبتقاش بقوة القدرة اللي عند صديقنا أدهم، أو حتى بعُشرها..
بالإضافة لنقطة تانية شديدة الأهمية.

أدهم يحدق فيه صامتاً بينما تتساءل أمل بفضول:

- نقطة إيه؟

يصمت للحظة وكأنه يراجع ما سطره، ثم يقول:

- الاختبارات الي عملناها لأدهم هنا ف المعمل نوعين: اختبارات لقياس النشاط الكهربى للمخ، واختبارات في مجال للأشعة تحت الحمراء لقياس التغير في طبيعة السيل الحيوي.. النوع الأول نتيجته طلعت سلبية، بمعنى إن مفيش نشاط كهربى مختلف أو غير طبيعى للمخ مُصاحب للسايكوكاينزس.. وعلى العكس من ده نتيجة النوع الثانى من الاختبارات.

- نتيجة إيجابية؟

يهز رأسه قائلاً:

- بالضبط.. (مشيراً بكفه نحو أدهم) شكل وخصائص السيل الحيوي الخاص بيه، على شريط الفيلم الي اتصور في مجال الأشعة تحت الحمراء، كان بيتغير مع كل نشاط سايكوكاينزس كان بيمارسه.

- بمعنى؟

- بمعنى إنه على عكس الشائع والمثبت في مراجع الباراسايكولوجى وفي أفلام السينما حتى.. عقل أدهم مش هو المسؤول على قدرة السايكوكاينزس الي عنده.. المسؤول هو الأكتوبلازم.. سياله الحيوي.. هو الي بيتفاعل وبيتحكم فى الـ leptons.

- Leptons!؟

ردد معتز باستغراب، ثم تساءل:

- ده شاي؟

لوت أمل شفتها كإشارة لاستثقال دمه، وقالت بجدية:

- leptons.. جسيمات.. المكون الأساسي للمادة.

- مش فاهم!

نظرت للطريق خارجاً ثم إلى ساعة يدها وتساءلت:

- إحنا هنوصل إمتى؟

نظر إلى الأرقام المتناقصة على شاشة كمبيوتر السيارة في التابلوه،

وقال:

- أقل من خمس دقائق.

نفخت بعمق طاردة المزيد من التوتر من صدرها.. لم يرغب انفعالها

المتصاعد عن عينيه.. سألها:

- مكملتيش موضوع الـ... leptons دي.

أغمضت عينيهما ودعكتهما برفق وهي تقول بصوت منهك:

- ملخص الموضوع إن أدهم كان عنده قدرة نفسية فائقة غير مسبقة

على تحريك أي جسم عن بُعد.. قدرة امتلكها سياله الحيوي بالتأثير

المباشر على جسيمات leptons المكونة للجسم الي عايز يحركه.

- القدرة دي مكتسبة ولا مولود بيها؟

ينظر الدكتور محمود إلى وجه أدهم ويقول مجيباً على سؤال أمل:

- أدهم ممكن يقولنا.

تلتفت عينا أمل لتحققا في وجه الشاب الذي يصمت لوهلة، ترتسم

خلالها انفعالات شتى على صفحة وجهه، قبل أن يهز رأسه قائلاً:

- مش فاكّر!

ترمقه أمل بنظرة مشفقة، بينما يومئ الدكتور محمود برأسه ويقول:

- مفهوم..

ويعتدل في جلسته مستطردًا:

- تفسيري المبدئي إن القدرة دي مكتسبة.. اكتسبها سيالك الحيوي وانت بتتعرض للتعذيب جوة ماكينات استخلاص الطاقة في Egy-Nergy.. يعني بالبلدي يا أدهم سيالك الحيوي كان بيدافع عنك.. لما استشعر الخطر والألم، ضاعف القدرة النفسية الي موجودة عندنا كلنا على التحكم في جسيمات المادة ووصل بيها لمستويات خارقة.. مستويات خلّته قادر على السيطرة على كل وأي جسم محيط بيه.. وده يفسر إزاي قدرت تهرب.

زحف عقرب عداد السرعات في تابلوه سيارة إيمان بسرعة نحو رقم المائة وخمسين كيلومتر/ ساعة، إذ تعتصر قدمها دواسة الوقود بقوة، فتمرق السيارة كالبرق في حارة الـ high way من كوبرى 30 يونيو الاتجاه القادم من جنوب القاهرة والمؤدي إلى شرقها.

عن يمينها وشمالها تتوالى أشباح أعمدة الإنارة واللوحات الإعلانة العملاقة لأحدث أفلام ومسلسلات وبرامج الموسم، وأفخر وأحدث الكومباوندات السكنية على نمط ”باراداييس هايتس“ في مواقع مختلفة بالبحرين الأحمر والمتوسط.. أضواء باهرة لا تنتبه لها إيمان، بحكم التعود أولاً، ولشرودها ثانيًا، رغم إلغائها لعمل السائق الآلي.

وبينما عجلات السيارة تلتهم الأسفلت التهامًا على ارتفاع عشرات الأمتار فوق العباسية، انتبهت إيمان لأن سرعة السيارة تنخفض ذاتيًا، وصك أذنيها أخيرًا التحذير المتكرر الذي يردده كمبيوتر السيارة طيلة الدقائق السابقة (من دون أن تنتبه له، لشرودها) لاضطراره خفض السرعة بسبب تجاوزها السرعة القصوى، والإنذار الذي أرسلته إدارة المرور على الإنترنت حاملاً قيمة غرامة باهظة وتهديد بسحب الرخصة على يد أقرب لجنة مرور.

زفرت بحنق، أطلقت سبة بذئنة وجهتها لكمبيوتر سيارتها وكأنه شخص حي، وجمعت بـ ”ديك أم المرور“ على ”ديك أم البلد كلها“، بينما أصابعها تتقلص على عجلة القيادة.

- تليفون.

قالتا بلهجة آمرة، فتساءل الكمبيوتر عن الهاتف المراد الاتصال به.

- يحيى.

تساءل الكمبيوتر مجدداً (بعد جزء من الثانية فتش فيه في ذاكرته)
إن كان المقصود هو يحيى الجوهري أم يحيى عز العرب.

قالت بنفاد صبر:

- يحيى الجوهري يا خرة!

في جزء آخر من الثانية فصل الكمبيوتر المزود بوحدة A.I. الشتمة
عن الاسم المسجل على قائمته، فألقى العبارة المسجلة:

- جارٍ الاتصال.

استمعت للرنين الخافت الرتيب لثوانٍ وهي تنقر عجلة القيادة
بعصبية بأظافرها المطلية بمانيكير فاتح اللون، قبل أن يتحول الرنين إلى
أزيز يعقبه ارتفاع صوت يحيى الهادئ:

- Hi.. أنا مشغول دلوقتي جداً للأسف ومش هقدر أرد عليك..
ممكن بعد ما تسمع الصفارة تسيبلى رسالة وهسمعها إن شاء الله
بمجرد ما...

إلى آخر الرسالة المسجلة.. تَتمت من بين أسنانها أن shit وهي تطلق
زفرة أخرى من أعماق صدرها محملة بأبخرة الحنق.

- (بعد وهلة): تليفون.

- الاسم أو الرقم المطلوب؟

- هند شعلان.

- جارٍ الاتصال.

لحظات ثم تكون هولوجرام للنصف العلوي من هند صديقتها
وزميلتها على ارتفاع سنتيمترات من تابلوه السيارة.

- (بصوت مرح يموج بالغنج): Hi.

حدقت في صديقتها التي التمع كتفاها ومفرق صدرها في بيبي دول
فاضح، قبل أن تبتسم قائلة:

- صفوت رجع بدري النهارده ولا إيه؟!

ضحكت هند بخلاعة قائلة:

- حبيبتي، صفوت مبيقربليش غير مرة واحدة ف الشهر، حتى لو
قضى الشهر كله جنبي ع السرير.. وغالبًا المرة دي بتبقى ف يومين
البيريود عشان هسهس الحمل.

- أومال الشفتشي ده ملين يا بايظة.

- (تضحك): جورج كلوني!

- (تضحك): يا قديمة!.

عضت على شفتها السفلى بأسنانها وهي تقول بشبق:

- لقيت نفسي خربانة.. دوّرت ف الميموري بتاعة الفيبريتور لقيت
صور وفيديوهات قديمة لجورج كلوني.. بيبوس بطريقة تجنن ابن
الكلب، فسجلته، وهقضي الليلة ف حضنه!

- الله يسهله يا سيدي.. إبقى سلميلي عليه.

- طب إنتي كنتي متصلة عايزة إيه؟

- (تبتسم): لا بعدين بقى لما تبقي تفوقي.. سلام يا منحرفة.

أنهت الاتصال، فتلاشى الهولوجرام وتلاشت معه الابتسامة من على
شفتيها.. مرت ثوانٍ أخرى ثم طلبت رقمًا جديدًا.

- سامح البكري.
- جارٍ الاتصال.
- الرنين الخافت الريب، ثم يرتفع صوت سامح مقروناً بتكون هولوجرام لوجهه الوسيم محدد القسمات.
- (ضاحكاً): أنا مش مصدق نفسي!
- ابتسمت قائلة:
- إزيك؟
- طب كويس والله إنك لسه فاكراني يا جبانة!
- أطلقت ضحكة خافتة وهي تقول:
- حوش إنت سؤالك عليّ اللي مبيخلصش!
- أنا فضلت أسأل وأتصل لغاية ما لقيتك بتنفضي ومصدرالي ال answer machine كل مرة ومبتصليش بي، فقُولت يا واد خليك خفيف كده وِجل عن سماها شوية.
- أنا اقدر؟!
- تقدرني ونُص يا بكاشة.. وحشتيني أوي.
- (تبتسم): وانت كمان وحشتني.
- ضاقت حدقتا الصورة الهولوجرامية.
- شكلك متغير ولا انا بيتهيألي؟!
- إنت مشغول؟ ينفع أشوفك دلوقتي؟
- تهللت أساريه:
- Sure! ولو مشغول أفضالك طبعاً.

ضحكت بدلال قائلة:

- ميرسي، حبيبي.

ثم.

- إنت ف الشيخ زايد؟

- لا أنا ف فيلا التجمع.

- قشطة، إنت جنبي.. يلا، مش هتأخر عليك.

أنهت الاتصال، ونقلت القيادة للسائق الآلي بعد أن حددت له العنوان بدقة على الـGPS، ثم استرخت في مقعدها وأسبلت جفניה.

دقيقة كاملة مرت عليها في هذه الوضعية، قبل أن تتقلص ملامحها وتجز على أسنانها، ثم تنفخ بحنق وهي تفتح عينان تقدحان شرًا.

.Abort -

قالتها بعصبية، بينما السيارة تقترب من منزل الكوبري المؤدي إلى التجمع الخامس.. أبطأ السائق الآلي من سرعة السيارة، بينما الكمبيوتر يتساءل عن الوجهة الجديدة.

صمتت للحظات ثم أمرته باقتضاب أن يوقف السيارة.. أطاعها على الفور، فأضاء المصباح الخلفي الأيمن، ثم انتقل تدريجيًا بالسيارة لأقصى اليمين، حتى أوقفها تمامًا جراج مسقوف ملحق بكافيتريا ومحطة لخدمة السيارات.

هناك، أشعلت سيجارة، وقبعت في سيارتها تدخن وتتأمل المشهد بعينين شاردتين، ومن آنٍ لآخر تنفث الدخان وتزفر بحنق.. عيناها الواسعتان ملتفعتان ببريق دموع حبيسة.

- الله يحرقك يا شادية!

كذا غمغمت من بين أسنانها، وهي تضرب عجلة القيادة بـ“كلوة”
يدها.

”التفتت أمل إليها، حدجتها بنظرة طويلة من وراء عدسات منظارها
الداكنة.. وجهها المحتقن وعيناها الحمراءوان، قبل أن تجذب معصمها
برفق لتحرره من قبضتها ثم ترفع أناملها لتربت على وجنتها برقة،
قائلة بصوت مشفق:
- أنا اسمي أمل.“

ارتفعت نبرة صوتها وازدادت حدةً وسخطاً وهي تردد:
- الله يحرقك يا أمل!
ظلت ترددها مرات ومرات بلا كلل، ثم لم تلبث أن دفنت وجهها بين
كفيها، وانفجرت في بكاءٍ حار.

قال معترّز معترّزاً:

- بس حوار زي حوار السوبرهيرو ده كان هيبقى معروف، العالم كله هيتكلم عنه!

صمتت للحظات رمقت خلالها واجهات المتاجر والبنائيات المتواليّة عبر زجاج النافذة المجاورة لها، ثم قالت بصوت يموج بالمرارة:

- الفترة دي العالم عملها delete.. انطمست بمنهجية، مش هتلاقي كتب ولا فيديوهات على يوتيوب ولا إحصاءات ولا تغطيات صحفية.. الكل اتفق إن المصلحة هي المحو.

وعادت تسرح بعينها عبر زجاج النافذة، تجاه المارة الرائحين والغادين على الأرصفة، وهي تقول بشروء:

- حتى الناس العادية.. الشعب.. مسحوا.. نسيوا.. تناسوا.. كأن الوعي الشعبي الجمعي قرر إن الجريمة دي لازم تستمر.. وأي حاجة بتفكر بيها لازم تتمسح.. كأن مفيش حاجة حصلت!

- جريمة؟!!

تابعت بذات الشروء وكأنها لم تسمعه:

- حتى صوت الأنين.. الناس بطلت تسمعه! أو بيسمعه بس خلاص تعايشوا معاه!

والتفتت تنظر إليه متسائلة:

- بتسمع حاجه انتا؟!!

- (بعجب): حاجة ايه؟!!

- أصوات أنين.. صراخ.. بكا!

حدق فيها بحيرة من دون أن يرد.. هزت رأسها وعادت لشرودها.

قال بخفوت:

- عشان كده فضلتي برة مصر عشرين سنة؟!!

ظلت جامدة كتمثال للحظات، قبل أن تهز رأسها ببطء ثم تقول

بصوت متحشرج:

- أنا كمان كان مطلوب اتمسح.

ارتفع صوت كمبيوتر السيارة يشير إلى دقيقتين تبقتا قبل الوصول

للهدف المسجل، بينما هي تتابع:

- بعد مجهودات الإعلامي العظيم إبراهيم جودة وشوية الألاضيش

الي شبهه ف التوك شوز والجرايد، إسم أمل الشافعي بقى محظور أكثر

م الجماعة المحظورة نفسها.. مجرد نزولي الشارع كان تهديد لحياتي..

مش من الشركة أو الدولة.. من الناس!

وابتسمت مستطردة بهمارة:

- تخيل إن الدولة هي الي -مشكورة- سمحتلي بتغيير بياناتي عشان

اقدر ارجع اموت ف بلدي؟!!

شعر بهوجة من الإشفاف تجتاحه، مد أصابعه ليربت على كفها

المتغضنة، غير أنها سحبتها بسرعة وهي تقول مُستردة نبرة السخرية:

- لا، مبحيش جو المُنح ده.. هنوصل إمتى يا عم؟

- وصلنا already خلاص.

قالها وهو ينظر أمامًا عبر زجاج السيارة التي هدأت سرعتها تدريجيًا
مع اقترابها من مدخل جراج المستشفى.
- وأدهم؟

”قال له الدكتور محمود:

- على حد علمي، أنت الأول من نوعك.. بقدراتك المكتسبة دي
يا أدهم، أنت مَبْقَتَش إنسان عادي، مَبْقَتَش إنسان أصلًا.. بقيت
alien .. monster.. استغفر الله العظيم *half god*.. شيء مخيف.. مخيف.“

تساءلت:

- ماله؟

- أدهم نسي ولا اتَّسَى؟

لحظة أخرى من الشرود ثم قالت باقتضاب:

- اختفى.

- اختفى!

هزت رأسها ببطء فتساءل بدهشة:

- إزاي اختفى؟!

انزلقت السيارة بنعومة عبر ممرات الجراج بينما هي تجيب:

- اختفى.. تلاشى.. خرج ولم يعد.. مرة واحدة ملقينا هوش وسطينا.

وتنهدت مستطردة:

- ودي كانت بداية النهاية.

أطل الفضول كاسحًا من عينيه، فقالت بمرارة:

- المظاهرات والمسيرات والاعتصامات ضد Egy-Nergy كانت في كل مكان في البلد.. لكن الشغل الرئيسي والتركيز الإعلامي كان هنا في العاصمة.. النظام المتحالف مع Egy-Nergy حاول باستماتة إنه يوقف احتجاجاتنا.. استخدم أعنف الأساليب وسقط شهداء كثير، وكان ممكن ينجح، لولا إن ظهور أدهم وانضمامه للثورة قلب موازين القوة. عجلة القيادة تدور تلقائيًا بينما السائق الآلي يتحكم بدقة ليتوقف بالسيارة في مكان ضيق بين سيارتين.

- قدرات أدهم النفسية كانت سلاح حاسم ضد أمن وبلطجية النظام.. جالهم رعب وهمّ يشوفوا أسلحتهم ومعداتهم ومركباتهم وهي بتتفتت، بتتحول لغبار.. مشهد مذهل! زي ما قولتلك.. لولا إني شوفت بعينيّ مكنّتش هصدق (تضحك ضحكة خفيفة).. كان لازم تشوف منظرهم وهمّ واخدين ديلهم في سنانهم ويبجروا، وصراخهم بيصحي الأموات.. مرة والثانية، وبعدها مبقوش يقربوا منا.

- ولما اختفى؟!

- فحتونا.. كانت مدبحة.. هجموا علينا مرة واحدة من كل الاتجاهات.. حاولنا نقاوم.. نصد.. نستغيث.. بس مفيش فايده.. أغلب اللي تضامنوا معانا تفضولنا، واكتشفنا ان وسائل الإعلام العالمية انسحبت من بيننا قبل الهجوم بساعات.

وتنهدت متابعة:

- كان action مترتب كويس.. خلصوا أوراقهم مع الناس اللي برة، وحيدوا المنظمات الحقوقية ووسائل الإعلام، وبعدها انقضوا على الثوار في الشوارع.. مفيش إحصائية رسمية بأعداد الشهداء اللي سقطوا في

الأيام القليلة الأولى، لكن التقديرات لا تقل عن عشرات الآلاف.. (يتهدج صوته) أنا بعيني شوفت مئات الجثث متنطّورة على الأسفلت.

وامتزج صوتها بأزيز الزجاج الكهربائي إذ يرتفع آلياً:

- بضرب الاحتجاج في القاهرة، ضعف تأثير الحركة الاحتجاجية في الأقاليم وفي العواصم العالمية.. كانت فيه دوشة وتنديد وأصوات عالية كثيرة، قضايا حقوقية وتهديدات بالتصعيد القانوني، ده غير طبعاً الإسلاميين اللي اعتبروا إن ضرب التظاهرات هو مؤامرة لإجهاض المشروع الإسلامي وحلم الخلافة... إلى آخر القاموس. وفي النهاية النار انطفئت.. اللي ماتوا اندفنوا.. واللي عاشوا حسدوا اللي ماتوا، والشركة توسعت في مشاريعها وبقت موجودة في كل ركن ف العالم.

رفع آدم المصري عينيه إلى عمرو عزام، مدير مكتبه وساعده الأيمن، وهو يدلف إلى قاعة مكتبه، ويدنو منه بخطوات واسعة ملقيًا التحية.

- إيه الجديد يا عمرو؟

قال الشاب وابتسامة واثقة تتسع على شفثيه:

- Done، مستر آدم.

اتقدت عينا آدم باهتمام يوشك أن يصير انفعالاً، التقطته عينا عمرو الذي جلس على أحد المقعدين المتقابلين أمام المكتب وهو يقول:

- السيكيوريتي كوابريشن بروتوكول مع The Eye بدأ يؤتي أكله زي ما بيقولوا.

- اختصر يا عمرو!

قال بسرعة:

- من دقيقة واحدة وصلني إيميل من مدير المتابعة ف Eye بيلغني إنهم رصدوا البصمة الحيوية اللي إحنا بعتناها لهم.. بصمة البطارية الهربانة.

- فين؟

- مستشفى (Emergency Care) ف مدينة نصر.. أجهزة السيكيوريتي بالمستشفى سجلت دخول بصمة البطارية النهاردة الظهر، الساعة 10:37 تحديدًا كضحية لحادث مروري على الطريق الدائري.. ودا يتفق

مع نتائج المسح الي عملته فرق المطاردة، ابتداءً من مزرعة أبو رواش لغاية قرب صقر قريش.. آثار البطارية وشهادات السكان المحليين اختلفت من بعد النقطة دي.

- بتقول البطارية سجلت دخول المستشفى الساعة 10:37؟!

- بالظبط.

قال آدم:

- يعني تسع ساعات و12 دقيقة بين تسجيل دخول البصمة للمستشفى، وإبلاغنا بيها! تنهد عمرو قائلاً:

- يظهر مفيش فايده يا مستر آدم، هتفضل الأخطاء موجودة طول ما العنصر البشري موجود في المنظومة.. وده مش أي عنصر بشري، ده عنصر مصري كمان!

بدا صوت آدم بارداً كالثلج وهو يقول:

- ده مش خطأ، تسع ساعات تأخير دا Fatal mistake.. افتحلي تحقيق فوري أنا الي هشرف عليه، ولو الـproblem من عندهم هفسخ التعاقد.

- شور، مستر آدم.

- وبالنسبة للبطارية؟

نظر عمرو لساعة يده وقال:

- أقرب فرقة مطاردة بدأت تحركها باتجاه الهدف بعد وصول إخطار Eye بتلاتين ثانية، وهيوصلوا في أقل من 10 دقائق.

- 10 دقائق كتير.

- كثير فعلاً، وعشان كده تم تكليف أقرب عميلين ميدانيين بالتحرك، وهيوصلوا في غضون دقيقتين.

صمت آدم للحظات ثم تساءل وهو يداعب خصلات لحيته بأصابعه:

- وحالة البطارية إيه؟

فتح عمرو فمه ليحيب، عندما ارتفع أزيز هاتف آدم للحظة، ثم تبعه الصوت الأنثوي المسجل، يقول:

- إبراهيم جودة رئيس تحرير موقع Egypt Now.

تبادل الرجلان النظرات، وغمغم عمرو بسخرية:

- هوَ لسه ممتش؟!

- بيتكلم على الخط الداخلي.

قالها آدم ببطء، فعقب عمرو متسائلاً:

- تحب تحوله على السكرتارية أو على الخط بتاعي؟

هز آدم رأسه وهو يقول:

- أكيد عايز حاجة، وما دام عايز حاجة يبقى أكيد عنده حاجة يقدمها.

ثم قال آمراً الهاتف:

- Answer.

لحظة، ثم تجسد في الفراغ هولوجرام متوسط لوجه إبراهيم جودة.

- آدم بيه، مساء الخير.

- أتعشم يكون فيه سبب قوي جداً يخليك تكلمني على تليفوني الشخصي يا إبراهيم.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي الصورة المجسمة بينما صاحبها يقول:

- إحنا عشرة قديمة يا آدم بيه، وإنك عارف ان أخباري دائماً طازة وتستاهل.

- (برود): تستاهل إيه؟

- تستاهل مثلاً إنك ترجع تعتمد عليّ ف شغل الحملات الإعلانية زي زمان.. أنا متأكد ان معاليك منسيتش اني كنت كفاءة، وبَعْمَل اليي محدش غيري يعرف يعمله.

تكوّن شبح ابتسامة على زاوية فم آدم وهو يقول بتهكم:

- هوَ فيه كفاءة يتمسك بتهمة غسيل أموال وتتقفل وكالته الإعلانية يا ابراهيم؟!

- ما يُقع إلا الشاطر يا ريس، وولاد الحرام مسابوش لولاد الحلال حاجة.

ابتسم عمرو لـ "ولاد الحلال" هذه، في حين قال آدم بجدية:

- أنا وقتي ضيق يا ابراهيم، ادخل ف الموضوع.

- أنا أحرص واحد على وقتك يا آدم بيه، وعشان كده عايز اوقّرلك الوقت والمجهود الي هيضيعوا في تعقب البطارية الي هربت منكم امبارح.

هوت عبارته كقنبلة انفجرت في فراغ القاعة، قنبلة يعرف هو تأثيرها، الأمر الذي بدا جلياً في ابتسامته الواثقة.. تبادل آدم وعمرو نظرة صامتة طويلة، قبل أن يتساءل الأول:

- مين قال اننا عندنا بطارية هربانة؟!

- أنا اللي بقول يا باشا.

قالها إبراهيم وهو يضغط على حروفه، وعلى الفور تكوّن هولوجرام جديد للفيلم القصير الذي التقطته كاميرا معتز لحادث الطريق الدائري صباحًا، وثبتت اللقطة الأخيرة على صورة الجسد المملطخ بالدماء والذي تزين E.N. واضحة كتفه.

- الفيلم ده صوره النهارده الصبح ولد شاب ممتاز عندي ف الموقع، ولما شوفت اللقطة الأخيرة دي، افتكرت حاجات قديمة كنت نسيته والناس كلها نسيته.

حدّق فيه آدم بعينين لا تطرفان من دون أن يعقب، فتابع:

- من 25 سنة شوفت الـ E.N. دي على جسم شخص، اتضح إنه بطارية هربانة من مزارع EGY- Nergy.. الشخص ده لأسباب معقدة امتلك قدرات نفسية غير طبيعية، ولسوء الحظ قرر انه يسخرها لصالح الفريق المضاد لـ EGY- Nergy وفي توقيت حرج، كانت الشركة فيه بتتلقى الضربات حول العالم من الحركات الاحتجاجية.

وهز رأسه مردفًا بابتسامة صفراء:

- أنا مش بعيد عليك تاريخ أنا متأكد إنك فاكره كويس يا آدم بيه، أنا بس مضطر أكرره عشان أوضّح خطورة ظهور سوبرهيو جديد بعد اختفاء القديم لأسباب قدرية.

وضغط على حروف "أسباب قدرية". حدق عمرو في ملامح رئيسه الجامدة بينما هو يقول:

- وبعد ما وضحت؟

قال إبراهيم بلزوجة:

- أنا طبعاً يهمني ان الشركة تحتوي أي شوشرة وهي لسه ف بدايتها،

قبل ما أصحاب النوايا السيئة والمتنفعين يستغلوا الأخبار ويسببوا قلق،
والمشاكل القديمة تتجدد من تاني.

تساءل عمرو متهكمًا:

- خايف على الشركة أوي؟!

التفتت الصورة المجسمة إلى النائب الشاب، وأفتر ثغرها عن ابتسامة
أخرى:

- طبعًا يا عمرو بيه، مش الشركة الي هاكل منها عيش! معلش
الكلام خدني مع آدم بيه، معرفتش ارحب بيبك.
قال آدم بهدوء:

- لو الكارت الي بتلعب بيه هو مكان البطارية، فإحنا خلاص
وصلناها، ورجالتنا ف مستشفى (Emergency Care) عندها دلوقتي.
قالها وهو يرمق عمرو بطرفٍ خفي، فتلقى الأخير الأمر البصري
بالوقوف على المستجدات في العملية، وانسل مبتعدًا بهدوء بينما
إبراهيم يقول ضاحكًا:

- معاذ الله إني أشكك في كفاءة جهازنا (وضغط على "جهازنا") الأممي
يا آدم بيه.. I am sure you did.. بس أنا كلامي محدد ومتعلق بنقطة
الشوشرة.. الخبر نزل عندنا على الموقع بعد حدوثه بدقائق، والمحمر
الشاب العبقري الي قولتلك عليه التقط طرف الخيط وفُضِل ماشي
وراه لغاية ما عمل تحقيق استقصائي هابل هيعمل ضجة كبيرة ويحقق
نسبة قراءة قياسية، فضلًا عن إنه هيفتح ملفات اتقفلت من زمان..
وأنا طبعًا زي ما انت أكيد فاكربي، من أشد المنصرين لحرية الصحافة،
ومَقْدَرش اقف في طريق عمل صحفي جاد.

حذق آدم فيه بعينين ثابتتين، قبل أن يقول ببطء:

- كُنت فاكرك أذكي من إنك تتهور كده يا إبراهيم.
- صدقني أنا مأمن نفسي كويس يا آدم بيه، والقلق الي قولتلك
عليه يحصل for sure لو حد مس مني شعرة.

قال آدم ببرود:

- مدير الدعاية والإعلان هيتصل بيبك بكرة الصبح.
- أوعدك إنك مش هتندم يا مستر آدم.. وبالمنااسبة، عندي خبر حلو،
ممکن تعتبره عربون محبة من مدير حملتك الإعلانية الجديد.

رمقه آدم من دون أن تهتز له عضلة، فقال:

- قول لرجالتك ف المستشفى إنهم هيلاقوا واحدة ست عجوزة
مكرمشة بتحاول تعس على البطارية.. قولهم ميسيبوهاش تفلت منهم.
- (برود): ست مين؟

بدت ابتسامته كريهة وهو يجيب:

- أمل.. أمل الشافعي.

وأمام تعبير الصدمة والغضب الذي كسا ملامح آدم الجامدة، تحوّلت
ابتسامة إبراهيم إلى ضحكة مجلجلة، هي آخر ما حمله صوته عبر
الأثير قبل أن يتلاشى ويتلاشى معه الهولوجرام إثر إنهاء آدم المكالمة..
رفع عينين مشتعلتين بالغضب إلى عمرو العائد إليه، وتساءل من بين
أسنانه:

- عملوا إيه؟

مرت أمل بسبابتها في الفراغ محاذاة الممر الممتد من داخل قسم العناية المركزة إلى مركز خطوط الحركة بقلب المستشفى في المسقط الأفقي الرقمي على الشاشة التي تحتل موقعًا بارزًا في ريسبشن مستشفى (Emergency Care). غمغمت:

- الدور الثالث، عناية مركزة رقم 12.

قال معتز مصححًا:

- الثاني.. الريسبشانست قالت الدور الثاني.

واتجه بخطوات نشطة نحو السلام، فاستوقفته منادية:

- معتز!

- (ملتفتًا إليها): نعم!

- جدتك عايشة؟!

ردد بدهشة:

- جدي!

- آه.

- جدي مامة مامتي لسه عايشة.. إשמعني؟!

- عندها كام سنة؟!

- حاجة وسبعين باين!

- بتطلع سلام بيتها على رجلها ولا أسانسير؟

- أسانسير!

ثم فهم فتضرخ وجهه حرجاً بينما هي تشير بكفها نحو نفسها
مرددة:

- طب إيه؟!

تقدم ليضغط زر استدعاء المصعد وهو يقول مجاملاً لمدارة حرجه:

- بس انتي أصغر من جدتي بكثير.

- مش كثير ولا حاجة.

قالتها باقتضاب، بدا له وكأنها تدارى به انفعالاً متصاعداً.. ركب
المصعد المتسع بين عدد من الناس ما بين زوار يحملون زهوراً وعلب
شوكولاتة، وعاملين بالمستشفى في معاطف بيضاء.. مال على أذنها
ليسألها بصوت هامس:

- عندك توقع معين؟

- (من دون أن تنظر إليه): بخصوص؟

انزلق باب المصعد بنعومة لدى وصوله الطابق الثاني، فغادرا وسط
حشد بسيط تفرق في اتجاهات مختلفة باختلاف أرقام غرف العناية
المركزة المطلوبة.. قال لها مفسراً بينما هما يجدان السير في ممر متشح
باللون الأبيض في الأرضية والسقف والجدران:

- بخصوص البطارية المفقودة دي.. يعني، أقصد متوقعة يحصلها
نفس اللي حصل لأدهم زمان؟ تبقى طفرة جديدة مثلاً وكده؟

تنقل بصرها بين أرقام غرف العناية المركزة، وهي تقول:

- كل شيء وارد.

وتجمدت عيناها على بابٍ مغلق قرب نهاية الممر، يقف إلى جانبه شرطي متين البنيان في زيه الرسمي، أومأت لمعتز برأسها تجاهه من دون أن ترى الرقم المثبت عليه وهي تهمس:

- هنا!

حدق معتز حيث أشارت شاعراً بجفافٍ في حلقه، التفت إليها ليراها تبعد بخطوات حثيثة لتختفي في ردهة جانبية.. أسرع الخطا ليلحق بها، فوجدها تخلع معطفها القماشي الداكن وتقلبه على بطانته البيضاء ثم ترتديه مقلوباً ليبدو شبيهاً بمعاطف الأطباء.

نظر إليها وهو يردد مذهولاً:

- إيه ده؟!

قالت له وهي تعقد أزرار المعطف:

- مش وقت اندهاش خالص دلوقتي على فكرة.

تساءل محاولاً ابتلاع ذهوله:

- ناوية على إيه؟!

لم ترد عليه.. تعلقت عيناها بشاب فارغ القامة في جينز ومعطف أبيض ويغطي رأسه بـ"كاب"، عَبَرَ ممراً عمودياً وهو يحدق صوبهما من وراء كتفه.

- ناوية على إيه؟!

التفتت له قائلة بعجالة:

- مفيش وقت اشرحك.. خليك مراقبي، لو العسكري ده (أشارت بسبابتها تجاه الممر) سمحلي أدخل الأوضة يبقى هتستاني لغاية ما أخرج ونشوف هنعمل إيه.. لو لقيته أغمى عليه هتجيلي تساعدي.

- (بدهشة): أغمى عليه! (يبتسم بحيرة) هتضربه ولا إيه؟!

ابتسمت له وهي تبتعد غامزة بعينها اليسرى:

.Watch and learn, baby -

تابعها مشدوهاً وهي تشد قامتها المحنية، ثم تدنو بثبات من الشرطي المتوقف بجوار باب العناية المركزة.. لم ير أصابعها وهي تفتح سوستة الحقيبة القماشية الملتفة حول خصرها، ثم تسحب منها قرصاً صغيراً وردي اللون، تحيط حوافه بأناملها بحرص.
- مساء الخير.

وجهتها للشرطي بابتسامة هادئة، فرد تحيتها بصوتٍ أجش وهو يعتدل في وقفته.

- الدكتورة سمية عزازي، أخصائية جراحات الأنسجة.

- أي خدمة؟

- معاد الفحص الدوري.

- معنديش تعليمات.

قالت بحزمٍ متقن:

- تعليمات إيه؟! ده فحص دوري.

- التعليمات اللي عندي محددة.. ممنوع أي حد يدخل للحالة دي

بالذات، إلا الدكتور حلمي والدكتور إيهاب.

- الدكتور حلمي بنفسه هو اللي كلّفني أفحص الحالة، وانا بَحَمَلَك

مسؤولية أي تدهور يحصلها.

قال بثبات:

- أتحمل أي مسؤولية إلا مسؤولية مخالفة التعليمات.

تحركت نحو الهاتف المثبت إلى الحائط وهي تقول:

- أنا هخلي الدكتور حلمي هو اللي يك...

بترت عبارتها بغتة عندما انزلت قدمها بشكل طبيعي، ففقدت توازنها وترنح جسدها وكادت تسقط أرضاً، لولا أصابع الشرطي القوية التي التفت حول ذراعها وجذبتها لتمنعها من السقوط.

استندت إلى ذراعه وهي تتمتم أن "ميرسي"، ثم بحركة لا تكاد تُلاحظ، ألصقت القرص الوردي الذي تحمله بين أصابعها بعنقه.

اتسعت عيناه وهو يحدق في وجهها للحظة، ثم في اللحظة التالية هوى منكفئاً على وجهه.

انحنت لتجذبه بصعوبة من تحت إبطيه، أدارت رأسها تنظر من وراء كتفها لمعتز المتسمر في مكانه، وقالت بصوت كالفحيح:

- واقف عندك بتعمل إيه؟!

حرره هتافها من جموده الذاهل أو ذهوله الجامد.. بلغ موضعها ببضع خطوات واسعة وانحنى يساعدها في جذب الجسد الثقيل المنكفى.

- عملتي فيه إيه؟!

- (لاهثة من فرط المجهود): أدّيته بريك 30 دقيقة.

- ليه كل ده؟!

لم ترد.. مدت قدمها لتدفع باب غرفة العناية المركزة لتفتحه، وتعاوناً على نقل جسد الشرطي المُخدّر بداخله، وأغلقت الباب خلفهما.

أراح معتز الجسد المخدر على بلاطات الحجر البيضاء، والتفت ليرى أمل تحديق مشدوّهة في الجسد المسجي على الفراش الوحيد بالغرفة.

الضمادات تغطي كل شيء.. الجذع، الذراعين، الساقين، الرأس بالكامل
عدا فتحتي الأنف اللتين يخرج منهما خرطومان هما جزء من قبيلة
من الخراطيم والأسلاك المتصلة بالجسد وتربطه بعددٍ من أجهزة
الإعاشة والفحص ومراقبة إشارات المخ والقلب... إلخ.

مومياء! كذا خطر له وهو يحدق مشدوهاً في المنظر المائل أمامه..
أما أمل فظلت تحدق بدورها لما يقرب من الدقيقة وصدرها يعلو
ويهبط من فرط الانفعال، قبل أن تبتلع مشاعرها وتتجه نحو كمبيوتر
المتابعة.

مرت بأناملها بسرعة على الشاشة المجسمة وكأنها تعرف ما تبحث
عنه، ثم تحركت بعينها مع سيل البيانات التي راحت تتوالى على
الشاشة أمامها.

- (بصوت خفيض): سجد... ممم.. عقاقير.. قرني... (شهقة خافتة)
تجديد... ممم.

راقبها معتز من دون أن ينبس ببنت شفة، وهو يرمق الجسد الساكن
بنظرات خرساء بين لحظة وأخرى، ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا عندما
رأها تنقض على أجهزة الرعاية المركزة، فتفصلها وتنزع خراطيمها، الأمر
الذي تسبب في تحول الأزيز المنتظم للأجهزة لصفيرٍ حاد.

- بتعملي إيه يا مجنونة؟!

خرجت منه الصيحة تلقائية من دون أن يعي ما تحمله من إهانة
ورفع للكلفة، غير أنها لم تتوقف أمام هذا بطبيعة الحال.. هتفت به
وهي مستمرة في نزع الخراطيم بعنف:

- اتحرك وساعدني؛ مفيش وقت.

- أساعدك ف إيه؟!

- هَنقله من هنا.

- ليه؟!

قالت بشراسة:

- بقولك مفيش وقت يا بني آدم!

تحرك بشكل آلي ليساعدها في نزع الخراطيم والأسلاك، وفوجئ بها
تبدأ في نزع طبقات الضمادات من حول جسده.. هتف:
- ده كده هيموت.

- (مستمرة في عملها): متقلقش.. جراحات الليزر وعقاقير تجديد
الخلايا بيساعدوا على التئام الجروح في ساعات قليلة.. أنا قرئت الـ
Medical sheet.. الجراحات اللي اتعملتله من أول ما دخل، تقريباً كلها
بمضاعفاتها عَدَّت على خير، ماعدا الجراحة اللي اتعملت ف عينيه لسه
محتاجة وقت.

تحركت أصابعه لتنزع الضمادات من حول ذراعيه وهو يتساءل:

- جراحة إيه؟

- زرع خلايا بصرية.

- تقصدي زرع قرنية؟!

- (تهز رأسها نافية): لأ.. زرع خلايا بصرية.. عينيه الاتنين انفجروا
جوة ماكينات Egy- Nergy وانزعتله عينين صناعيتين تم توصيلهم
بالعصب البصري.

حدق باستبشاع في موضع العينين بالوجه الملفوف بالضمادات وهمس:

- فيه كده؟!

قالت وهي تسحب الخرطوم بحرص من فتحة أنفه:

- جراحة صعبة لكن موجودة ونتائجها ناجحة بنسبة 94%.

انتهيا من نزع الضمادات عن ذراعيه وجذعه، ولم ينسَ ملاحظة أن الجروح المنتشرة بطول وعرض الجسد قد جفّت وتحولت إلى ندوب بفعل عقاقير تجديد الخلايا.

تعاوننا لإلباسه زياً جراحياً من البلاستيك استخرجته أمل من أحد أدراج دولاب قريب.

- هات الكرسي المتحرك اللي هناك ده.

قالتها بصوت لاهث مجهد، فأطاعها الشاب وجلب الكرسي المستقر في ركن الغرفة.. لدهشته شعر بالجسد هشاً خفيفاً وهو يحمله بحرص وينقله إلى الكرسي المتحرك.

قالت له بحزم وهي تعدل من هندامها:

- هَنُخرج من هنا على الجراج على طول.. اللي هيسألنا، إحنا بننقله على أوضته بناءً على أوامر الدكتور حلمي.

تساءل بغباء:

- على الجراج ليه؟!

- (تزفر بحنق): عشان عربيتك ف الجراج يا أذكي إخوانك!

صاح:

- لا بقى! إنتي كده بتورطيني ف جريمة خطف!

عقدت ساعديها أمام صدرها وهي تقول بازدراء:

- بقى انتَ صحفي انتَ؟! فيه صحفي تجيله فرصة إنه يشوف الحدث قدام عينيه ويسيبها تضيع عشان (تقلد نبرة صوته) خايف يتورط ف جريمة خَتَف (تنطقها بالتاء على سبيل التهكم)؟!

قال بعصبية:

- يشوف الحدث حاجة، وإنه يشترك فيه دي حاجة تانية.

زمت شفيتها وهي تقول بحدة:

- بقولك إيه؟! مفيش وقت للمهاترات دي.. إنت مش خدت مني

الأجوبة اللي إنت عايزها عشان التحقيق بتاعك؟

- (بتحد): وساعدتك توصلي لغاية هنا.

- نبقى خالصين يا عم الحاج.. أنا مش عايزة منك حاجة تاني.. اتكل

على الله وسيني أصرف أموري.

قالتها وهي تقبض على مسندي الكرسي المتحرك وتدفعه بحمولته

الضئيلة إلى الممر خارج الغرفة.

وقف متجمداً مرتبكا في مكانه للحظات، ثم لحق بها وهو يسب

بصوت خفيض.. شعرت بخطواته خلفها، فتراكمت التجاعيد على زاوية

فمها إذ ابتسمت نصف ابتسامة ظافرة، وهي تدفع الكرسي المتحرك

عبر الممرات.

باب المصعد يتبدى لهما في نهاية الممر.

يتوتران إذ تعبر ممرضتان إلى جوارهما وهما تثرثران بحديث ضاحك.

صوت خطوات حذاء ثقيل يقترب.

انفعالهما يتصاعد.

بزواية عينها تلمح ظلاً يرتسم على الأرض قادماً من ممر متعامد على

ممرهما على بعد عدة أمتار.

تتوقف.. تتبادل النظرات القلقة مع رفيقها الشاب الذي يهمس

متسائلاً عم هنالك.

لا تجيبه.. فقط تتعلق عيناها بالظل الذي يتضخم ثانية بثانية.

يلتفت لينظر إلى موضع نظرها.

ينبض قلبها بعنف.

تستدير بالكربي بزاوية مائة وثمانين درجة لتدفعه في الاتجاه المعاكس.

- تعالى بسرعة!

قالتها بتوتر شديد جعل قلبه يغوص بين قدميه وهو يدور على عقبيه، ليجد السير في إثرها من دون كلمة واحدة.

تحركا بخطوات سريعة أقرب إلى الهرولة في الممر، ثم انحرفا إلى ممر جانبي خاضا فيه قليلاً، قبل أن ينحرفا مرة الثانية إلى ممر آخر بدت أبواب المصاعد في نهايته.

قطعا الممر الجديد في ثوانٍ.. سبق معتز ركضاً ليضغط زر استدعاء المصعد، ومرت الثواني عليهما ثقيلة وهما يراقبان الممر الخالي من ورائتهما بتوجس، حتى أضاءت اللمبة الخضراء أعلى الباب مشيرة إلى وصول المصعد.

انزلقت ضلفتا الباب بنعومة، وتنفست أمل الصعداء وهي تدفع الكرسي المتحرك نحو المصعد، ثم لم تلبث أن خرجت شهقة من أعماق قلبها، انتفض لها جسد معتز بقوة وهما يحدقان معاً في الجسدين الفارعين داخل البذلتين السوداوين والمنظارين الداكنين، واللذين احتوتهما جدران المصعد.

مرت لحظة بودلت خلالها النظرات من الجانبين.. تراجعت أمل ورفيقها خطوة للوراء بحركة غريزية، قابلتها خطوة أخرى واثقة خطاها صاحبا الجسدين المفتولين، غادرا المصعد إثرها وقد ثبتا بصريهما على الجسد المستقر على الكرسي المتحرك.

وفي اللحظة التالية ارتعش معتز، إذ وجد نفسه يحدّق في فوهة
مسدس مخيف الشكل في قبضة أحدهما، وصكت أذنيه عبارة خافتة
خرجت من بين شفتي الثاني موجهة للسماعة المستقرة في أذنه:
- It is done .. لقينا البطارية.

(قبل دقائق):

نقل الطبيب الشاب في مركز E.N. الطبي بصره من وراء الحاجز الزجاجي بين ساقى الكابتن وليد اللتين راحتا تتناوبان على السير المتحرك، الذي تتزايد سرعته باطراد متسارع في قلب صالة الـgym، والأرقام التي تتوالى على الشاشة الهولوجرامية أمامه، والتي تنقل قياسات النبض والحرارة، والمعدلات التي تنقلها الأقطاب المتصلة بجسد وليد مفتول العضلات الغارق في فيض من العرق.

تبادل النظر مع استشاري العلاج الطبيعي الذي أوماً له برأسه، ثم مد سبابته ليضغط زرّاً على لوحة المفاتيح المجسّمة ضغطة طويلة، ارتفعت معها سرعة جريان السير المتحرك أكثر فأكثر، من دون أن ترتبك حركة وليد أو تختل ساقاه أو تفقدا توازنهما.

مد سبابته ليضغط الزر مرة أخرى عندما ارتفع أزيز قوي في الحجرة.. قال أخصائي العلاج الطبيعي للطبيب:

- التليفون ده عشانك.

ألقي الطبيب نظرة على شاشة التليفون المستقر على المكتب، والذي انبعث منه صوت رخيم:

- كابتن خالد فضالي - قسم التوريد.

قال الطبيب بلهجة آمرة:

- Answer.

يتجسد هولوجرام الكابتن خالد.

- مساء الخير يا دكتور.

- مساء النور يا كابتن.

- إختبارات وليد ماشية ازاي؟

التقت عينا الطبيب بأخصائي العلاج الطبيعي للحظة قبل أن يجيب
الأول:

- لسه مخلصتش.. بس لغاية دلوقتي نتايج التوافق العصبي كويسة..
actually ممتازة.

- عظيم جدًا، لأننا هنضطر نكتفي بهذا القدر.

قال الطبيب معترضًا:

- من فضلك يا كابتن.

قاطععه خالد بوجه متجهم:

- من فضلك إنت يا دكتور.. وليد عنده absolute priority task
دلوقتي، ولازم يتحرك up right now.. تقدر تعتبره اختبار عملي جديد.

- بس ده ممكن يمثل خطورة على حياته.

- مَعْتَقِدْش.. إنت لسه قابل إن نتايج التوافق العصبي ممتازة.. من
فضلك وُصِّلني بيه حالاً، عشان فعلاً مفيش وقت نضيعه.

لم يشعر معتز طيلة عشرين عامًا من عمره منذ أن وعى على الدنيا، بهذا القدر من الفزع الذي شعر به وهو يحرق في فوهة المسدس كاملة الاستدارة، التي يفصلها عشرون سنتيمترًا عن جبهته الغارقة في عرقٍ بارد، ومن ورائها وجه صخري منحوت يغطي نصفه منظر أسود مخيف، لمح على سطحه اللامع المصقول انعكاس وجهه المرتعب.

لم تكن أمل أقل منه فزعًا.. تجمدت عيناها على بادج E.N. على صدر جاكيت البذلة، واستعاد عقلها ذكرى بعيدة جرت في حي الإبراهيمية قديمًا.

هنا شعرت بالأصابع القويّة تلتف حول كاحلي.. شهقت برعب.. أدّرت رأسي فوجدت أحد العملاقين يتشبّه بحافة باب عربة الترام بيد، ويقبض على كاحلي بالأخرى.. صرخت بفزع وأنا أحاول جذب ساقي من بين أصابعه الفولاذيّة.. الركاب متجمدون في أماكنهم.. الوغد متشبّه بقوة.. خصلات شعره تتطاير مع اندفاع الهواء بسبب سرعة الترام، وشبح ابتسامة يتلاعب على شفّتيه وكأنه يقول لي ”لن أتركك فلا تتعبني نفسك بالمقاومة“.

مال صاحب الجسد الفارع الآخر (غير حامل المسدس) قليلًا للأمام باتجاه الجسد المتكوّم في الكرسي المتحرك.. رأته يلمس إطار منظاره

الأسود، وسمعته يقول مخاطبًا السماعة الدقيقة في أذنه:

- فحص البصمة الحيوية.

انتزعتها الكلمة الأخيرة من الشلل الذي زرعه الرعب في أعضائها،
تراجعت للوراء بينما أصابعها تسحب قرصًا ورديًا آخر من الحقيبة
القماشية الملتفة حول وسطها.

لمبة خضراء دقيقة جدًا أضاءت على طرف إطار المنظار.

- positive.

خرجت من بين شفثيه باثة قاطعة، وفي اللحظة التالية (ومن دون أن
يلتفت) ارتفعت أصابعه بسرعة احتراافية لتقبض على معصم أمل الذي
كان قد شق نصف المسافة في الهواء نحو عنقه حاملاً القرص المخدر
بين أناملها.

شعرت بألم مبرح بفعل ضغط أصابعه القوية على معصمها، حاولت
أن تنتزعه بلا جدوى، وارتطمت عيناها بالابتسامة إياها.

وشيح ابتسامة يتلاعب على شفثيه، وكأنه يقول لي ”لن أتركك فلا
تتعبى نفسك بالمقاومة“.

لا تعرف أهو استفزاز الابتسامة، أم تجدد الذكرى بما تحمله من
إحباط ومرارة الهزيمة، أم هي روح قتالية قديمة نشطت مع تجدد
المواجهة.. لا تعرف أيًا من هذا هو الذي دفعها لتتهور وتغرس لكمة
واهنة تافهة بين عضلات صدر خصمها، ألمت أصابعها هي من دون أن

تهز شعرة في جسده.. فقط زادت من اتساع ابتسامته المستفزة، ثم في اللحظة التالية طوّح بجسدها من معصمها الذي يقبض عليه، لتطير في الهواء ثم ترتطم بجدار الممر وتسقط أرضاً نصف فاقدة الوعي.

- أمل!

صرخ معتز بارتياح، واندفع نحوها غير عابئ بالفوهة المسددة إلى رأسه وهو يهتف:

- دي فوق الستين يا حيوانات!

وفي نفس توقيت مغادرة حرف التاء الأخير لحلقه تقريباً، هوى كعب المسدس الثقيل على مؤخرة رأسه بعنف، فسقط منكفئاً على وجهه من دون كلمة واحدة أخرى، وقد تكونت بقعة حمراء قانية موضع الضربة، راحت تتسع تدريجياً.

انفتحت أبواب غرف العناية المركزة إثر الصراخ، وأطلت منها رؤوس الأطباء والممرضات حاملة مزيجاً من الخوف والتوجس والدهشة.. تساءل أحد الأطباء بصوت عالٍ وهو يتقدم عمّا هنالك، وسرعان ما وقعت عيناه على المسدس، فقضم عبارته وتراجع للوراء بحركة غريزية وكأنما يحتمي بالغرفة التي خرج منها.. تعالت شهقات الفزع، وفي اللحظة التالية ارتفع رنين جرس الطوارئ.

تبادل الرجلان النظر من خلف منظاريهما، دسّ حامل المسدس مسدسه في جرابه أسفل إبطه، وأمسك الثاني بزمام المقعد المتحرك. من بين الآلام الشنيعة التي سرت في كل عظامها، والدوار العنيف الذي عصف برأسها، ومن بين جفنيها نصف المنطبقين، رأتهما أمل يستديران بحمولتهما الثمينة باتجاه المصعد.. غاص قلبها في بحيرة من اليأس وهي تجاهد لمقاومة آلامها والنهوض على قدميها.

بعينين غائمتين رأت ضلفتي باب المصعد تنفتحان بنعومة.. ثم في اللحظة التالية اضطربت الرؤية لديها.

لم تميز جيدًا ما يحدث، وخطر ببالها أن السبب هو مضاعفات ارتظام رأسها بالجدار.. كانا جسدين فارعين.. الآن صاروا ثلاثًا، وثمة ما بدا لها action عنيفًا يدور بينهم.

معركة!

ما لم تميزه هي بظروفها الحالية هو تلك الضربة العنيفة التي تلقاها صاحب المسدس من قدمين اندفعتا معًا من داخل فتحة المصعد بمجرد انزلاق ضلفتيه.. الضربة التي أصابت صدره فقذفت به ثلاثة أمتار للوراء ليسقط على ظهره.

حدث كل شيء بعدها بسرعة خاطفة تليق بالمحترفين.. تجاوز عميل E.N. الميدياني الآخر صدمته، فدفع الكرسي المتحرك جانبًا بعنف وأصابه سحب سلاحه من غمده ثم ترفعه باتجاه صاحب الضربة سائلة الذكر، والذي ما أن استقرت قدماه على الأرض حتى اندفع نحوه.

جسدان ملتحمان يتخبطان بين جداري الممر.. أصابع تمسك بمسدس وتضغط زناده، وأخرى تقبض عليها وترفعها لأعلى، فتطيش الطلقات ذات الصوت المكتوم لتتغرس في السقف.. الممرضات تصرخن صراخًا هستيريًا.. ضربات.. ركلات.. أحدهما.

تعلقت عيناها بشاب فارع القامة في جينز ومعطف أبيض ويغطي رأسه بـ"كاب"، عَبْرَ ممرٍّ عموديٍّ وهو يحرق صوبهما من وراء كتفه.

(ذو الكاب) يحمل غريمه، رغم ضخامته، ويضرب بجسده الحائط

بعنف.. صافرات الطوارئ تعوي بلا انقطاع.. ضربة عنيفة.. أخرى أشد عنفًا.

يهوى العملاق الذي أطاح بأمل على ركبتيه، ثم يتلقى في آنٍ واحد ضربتين هما الأعنف على جانبي جمجمته بزجاجتين من زجاجات المحاليل، تتهشمان على رأسه، فيسقط بلا حراك إلى جوار معتز الممدد جسده أرضًا.

العميل الأول ينهض على قدميه، يسحب مسدسه ويطلق رصاصتين تشقان الفراغ الذي احتله جسد صاحب الكاب منذ جزء من الثانية، قبل أن يلقي بنفسه أرضًا.. ينزلق على السيراميك الأبيض باتجاه خصمه.. يركل منضدة معدنية ذات عجلات مخصصة لنقل المعدات، فتتقلب لتطير باتجاه عميل E.N. الذي يدفعها عنه بساعده، ليفاجأ من ورائها بخصمه قبالة مباشرة.

دقيقة كاملة من الضربات المتبادلة والمتفاداة والمصدودة، الصراخ وتهشيم الزجاج، ثم يسقط العميل أرضًا بوجه مخضب بالدماء على بعد أمتار من جسد زميله.

اعتدل صاحب الكاب واقفًا.. حوله ثلاثة أجساد فاقدة الوعي، ولا أثر لأمل أو للكروسي المتحرك بحمولته.

- مكانك، وإيديك الاتنين لفوق.

أدار عينيه لتقعًا على أربع فوهات مسددة إليه عبر طرفي الممر، ومن ورائها أربعة أزياء رسمية زرقاء مميزة لسيكيوريته المستشفى. أغمض عينيه، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه.

أمل أيضًا أغمضت عينيه.

التقطت نفسًا عميقًا ملأت به صدرها، ثم أخرجته ببطء وهي تفرد

أصابعها، لطرد الطاقة السلبية.. كررت الفعل مرة أخرى محاولة التعالي على الآلام التي تنهش كل عظمة من عظامها، والشواكيش التي تضرب جمجمتها بلا رحمة، قبل أن تفتح عينيها، تعدل من هندامها وتفرد قامتها بصعوبة.

ضلفتا المصعد تنزلقان بنعومة.. ترسم تعبيراً محايداً على وجهها، وتقبض بأصابعها على مسندي المقعد المتحرك، ثم تدفعه للخارج حيث الجراج.

رصدت عيناها بسهولة حالة التوتر السائدة في المكان.. صافرات الطوارئ تنافس أبواق سيارات الإسعاف.. مصابيح حمراء تومض وتنطفئ بانتظام.. الصرخات المكتومة القادمة من الطابق الثاني.. أفراد من أمن المستشفى يهرعون باتجاه سلام الطوارئ حاملين أسلحتهم.

دفعت الكرسي بحمولته الغائبة في سكون تام بين السيارات المتوقفة حتى بلغت سيارة معتز.. دسّت المفتاح (الذي سحبتة خلسة من جيب بنطلونه بينما كان فاقد الوعي ممدداً على أرضية ممر المستشفى، والقتال مشتعل على بُعد أمتار منه) في الثقب المخصص في الباب.. مرت لحظة ثم أضاءت لمبة حمراء بجوار الثقب، وارتفع صوت كمبيوتر السيارة يقول بألية:

- بصمة حيوية غير مطابقة.. محاولة أخرى لفتح السيارة، وسيتم إبلاغ الشرطة.

جزت على أسنانها وهي تطلق سبة ساخطة، وأدارت رأسها فيما حولها، حتى توقفت عند سيارة إسعاف برتقالية اللون متوقفة عن قرب.. حثت الخطى إليها، ودنت من زجاجها الأمامي المفتوح، حثت السائق وقالت بلهجة أودعتها أقصى ما استطاعت من جدية:

- الحالة دي محتاجة تتنقل لمستشفى التأمين الصحي على وجه السرعة.

نقل السائق بصره بينها وبين الجسد الضئيل المتراخي على الكرسي المتحرك وتساءل:

- لوحدها كده؟!

- يعني إيه؟!

- يعني فين أوراها؟ وليه موصلنيش إيميل بتصريح الخروج وأورد النقل؟ وفين الممرض المرافق؟ ومين حضرك أساساً؟

نطق سؤاله الأخير وهو ينقر بسبابته على صدر قميصه إشارةً إلى عدم وجود ID في المكان المفترض على صدر معطفها الأبيض.. أجابته بسرعة:

- أنا الدكتورة سمية عزازي، والحالة دي الدكتور حلمي بنفسه هو اللي أمر بنقلها على وجه السرعة، والتصريح والأورد غالباً اتأخروا عشان القلق (مشيرة بسبابتها للمصاييح ذات الإضاءة الحمراء المتذبذبة) اللي حاصل ده.

هز رأسه قائلاً:

- مَقْدَرش أتحرك بالعربية من غير تصريح الخروج وأورد النقل.

قالت بلهجة تحذيرية:

- دي حالة حرجة، ولو حصلها حاجة من ورا تأخير النقل، إنت اللي هتبقى مسؤول.

- حضرك مش واخدة بالك.. السيستم مش هيسمح بخروج أي حالة من غير تصريح بالخروج ينزل على كمبيوتر البوابة عليه بيانات الحالة

وموقفها المالي وبيانات العربية والمسعف والسواق.. من غير التصريح ده، البوابة مش هتت...

بتر عبارته عندما اقتحمت الكادر من وراء كتف أمل أصابع قوية قبضت على ياقة قميصه وجذبت له لتخبط رأسه في عجلة القيادة بعنف أدار رأسه، وسمع صوتًا غليظًا يقول:

- ينفع التصريح ده؟

أجفلت أمل ولا شعوريًا خرجت منها شهقة وهي تلتفت يسارًا لتقع عينها على الشاب طويل القامة صاحب الكاب الذي تركته قبل دقائق يقاتل في ممرات قسم العناية المركزة، وامتزجت شهقتها بصيحة الألم التي غادرت شفتي السائق الذي انفجرت الدماء من أنفه.

- إنت مين؟

تساءلت وهي تحديق به مشدوهة، فقال لها بحزم:

- اركبي بسرعة.

صاح السائق بألم:

- مناخيري اتكسرت!

شدد الرجل من قبضته على زمام ثيابه وهو يقول:

- تأمينك الصحي هيغطي تكاليف عملية التجميل.. اتحرك بالعربية من غير ما ترغي عشان متخسرش أعضاء تانية ملهاش تجميل.

- البوابة مش هتت...

قاطعه بلهجة آمرة:

- افتح الصندوق الوراني.

أطاعه السائق على الفور، فألقى الأمر الصوتي لكمبيوتر السيارة، وقال

الرجل لأمل مشيراً إلى الجسد الضعيف المستقر على الكرسي المتحرك:

- خديه واركبوا ورا بسرعة.

تساءلت بإصرار:

- إنت مين؟

قال بشراسة:

- مفيش وقت.. فرقة المطاردة هتوصل بين لحظة والثانية.. لازم نتحرك حالاً.

رددت:

- مطاردة!

- انجزي!

خرجت منه الشخطة حاسمة، جعلتها تدفع الكرسي من دون كلمة أخرى لتدور حول السيارة ثم تصعد به المنحدر المتدلي من الصندوق الخلفي المفتوحة ضلفتيه، واللتين انغلقتا خلفها بأمرٍ آخر من السائق لكمبيوتر السيارة.

- اتحرك.

قالها الشاب مخاطباً السائق وهو يستقر في المقعد المجاور له.. قال السائق وهو يمسح الدم من على أنفه المتورم:

- يا بيه أنا والله عايز أساعدك، بس الحاجز الي عند البوابة مش هيترفع من غير تصريح الخروج.. ده السيستم.

- اكسره.

- أكسره؟!

- اتحرك بسرعة واكسر الحاجز، وف التحقيق قولهم إنك عملت كده تحت تهديد السلاح.. المستشفى بتمر بحالة طوارئ، ومناخيرك المكسورة هتؤيد قصتك.

- بس الـ...

- لو حابب أسيلك دليل ثاني أقوى يأكّد قصتك، معنديش مانع!

أدار السائق موتور السيارة وهو يقول بسرعة:

- لا، وعلى إيه؟!

غادرت السيارة موضعها، وانطلقت بسرعة متزايدة تدريجيًا في ممرات الجراج، وما أن لاح المخرج على بعد مائتي متر إلا قليلًا حتى صاح الشاب بالسائق:

- اسحب بقى!

أطاعه السائق على الفور، فاعتصرت قدمه دواسة البنزين لتنتلق السيارة بسرعة كبيرة نحو المخرج.. ارتفع صوت كمبيوتر السيارة محذرًا من تجاوز سرعتها للمسموح به داخل الجراجات، ولكن السائق لم يعبأ، وزاد من ضغطه على دواسة البنزين.

تعالى صراخ أفراد أمن بوابة الجراج وهم يرون سيارة الإسعاف تنقض عليهم بسرعة غير مألوفة، تواثبوا يمنة ويسرة مبتعدين عن مسارها، وراقبوها بأعين مذهولة وهي تصدم حاجز البوابة، فتطيح به بقرعة عالية جدًا، وتختفي بعد عبورها لمنحنى الـ ramp المؤدي إلى خارج المستشفى.

- Good boy.

قالها الشاب للسائق الذي ألجمه الانفعال، فلم يرد بينما قبضتاه متقلصتان على عجلة القيادة.. أدارها يمينًا باتجاه البوابة التي يتبدى

منها أضوء أعمدة الإنارة بالشارع، بلغها في خمس ثوانٍ لا أكثر ثم لم يلبث أن ضغط الفرملة بغتة، فتوقفت السيارة مصدرةً عجلاتها صريراً بعد أن عبرت المخرج بأمطارٍ قليلة.

لثوانٍ ساد صمت لم تقطعه إلا أصوات تكّات أجزاء الأسلحة الأوتوماتيكية التي تجذبها أيدي الأفراد الذين يربوا عددهم على الثلاثين فرداً، متشحين بأردية عسكرية سوداء، وأحاطوا بالمدخل باحترافية، مصوبين أسلحتهم باتجاه سيارة الإسعاف.

أغمض السائق عينيه أمام الأضواء الباهرة للكشافات الضخمة التي سُلّطت عليهم، وكذا فعلت أمل التي غاص قلبها في ضلوعها وهي ترمق المشهد عبر نافذة جانبية في كابينة السيارة الخلفية.

أما الشاب، فتجمدت ملامحه تماماً وهو يدير عينيه في المشهد، ثم وهو يستمع للنداء الذي ارتفع عبر مكبر صوت:

- أمل الشافعي.. زين العابدين منصور.. سلّموا أنفسكم.. انزلوا من العربية وإيديكم مرفوعة.

- أمل الشافعي.. زين العابدين منصور.. سلّموا أنفسكم.. انزلوا من العربية وإيديكم مرفوعة.

لحظة ثقيلة الوطأة، شعرت خلالها أمل بالعالم كله يطبق على روحها.

نظرت عبر نافذة الكابينة الخلفية للأجساد المفتولة في الثياب السوداء الشبيهة بأردية القوات الخاصة، والأقنعة الداكنة ذات المناظير المخصصة للرؤية الليلية، الأسلحة مخيفة الشكل المسددة تجاههم.. و E.N. واثقة متحدية على الصدور.

غمرها يأس كثيف، وانتباتها رغبة عارمة في البكاء.

عبر السماعه الداخلية، سمعت السائق يردد بذهول:

- أمل الشافعي! أمل الشافعي بتاعة الـ...

قاطعته صوت زين الجالس إلى جواره:

- ارجع بضرّك.

- إيه؟!!

- (بحدة): ارجع ع الجراج.

وفي اللحظة التالية دوى صوت طلقتين أصابتا عجلتي السيارة الأماميتين، ففجرتاهما، وارتفع صوت قائد المجموعة عبر مكبر الصوت:

- مفيش فايده من المقاومة.. إنتو محاصرين بالكامل.. سلموا أنفسكم.

وبإشارة من كفه المختفية داخل قفاز أسود، تقدم عشرة من أفراد مجموعته في شكل نصف دائرة بأسلحتهم المشهورة نحو السيارة.

- مفيش فايدة من المقاومة.

تحفزت عضلات زين في الكابينة الأمامية، في حين عضت أمل على شفتها السفلى بيأس وهي ترمق الفوهة التي تقترب منها حثيثاً.. لا شعورياً امتدت أصابعها لتحضن كف الجسد المستكين في المقعد المتحرك إلى جوارها.. أدارت عينيها له، لرأسه المائل على كتفه والملفوف بالضمادات.. اغرورقتا بالدموع وهي تهمس بلا معنى:

- متخافش.

- انزلوا من العربية، وإيديكم مرفوعة لفوق.

السائق يقفز من السيارة وذراعه مرفوعتان فوق رأسه.

- سلموا نفسكم.

كوّر زين قبضته استعداداً لقتال يائس، بينما أصابع أقرب الجنود تمتد لتفتح الباب المجاور له.

- مفيش فايدة من المقاومة.

وفي اللحظة التالية اقترن دوي طلقة الرصاص بانفجار جمجمة الجندي، وتناثر أشلائها على باب السيارة الذي كان يهم بفتحه.

حدق الكل مذهولين في الجثة التي هوت أرضاً بلا رأس تقريباً.. الكل ما عدا زميله الواقف خلفه مباشرةً، والذي ظل واقفاً في وضع التصويب، والدخان يتصاعد من فوهة سلاحه. ولوهلة حُيِّلَ لعيني زين المندهشتين أن جسده يرتعد..

- رائف!

خرجت من بين شفتي القائد عبر مكبر الصوت هادرة، تحمل من الصدمة أكبر بكثير مما تحمل من الغضب.. التفت الجندي بسلاحه إلى قائده.. أطلق زملأؤه النار عليه.. اخترقت ذراعيه وساقيه ما لا يقل عن ست طلقات (وقته سترته الواقية من الرصاص من سبعة آخرين) لم تمنعه من ضغط زناد بندقيته، لتغادر فوهتها طلقة واحدة أخيرة اخترقت جمجمة القائد، قبل أن يسقط هو نفسه بجمجمة متشظية إثر طلقة صديقة.

كان هذا إيذاناً ببدء الجنون.

السائق ألقى بنفسه أرضاً محيطاً رأسه بذراعيه، زحف مبتعداً وهو لا يكف عن الصراخ.. أما زين في الكابينة الأمامية، وأمل في الخلفية، فحدقا بذهول في ثماني وعشرين جندياً مدججين بالسلاح يطلقون نيرانهم، فيفجرون رؤوس بعضهم بعضاً.

تساقطت الجثث منسوفة الجماجم، وتناثرت الدماء وبقايا الأمخاخ الممزقة على أسفلت الشارع الصغير المتفرع من مصطفى النحاس.

صراخ وضوضاء من بعيد لم ينتبه لها المذهولان في سيارة الإسعاف.

حانت التفاتة من أمل باتجاه الجالس إلى الكرسي المتحرك، فتضاعفت دهشتها إذ لمحت ما بدا لها أشبه بوميض ما في موضع الخليتين البصريتين أسفل طبقات الضمادات المحيطة برأسه المائلة إلى كتفه.. لم تصدق، لم تفهم، لم تشعر إلا وباب الكابينة التي تجلس بها ينفج عنة، ويظهر وجه زين من فتحته وهو يهتف بها:

- يلا بسرعة!

تجمدت وهي تحقق في عينيهِ الحادثين ورأسه الأصلع (من دون الكاب) وذقنه نصف الحليقة.. كرر بعنف:

- اتحركي!

هتفت به وهي تجدّ السير إلى جواره محاولة اللحاق بخطواته
الواسعة:

- إيه اللي حصل؟!

أجاب بصوت لم تفارقه الدهشة:

- خلصوا على بعض.

- إزاي؟!

هز رأسه وهو يدفع الكرسي المتحرك بحمولته على الرصيف:

- معنديش تفسير.

ثم التفت بوجهه إليها متسائلاً:

- إنتي أمل الشافعي فعلاً؟

مرت لحظة من الصمت قبل أن تهز رأسها بوجوم.. سألها وهما

ينحرفان بحمولتهما في شارع عمودي موازٍ لمصطفى النحاس:

- وكُنّتي واخدة البطارية دي (مشيراً إلى صاحب الجسد) على فين؟

أجابت سؤاله بسؤالٍ آخر:

- إنت مين؟

أدار وجهه أمامه صوب الشارع الذي سادته حركة مضطربة باتجاه

مصدر أصوات الطلقات (عكس اتجاه حركتهما)، وقال:

- زين العابدين منصور.. صياد.

رددت:

- صياد!

- آه.

- بتصطاد إيه؟

- بطاريات.

صمتت لحظة مفكرة في الجواب، ثم همست:

- في E.N.!

- آه.

توقفت تحديق فيه بدهشة.. لم يتوقف هو، فسبقها ببضعة خطوات
بذلت مجهوداً لتستردها، وهي تهتف لاهثة:

- استنى هنا!

التفت يرمقها من دون أن يتوقف، فصاحت به:

- واخده على فين؟!

لم يرد، فقبضت بأصابع واهنة على طرف سترته هاتفة:

- مش هسمحك ترجع هولهم تاني!

جذب طرف سترته ليحرره منها ببساطة، وتوقف قائلاً ببرود لم يخل
من تهكم:

- ما أنا لو عايز أسلمه، كنت سبته لرجالة الشركة ياخدوه.

- أو مال واخده على فين؟

ارتفعت السارينات المميزة لسيارات الشرطة قادمة من بعيد، فأوماً
برأسه تجاهها وقال:

- أهم حاجة نبعد الأول وبعدين تسمعيني واسمعك.

لهتت بشدة وهي تحث الخطى إلى جواره من شارع إلى شارع

بين الأبنية الأنيقة، والأشجار المزروعة على الجانبين، حتى خرجا إلى شارع مصطفى النحاس.. أشار بسبابته إلى محطة المترو الطائر الكائنة على مبعدة عشرات الأمتار، فهزت رأسها بإرهاق وتبعته عبر الشارع المكسّس بزحام أبدي لا ينتهي.. بلغا بهو المحطة الرئيسي المقام في موضع مخصص بالجزيرة الوسطى التي تقسم الشارع لاتجاهين.. قطع هو وتذكرتين، واستقلا المصعد الذي ارتفع بهما إلى الرصيف الرئيسي المقام على هيكل من الصلب بارتفاع خمسة عشر متراً.

وقفوا متجاورين وسط عدد من الركاب بانتظار المترو القادم.. تشاغل هو بالنظر إلى الأضواء الباهرة القادمة من أسفل، من المباني والمحلات وأعمدة الإنارة ومصابيح السيارات، بينما أصابعه ملتفة على مسندي الكرسي المتحرك.. أما هي فأخرجت هاتفها المحمول عتيق الطراز، والذي تذبذبت أضواؤه معلنةً عن مكاملة.. ضغطت الأزرار وهي تدس سماعته الدقيقة في أذنها من تحت الطرحة.

أدار زين عينيه إليها فرآها تبتعد قليلاً وهي تتحدث بصوت خفيض.

- ده صديق.. هيستنانا.

قالتها باقتضاب هامس ردّاً على النظرة المستفهمة في عينيه لدى إنهاؤها للمكاملة وعودتها إليه.. انعكست أضواء المترو المقترب على وجهه وثيابه وهو يسألها:

- مين؟ وفين؟

قالت وهي تنظر إلى المترو الذي هدأت سرعته وهو يدنو ليستقر أمام الرصيف:

- هتعرف لما نوصل.

رمقها بغیظ قائلاً من بين أسنانه:

- إنتي مجهزة كل حاجة بقى!

غمرت صوتها نبرة متحدية وهي تقول:

- لو مكانش عندك خطط ثانية يعني!

فوجئت بعينيه تتجاوزانها لما خلفها، في نفس اللحظة التى انعكس فيها على وجهه ضوء باهر، وصك في أذنيها أزيز مكتوم.. أدارت رأسها بسرعة لتقع عيناها على طوافة عمودية صغيرة تحلق بالقرب من رصيف المحطة، و E.N. واضحة على جانب جسمها الأسود المصقول.

سرت قشعريرة باردة في جسدها، واستجابت لجذبة قوية من ذراعه، فدفعت نفسها وسط الركاب داخل عربة المترو عبر الباب المخصص لصعود الركاب.. وعبر النافذة رأت زجاج الطوافة ينزاح لأسفل بنعومة، ثم ملحت من ورائه وجهًا أدهشها أن لَوْح صاحبه لهما بذراعه وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة.

نظرت إلى شريكها بعجب، فوجدته يحدق بوجه ممتقع في راكب الطوافة، وسمعته (بصعوبة بسبب الصوت الأنثوي المسجل الذي انبعث عبر الإذاعة الداخلية يعلن للركاب اسم المحطة التالية وزمن الوصول إليها) يردد:

- مستحيل!

(قبل دقائق):

الطوافة صغيرة الحجم تتسع لاثنين فقط، مستقرة على مهبط المركز الطبي التابع لـ E.N، الطيار في مقعده، المحركات مشتعلة متأهبة للإقلاع.

وليد يتقدم منها في زي العمليات أسود اللون، كامل المعدات، بخطوات رشيقة أقرب إلى الركض.

الكابتن خالد يخاطبه عبر السماعه الدقيقة المستقرة في أذنه:

- الوقت الي قدامنا محدود جداً يا وليد.. إحنا دلوقتي عارفين مكانه، بس ما بين لحظة والتانية ممكن يختفي.

وثب وليد ليحتل المقعد المجاور للطيار، والذي أقلع بالطوافة على الفور، وقبل حتى أن يكتمل انغلاق بابها.. تجاوزت سطح المركز بسرعة لتحلق في الظلام، بينما وليد يقول لقائده:

- مش فاهم يا كابتن ليه ممكن يختفي! ما دامت بصمته الحيوية متسجلة، هيترصده في أي مكان يروحه.

قال خالد بصرامة:

- مش مطلوب منك تفهم.. إنت تأدي المهمة الي عليك وبس!

وصمت لحظة ثم استطرد:

- Actually المشكلة مش عندنا أد ما هي عند قسم المتابعة ف Eye..

وواضح إنها مشكلة مش بسيطة، لأنهم اتأخروا جدّا في رصد بصمة البطارية المفقودة الي قولتلك عليها.. ولولا انهم رصدوا بصمة زين في نفس المكان وبلغونا بيها، الله أعلم كانوا هيرصدوها إمتى.
تساءل وليد وهو يرمق أضواء القاهرة التي تتحرك بسرعة من أسفل الطوافة:

- بس إيه الي جمع الشامي على المغربي؟! هو عرف مين ان فيه بطارية هربانة؟!
- من جهاز الاتصال الي سرقه من الطائرة قبل ما يهرب.

- الطيار الآلي استشعر فقدان الطائرة لتوازنها بعد ثواني من سقوط عبد الله، وسيطر عليها أوتوماتيكياً ورجعها سليمة للمزرعة.
- وزين؟
- اختفى.
- اختفى!
- هرب.. الصندوق الاسود سجل فتح باب الطائرة قبل دقائق من هبوطها، وبالحرص لقينا فيه مظلة هبوط وجهاز اتصال مفقودين.

أردف:

- الجهاز متطور، مفتوح على كل الموجات وبيفك جميع الشفرات الي بنستخدمها عندنا ف الشركة.
- وازاي عرف يوصل للبطارية الي فرّق المطاردة طول اليوم بتنش الأرض وراها؟!
الأرض وراها؟!

- دا اللي هنعرفه لما يقع ف إيدينا.

ثم.

- (بحزم): زين مش صيد سهل يا وليد، مَتَنساش اللي عمله فينا
كلنا وفيك إنت بالذات النهارده الصبح.

استعاد وليد ذكرى اشتباك الطائرة صباحًا، وغمغم بمقت:

- أوعدك يا كابتن، بكرة الصبح ف نفس المعاد مش هيتبقى منه غير
سيال حيوي.

بدأ المترو يتحرك يتحرك طائرًا على مجال كهرومغناطيسى (غير مرئى
بطبيعة الحال) ، فدفع الطيار عصا التحكم لتحلّق الطوافة بمحاذاته..
تساءل وليد وعيناه لا تفارقان خصمه:

- المحطة الجاية إيه؟

- نوري خطاب.

صمت وليد للحظات، ثم قال وقد التمعت عيناه:

- قَرَب م المترو على أد ما تقدر، وافتحلي الباب.

- (بدهشة): هَتَنْط؟!

- آه.

- ما تستنى لما يقف ف المحطة الج...

- نَفْذ الأوامر.

قالها بلهجة آمرة، فلم يعقّب الطيار.. زاد السرعة وهو يرتفع بطوافته قليلاً، يميل يساراً باحترافية، فيقترب من مجرى حركة المترو المقام على هيكل من الصلب المقوّى.. ضغط زراً فانفتح الباب المجاور لوليد الذي أعاد غطاء وجهه الأسود إلى موضعه اتقاءً لتيار الهواء البارد المندفع لداخل الطوافة.

صاح الطيار محاولاً أن يعلو بصوته على الضجيج:

- خلي بالك

- قاس وليد المسافة ببصره بدقة ، ثم في لحظة مختارة دفع ساقيه بكل قوته (الأمر الذي أخلّ بتوازن الطوافة لولا احترافية الطيار) ووثب بجساره ليقطع متريّن من الهواء الأسود على ارتفاع خمسة طوابق من الأرض قبل أن يرتطم جسده بعربة المترو المنطلق بسرعة، وتتشبّت الممصّات في قفازيه بسطحها المعدني.

شهق الركاب القلائل الذين راقبوا المشهد عبر زجاج نوافذ العربة (واحد أو اثنان راحوا يصورونه بتليفوناتهم المحمولة)، ثم تحولت شهقاتهم لصرخات عندما ضم وليد المتعلق بجسم العربة قبضته ثم هوى بها على زجاج أقرب نوافذ العربة إليه.. تشقق الزجاج المقوّى من الضربة الأولى ثم تهشم مع الضربة الثانية تحت وطأة الأصابع البديلة.

ارتفع صوت صفارات الإنذار مع تهشم الزجاج، وامتزج بصرخات الركاب وهم يتراجعون مبتعدين عن النافذة المحطمة، التي اندفع منها تيار قوي من الهواء البارد، وحدقوا بمزيجٍ من خوف ودهشة في وليد الذي وثب برشاقة ليعبر فتحة النافذة مع الهواء البارد والزجاج المهشم إلى داخل العربة.

تساءلت أمل بخوف وهي تتراجع للوراء:

- تعرفه؟

دفع زين مسندي المقعد المتحرك إليها وهو يجيئها من دون أن
تفارق عيناه زميله القديم:

- زميل.

ثم تقدم منه ببطء وهو يقول له:

- حمد الله على السلامة يا ول!

فرد وليد قامته، رفع قناعه الأسود عن وجهه، وحدق بابتسامة
ساخرة في وجه زين قائلاً:

- الله يسلمك يا زيزو!

أوماً زين برأسه نحو النافذة المهشمة وهو يقول مستمراً في التقدم:

- مش هتبطل الأفلام بتاعتك دي!

بدأ وليد يخطو نحوه بدوره وهو يقول:

- وحشتني! مقدرتش أستنى أكثر من كده!

ابتسم زين ابتسامة خفيفة بزاوية فمه وهو يتساءل:

- مَقْدِرْتِش تستنى لغاية نوري خطاب؟!

- (يضم قبضته): قبل ما نوصل نوري خطاب هَنكون صفينا حسابنا.

توقفا متواجهين، يفصل بينهما متر واحد.. تأمل زين جسده الممشوق
المشدود في زيه الأسود، ثم سأله:

- أنهى دراع الي كسرت هولاك الصبح؟

- دأ.

خرج الحرفان الغاضبان من بين شفتي وليد، بينما قبضته اليمنى تشق الهواء بسرعة مذهلة باتجاه وجه خصمه، الذي بدا وكأنه يتوقعها فمال بجذعه متفادياً إياها، وصك أذنه لدهشته صوت تهشم العمود المعدني الذي أصابته إذ طاشت.

تعالّت صرخات الركاب من جديد لتطغى على صوت صافرات الإنذار التي لم تنقطع.. قبضت أمل على مسندي المقعد المتحرك وهي تراقب القتال العنيف الدائر، ونبض قلبها بقلق إذ لاحظت أن زين لم يفلح في تفادي أو صد عدد من الضربات، بدت لسرعتها أقرب إلى أكشن سنيماي تم تسريع لقطاته، أصابته في وجهه ومعدته، ثم لم يلبث غريمه أن حمله بحركة خاطفة (بعد أن صد واحدة من ضرباته) وطوّح به بقوة مدهشة عبر ممر العربّة، ليسقط أرضاً على بعد خطوات من سيقان الركاب الذين تراجعوا صارخين بفرع.

أعلن الصوت الأنثوي المسجل قرب بلوغ محطة نوري خطاب، وبالفعل بدأت سرعة المترو في الانخفاض.. نهض زين ببطء والدماء تنزف من جرح في حاجبه الأيسر، ومن بين شفثيه المتورمتين.. حدق في وليد الذي يتقدم منه قائلاً بابتسامة ظافرة:

- نهاية الخط يا زين.

- دي محطة، مش النهاية يا وليد.

- دي النهاية بالنسبالك يا زميلي.

وقبل أن يتم حروف كلماته، فوجئ به يثب نحوه من جهة اليسار.. طوح بقبضته اليسرى الطبيعية ليستقبله، ولكنها غاصت في الفراغ، إذ انزلق زين بجسده لأسفل بهرولة ليعبر بين ساقيه المنفرجتين ويضربه في خصيته.

شهى بألم وهو ينثنى، وقبل أن يستدير لىواجهه، قبضت أصابع زين
الذى انتصب واقفًا من خلفه، على ذراعه اليسرى ولواها بعنف..
سمعه يقول له:

- هتحتاج سايورج جديد يا ول.

جن جنون وليد، حاول أن يحرر ذراعه أو يصيب زين بواحدة من
ركلاته المحمومة من دون جدوى، بينما ارتسم تعبير أقرب إلى الفزع
على وجهه.. ثم لم تلبث أن امتزجت صرخاته بصوت قرعة عظام
ذراعه إذ تهشم في أكثر من موضع.

هوى أرضًا وهو يئن بألم.. رأى زين يقترب منه.. قال له من بين
أسنانه:

- المرة الجاية هتبقي الأخيرة يا زين.

- الثالثة ثابتة يا وليد.

كان هذا آخر ما التقطته أذنا وليد قبل أن يرتج مخه داخل
جمجمته، إثر ركلة عنيفة من قدم زين استقرت مباشرةً في وجهه،
ليغيب بعدها عن الوعي.

انفتحت أبواب العربة، فهرع الركاب خارجها بعشوائية وتخبط
صانعين ضجة عظيمة، وتدفق داخلها عدد من رجال أمن المترو كانوا
واقفين بانتظارها على الرصيف.

مسح زين الدماء من على وجهه بالمناديل الورقية التي ناولته أمل
إياها وهما يجدان السير من دون أن يتبادلا كلمة واحدة باتجاه المصعد
المؤدي إلى بهو المحطة.. لم يريا راكب العربة الذي أشار نحوهما وهو
يكلم أحد رجال الأمن، ولكنهما سمعا هتافًا عاليًا:

- يا أستاذ يا اللي هناك.. من فضلك.. يا مدام.

التفتا ليريا ثلاثة من رجال الأمن يتقدمون صوبهما.. انفتح باب
المصعد في هذه اللحظة، فهمس زين لها:

- انزلي واستيني تحت.

أطاعته على الفور، فخطت مع الركاب إلى داخل المصعد، وسمعته
يقول لها محذراً:

- بلاش غدر. إنتي لسه محتاجاني!

هزت رأسها، وسمعت "استني يا مدام!" عالية من أحد رجال الأمن
الثلاثة الذين رأتهم من بين ضلعتي المصعد وهم يهرولون تجاههما..
وقبل أن تغلق الضلفتان لمحته يستدير بهدوء لمواجهةهما.

التقطت نفساً عميقاً، أغلقت عينيها وهي تخرجه ببطء فاردةً
أصابعها.. لم تعبأ بنظرات الركاب المتوجسة الفزعة لها بينما المصعد
يهبط، وخيل لها أنها تسمع أصوات ضجيج وصراخ قادمين من أعلى..
انفتحت الأبواب مجدداً.. غادرت بأسرع ما تسمح به ساقها
الواهنتان من سرعة وهي تدفع حمولتها أمامها.. انتظرت حتى أضاءت
إشارة عبور المشاة، فعبرت إلى رصيف حديقة العاشر، وسارت قليلاً
بمحاذاة السور، ثم انحرفت إلى شارع الطيران، وهناك توقفت بجوار
سيارة داكنة.. مالت بجذعها قليلاً لتنقر زجاجها الأمامي الأيمن، فانزلق
لأسفل بنعومة وبدا وجه إيمان من ورائه.. رمتها بحمولتها بنظرة
باردة، قبل أن تتسائل باقتضاب:

- البطارية؟

هزت أمل رأسها فانفتح باب الأريكة الخلفية إثر أمر صوتي من
إيمان.

قالت أمل وهي تتراجع بالمقعد المتحرك نحو الباب المفتوح:

- تعالي دخليه معايا يا إيمي.

- خليكي مستريحة يا إيمي!

التفتتا بسرعة لمصدر الصوت، وحدقت إيمان بمزيجٍ من دهشة
وتوجس في وجه زين الدامي متورم الشفتين.. سمعته يقول لخالتها
وهو ينحني ليحمل الجسد الخفيف النائم من على الكرسي المتحرك:

- شكراً إنك استنيتيني!

- كنت عايزني استتناك لما تتمسك وبعدين ينزلوا يمسكوني أنا كمان؟!
رمقها بنظرة متهكمة من دون أن يعلق وهو ينقل الجسد إلى الأريكة
الخلفية، بينما قالت إيمان بعصبية:

- مين ده كمان؟!

- صديق.

أجابتها أمل باقتضاب وهي تستقر في المقعد المجاور لها، ثم أردفت:

- اطلعي يا إيمي.. بسرعة!

نقلت إيمان بصرها بينها وبينه وقد استقر على الأريكة الخلفية
وجذب باب السيارة خلفه ليغلقه.. نفخت بحنق، قبل أن تدير المحرك
وتقبض بأصابعها على المقود متسائلة:

- على فين؟

في قاعة مكتبه المطلّة نافذتها الزجاجية العريضة على زرقة مياه بحيرة ميتشجن من على ارتفاع أربعين طابقاً، حدّق المستر جيكوب فيلدمان المدير العام التنفيذي لمجموعة The Eye في هولوجرام مرؤوسه اللبناني نصير لبكي، المدير الإقليمي لفروع المجموعة بالشرق الأوسط الكبير، وهو يتكلم بسرعة وبقدّرٍ من الانفغال، استمع له بتركيز حتى انتهى.. استرخى في مقعده، شابكاً أصابعه أسفل ذقنه.. مرت عليه لحظات من الصمت علّت خلالها أمارات التفكير قسمات وجهه، مما دعا لبكي للالتزام الصمت بدوره حتى رفع عينيه الرماديتين إليه متسائلاً:

- آدم المصري بنفسه هو الذي اتصل بك؟!

فهز لبكي رأسه مجيباً:

- مدير مكتبه، المستر عمرو عزام هو من اتصل بي، وأبلغني برسالة رئيسه.. تهديده بمعنى أصح.

لحظات أخرى من الصمت، ثم قال فيلدمان:

- حسناً لبكي.. سندرس الموقف ونتصل بك.

- أرجو أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن مستر فيلدمان.. المعروف عن آدم المصري أن تهديداته ليست جزافية.

- ونحن لا نقبل أي تهديدات من آدم المصري أو من غيره، نصير.. سنأخذ وقتنا في الدراسة والتقييم وحل المشكلة كاملاً كما ينص

البروتوكول بيننا وبينه.

- ولكن مستر فيل...

- (برود): وداعًا مستر لبيكي.

أنهى الاتصال فتبدد هولوجرام اللبناني، والتفت جيكون إلى هولوجرام مورجان سميث، نائب رئيس مجلس الإدارة وهو يردد بحلق:

- آدم المصري يهددنا!

نفث هولوجرام المستر سميث دخان سيجاره وقال:

- المشكلة أكبر من آدم المصري وتهديداته، جيكي.. قبل ثلاثة أيام وصلتنا شكوى رسمية من الـ M16 البريطاني بسبب تأخر تقرير مراقبة البصمة الحيوية لواحدة من الشخصيات المشتبه في تمويلها لواحدة من المنظمات الإسلامية المتطرفة، وقبلها بأسبوع استقبلنا أربع شكاوى متتالية.. اثنتان من الـ FBI وواحدة من مخابرات الاتحاد الأوروبي، وأخرى من الاستخبارات الصينية.. أتحدث عن شكاوى رسمية مبطنة بتهديدات بفسخ التعاقد الاستخباراتي مع أنظمة The Eye.

- تهديدات "مبطنة" ومن "حكومات". وليست تبجح صريح من ابن عاهرة كالمصري!

- آدم المصري المساهم الرئيسي في Egy- Nergy المسيطرة على سوق الطاقة العالمية.. فعليًا هو أخطر من كل هذه الحكومات.. دعك من أن واحدة من شركات مجموعته هي التي تحتكر إنتاج وصيانة أجهزة التعرف على البصمة الحيوية التي تعتمد عليها أنظمتنا.

- ولكن..

- كف عن هذا الـ shit من فضلك، جيكي.. الموقف أخطر من أن هذه الشخصية.

أطبق فيلدمان شفتيه، بينما التفت سميث لهولوجرام توم وارن،
المدير التقني ورئيس قسم الدعم الفني وسأله:

- إلام وصلت، عزيزي تومي؟

استقرت العين على وارن الذي ارتبك للحظة ثم قال:

- الوضع معقد بعض الشيء.

- تفصيل من فضلك.

التقط نفساً عميقاً.

- حسنًا.. منظومة The Eye المعلوماتية مختلفة عن أي منظومة
معلوماتية أخرى.. The Eye أنظمة تشغيل موجودة في البيوت والمكاتب
والشركات والمتاجر والمصانع والأندية الليلية، تعمل بالأوامر الصوتية
وتحتفظ في ذاكراتها بملايين أو بلايين البصمات الحيوية لعملاء الشركة،
وعلى أساسها تقوم بخدمتهم.. التنسيق والإدارة يقوم بهما ديف..
الكمبيوتر المركزي.

بدا شيء من الملل على وجهي سميث وفيلدمان وهما ينصتان لهذه
النشرة الدعائية، ولكنهما لم يقاطعاها.

- هذا هو الشق المعلن من أنشطة The Eye.. أما الشق الآخر غير
المعلن، فهو عملية مراقبة مستمرة لجميع البصمات الحيوية المسجلة
في ذاكرة ديف.. مراقبة وتسجيل وتعبئة ملفات كاملة لحظة بلحظة
على مدار 24 ساعة يوميًا، 7 أيام أسبوعيًا، 30 يوم شهريًا.. كل فراغ
يتمتع بخدمات The Eye يخضع أوتوماتيكيًا لمراقبة كل بصمة حيوية
وجدت فيه منذ لحظة تسجيل دخولها، وحتى تسجيل خروجها،
لتتلقفها أنظمة المراقبة في الفراغ الذي يليه، ثم الذي يليه، وهكذا.. وفي
نهاية اليوم، يصبح لدينا ملف كامل بأنشطة ومسار وأحاديث وأنفاس

كل بصمة حيوية تتحرك في مجال أنظمة الشركة.

والتقط نفسًا عميقًا آخر وتابع:

- باختصار، عزيزنا ديف يقوم بأكبر وأوسع عملية تجسس في التاريخ..
تجسس على الأشخاص.. الأجهزة.. المؤسسات.. والمعلومة دومًا سلعة لا
ينتهي الطلب عليها.

قالها سميث بهدوء:

- مستر وارن.

- نعم مستر سميث.

- أنت تخبرنا بـ A, B, العمل الذي نمارسه منذ خمسة عشر عامًا!

ابتسم محررًا وهو يقول:

- أرجو المَعذرة.

تساءل فيلدمان بعصبية:

- أين المشكلة؟!

- المشكلة بدأت في الظهور بشكل تدريجي منذ عدة أسابيع.. الشق
العلمي سليم، يعمل بكفاءة.. أما الشق الآخر.. المعلوماتي.. فثمة
اضطراب في أداء ديف فيه.

تساءل سميث باهتمام:

- ما نوع الاضطراب؟

- اضطراب في تلقي الطلب الاستخباراتي.. في استيعابه.. في تنفيذه..
المعلومة الاستخباراتية يتم تلقيها ضمن فيض المعلومات التي تتدفق
من قنوات The Eye كل ثانية.. تُصَفِّف وتُخَزَّن أليًا بكفاءة.. تنفيذ
الطلب المعلوماتي يستغرق في العادة أقل من الثانية الواحدة، ولكن

خللاً ما مؤخراً أدى إلى تأخر استيعاب وتنفيذ الطلب لساعات وربما لأيام، كما حدث مع الطلب البريطاني الأخير.

- لماذا وصفت الخلل بالاضطراب، مستر وارن؟

أجاب وارن:

- "اضطراب" مصطلح مناسب أكثر لطبيعة ديف.. ديف ليس مجرد جهاز كمبيوتر كلي القدرات، ولكنه مزود بأقصى قدر يسمح به القانون من وحدات A.I.، وهو قدر رغم محدوديته التي تفرضها بنود القانون الدولي، إلا أنه يمنح ديف درجة من الاستقلالية في التفكير واتخاذ القرار.. الاستقلالية هنا تجعله مرناً في البحث الدقيق بين بلايين الملفات المقدسة بالبيانات بمجرد استيعابه لطبيعة المعلومة المطلوبة، الأمر الذي يوفر وقتاً، يدفع العميل من أجله.

وتنهّد مستطردّاً:

- هذه الاستقلالية تجعل من ديف كياناً اعتبارياً بشكلٍ أو بآخر.. صحيح أن هذا الكيان غير كامل لأسباب موضوعية كثيرة، أهمها المخاوف المتخيلة من خروج الآلة عن السيطرة لو امتلكت من الذكاء الاصطناعي ما يخلق إحساسها بنفسها، الأمر الذي حدا بالمشرع لوضع سقف لتطوير برامج A.I.، ولكن ديف يخرج عن تصنيف الآلة المألوف، فهو يفكر ويضطرب ويشعر بمشاكلته ويسعى لدراساتها وحلها. تلمل فيلدمان في مقعده، بينما قال سميث رافعاً حاجباً أيمن أبيض اللون:

- وهل توصل للحل؟!

- ليس الأمر بهذه البساطة، مستر سميث.. ديف أذكى جهاز كمبيوتر على وجه الأرض حالياً، ويقف على قدم المساواة مع أجهزة أعتى

أنظمة الاستخبارات، ولكنه في النهاية مثلها.. محدود القدرات للسبب الذي ذكرته آنفًا.

قال فيلدمان:

- إذن فقد فشل!

استدارات عينا هولوجرام وارن لتستقران عليه، وتحركت شفاته بالكلمات:

- لِنَدَع ديف نفسه يجيبك، مستر فيلدمان.

حدق الاثنان في هولوجرامه، وهو يرفع عقيرته مناديًا:

- ديفيد.

أجابه الكمبيوتر بصوته الهادئ المسجل، الذي تردد في الأمكنة الثلاثة التي يجلسون فيها:

- نعم، مستر وارن.

- هل سمعت المناقشة الدائرة في هذا الاجتماع؟

- نعم، سيدي.

- المستر فيلدمان يتساءل إن كنت قد فشلت في تحليل وحل مشكلتك.

قالها وهو ينظر بعينين واثقتين إلى فيلدمان الذي خلا وجهه من أي تعب.

قال ديف:

- العمليات التي أجريتها منذ بدء الخلل، مستر فيلدمان، نجحت بنسبة 98% في تحليل المشكلة والتوصل إلى أسبابها.

تساءل فيلدمان:

- وماذا عن الحل؟

أجاب الصوت الذي يوشك أن يكون دافئًا:

- جاري البحث عن حلول.

- وما سبب التأخر؟

- طبيعة المشكلة نفسها.

قال هولوجرام سميث بينما عيناه ترمقان فيلدمان بنظرة حملت مزيجًا من اللوم والضييق:

- اشرح طبيعة المشكلة، ديف.

- المشكلة تكمن في برنامج صغير مكوّن من معادلة واحدة، تمكن من اجتياز الدفاعات وحوائط النار، والوصول لبرنامجي الرئيسي.. معادلة واحدة تغير من رموزها كل جزء من الثانية هروبًا من المطاردة التي تقوم بها برامج الحماية.

التقا حاجبا كل من سميث وفيلدمان، وتساءل الأخير مصدومًا:

- كيف حدث هذا؟!

أجاب ديف:

- جزء من عمل البرنامج الدخيل هو طمس آثاره، الأمر الذي نتج عنه تشوش هذا الجزء من الذاكرة.

ردد سميث مندهشًا:

- إذن فأنت لا تعرف كيف وصل هذا البرنامج إليك؟!

قال ديف بلهجة تقريرية خالية من أي انفعال:

- نعم، سيدي.

تبادل الثلاثة النظرات، قبل أن يقول وارن:

- اشرح للسادة طبيعة المهمة التي يقوم بها Anarchy، ديف.

ردد فيلدمان:

!Anarchy -

قال ديف:

- Anarchy هو اسم الملف الذي احتوى على البرنامج، وهو يقوم بمهاجمة وإضعاف وحدات الـ A.I. المختصة بتحليل وفحص الطلبات المعلوماتية، واستخراج الملفات المطلوبة من أرشيف التخزين.. الأمر الذي تسبب في الخلل المعلوماتي خلال الفترة الأخيرة، وهو خلل مطرد، بمعنى أنه يتزايد بمرور الوقت مع تلف المزيد من وحدات الـ A.I. غمغم سميث بخفوت أن ”يا إلهي!“، وتساءل فيلدمان:

- ومن يمكن أن يكون مسؤولاً عن إرسال هذا البرنامج التخريبي إلينا؟!

أجاب وارن هذه المرة:

- HAM.

- ماذا؟!

- HAM اختصار Humans Against Machines وهي واحدة من المنظمات الرجعية المتطرفة المعادية لحركة المستقبل باتجاه المزيد من الاعتماد على الآلة.

- هل أعلنت مسؤوليتها رسمياً؟

أوما هولوجرام وارن برأسه وهو يقول:

- أعلنت عن نفسها في صورة بيان text مرفق بالبرنامج، مذيّل بـ سلوجان HAM ومكون من كلمتين: ”مجرد بداية“.

- يا إلهي!

كذا ردد فيلدمان هذه المرة، بينما تساءل سميث بقلق:

- والحل، مستر وارن؟

أجاب:

- ما دام البرنامج التخريبي يهاجم وحدات الـ A.I. ويضعف من قدراتها، فالحل المنطقي هو تطويرها ورفع قدرتها على التصدي له وتدميره.

- ولكن هذا...

- (مقاطعًا): يتعارض مع بنود القانون الدولي الذي يحدد سقف تطوير واستخدام برامج الذكاء الاصطناعي.

- بالضبط!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي وارن الرفيعتين وهو يقول:

- هنا تخرج المشكلة من نطاق القسم التقني، مستر سميث.

تبادل سميث وفيلدمان النظر للحظات، قبل أن يقول الأول:

- أعتقد أن فيديو كونفرانس عاجل لمجلس الإدارة سيُعقد خلال ساعات، مستر وارن.. وسيكون عليك أن تشرح مجددًا للسادة الأعضاء هذه المشكلة باستفاضة.

- بكل سرور.

نظر فيلدمان لهولوجرام سميث وهو يتساءل:

- أظنهم يتخذون قرارًا ثوريًا؟

هز سميث رأسه قائلاً:

- الأمر ليس سهلاً، عزيزي جيڪ.. ستكون معركة سياسية كبرى قبل أي شيء آخر.. سيكون الضجيج عاليًا، وستستخدم عبارات كثيرة من قبيل

”حماية مستقبلنا“، ”الحرب على الرجعية والفوضى“ بلا بلا بلا... وغالبًا سيتم تكليف السيناتور تينانت وبقية رجالنا في الكونجرس بالبدء على الفور.. الوقت ليس في صالحنا على الإطلاق.

- (رنين رتيب للحظات، ثم).
- مين معايا؟
- مساء الخير يا كابتن خالد.
- (لحظة من الصمت، ثم).
- زين؟!
- (بلهجة شبه ساخرة): في خدمتك.
- (لحظة أخرى من الصمت).
- آخرة اللي بتعمله ده إيه يا ابني؟
- طول عمرك بتنصحيني أعمل ايه ومعملش إيه يا كابتن.
- لو كُنت بتسمع كلامي مكُنّاش وصلنا للي احنا فيه ده.
- عايزني أسمع كلامك وابقى بطارية؟!
- انتّ اللي حطيت نفسك وحطيتنا ف الموقف ده.
- (كلاكس سيارة نقل ثقيل يعلو، ثم ينخفض تدريجيًا).
- بتتكلم منين يا زين؟
- (بسخرية): أجهزة التتبع مقاللكش؟
- (بصراحة): لسه.
- ومش هتقولك يا كابتن.. عيب أوي تشك إن تلميذك النجيب ممكن

يُقَع ف أخطاء الهواة دي.. الخط والتليفون الي بَكَلِمَك منهم متأمين كومبيليتي، لا شبكات ولا أقمار صناعية هَتَعَرَف تحدد مكاني (مفيش هولوجرام لو لاحظت).. ده غير إن المكالمة متشوشة، يعني مَتَقَلَقَش إن حد يسمع كلامنا.

- كلام إيه؟

- الكلام الجديا كابتن.. كلام المصلحة.. المخرج الي هَيَخِرْجَنِي ويَخِرْجَك من المغرز الي وقعنا فيه.

- المغرز إنت وقعت فيه لوحَدَك يا زين! أنا برة القصة دي.

- ما قولنا عيب تَشُك ف تلميذَك يا كابتن! أنا قديم ومذاكر كويس.
(يلتقط نفسًا عميقًا، ثم...).

- حسب اللايحة، أنا حالة "سهم مكسور". وفشل قائد فريق وثلاثة من مساعديه في منع هروبي هو بشكلٍ ما اشترك فيه، وإنت أدري مني بمحققين E.N. والي ممكن يوصلوله.. الي هَوَ يعني لو أعفوك من منصبك ورموك ف الشارع، يبقى عملوا معاك واجب جامد أوي تقديرًا لسنوات خدمتك الطويلة!

(لحظات من الصمت، ثم...).

- (باقتضاب): قول عرضك.

- تمام.. إنت أكيد عرفت اني قدرت اوصل للبطارية الهربانة الي الدنيا مقلوبة عليها.

- وصلتها إزاي؟

- مش موضوعنا.. المهم ان البطارية تحت ايدي دلوقتي.. وإنك انت يا كابتن خالد لو لقيتها ورجعتها، ف دا الشيء الوحيد الي ممكن

يرفع أسهمك ف الشركة ويخليك تجتاز التحقيق على خير، إن مكانوش
يكافنوك كمان.

- مش شرط.. طول ما إنت لسه هارب، فأنا وفريقى متهمين بتسهيل
هروبك.

- ما دا الشق التانى من الصفقة.

- اللي هو؟!

- إني مش هَفضل هربان!

- هَتَسَلَمَ نَفْسَك؟!

- أكيد لأ.

- يبقى مفيش مهرب ليك.. غير الموت طبعًا.

- هو ده.

- هَتَنْتَحِر؟!

- أَسْتَغْفِرُ الله العظيم.

- (بحدة): ماتلَخُص وتجب م الآخر يا زين!

- (بجدية): تمثيلية صُغِيرَة.. مدامه.. تبادل إطلاق نار.. بوووم كبير
يخلف جثة متفحمة مطموسة الملامح.. الصياد الهربان مات.. تم
العثور على البطارية المفقودة.. case closed.. بس كده!

- بتتكلم إزاي بس يا ابني؟! إنت نسيت إن فيه بصمة حيوية وفحص
طبي هيكشفوا بمنتهى السهولة إن الجثة المتفحمة دي متخُصكش؟!

- البصمة الحيوية مرتبطة بالسيال الحيوي، فبتنطمس بعد الموت
بفترة بسيطة مع تبدد السيال الحيوي.. الكشف الطبي هيلاقى صعوبة
شديدة في استخراج أي data من الأشياء المتفحمة اللي هتتبقى من

الانفجار، وفرصًا عرفوا يستخرجوا حاجة، همّتك إنت بقى تلعب فـ
data base وتستبدل الداتا اللي ف الملف بتاعي بالداتا اللي هبعتهالك.

- (بيطء): ده حوار مش سهل.

- ومش مستحيل.. إنت الكابتن خالد فضالي، أقدم صياد في -Egy

.Nergy

- وانت؟!!

- هختفي.

- إزاي؟!!

- هختفي وسط 7 مليار نسمة على وش الأرض، ودا مش هينفع غير
لو الشركة اقتنعت إني مُت، وأغلقت ملفي.

(يصمت مفكرًا).

- متفكرش كثير يا كابتن.. دي صفقة رابحة لكل الأطراف، أنا هفلت
من المطاردة والتصفية، إنت هتفلت من الطرد والتشريد أو ما هو
أسوأ.. والشركة هتسترد بطاريته وتفلت من الفضيحة والبالو اللي
بيترتلها.

- باللو إيه؟!!

- تفتكر أمل الشافعي؟

- (بدهشة): أمل الشافعي الإرهابية بتاعة الـ...؟!!

- أيوه هي.

- دى لسه عايشة؟!!

- عايشة وقابلتها ف المستشفى، كانت بتحاول تهرّب البطارية.. الله

أعلم ليه، بس لك أن تتخيل بقى!

- هي معاك دلوقتي؟
- معايا آه، بس بعيد عني، مش سامعة المكالمة.
- أمل الشافعي!
- الوقت ضيق وبيمر بسرعة يا كابتن.. قررت إيه؟
- اديني فرصة أفكر.
- هَكَلِمَك بعد رُبْع ساعة بالظبط، تبلغني قرارك عشان نبدأ التنفيذ.
- واثق ف نفسك أوي كده؟!
- واثق في دماغ أستاذي.. سلام.
- أنهى زين الاتصال.. ضبط خاصية alarm بالجهاز لتنبيهه بعد مرور خمس عشرة دقيقة، ثم قفل عائداً إلى سيارة إيمان المتوقفة وسط صفوف السيارات في جراج داندي مول قرب بوابات طريق مصر- اسكندرية الصحراوي، والتي استقرت أمل في أريكتها الخلفية إلى جوار الجسد النحيف، معصوب العينين، الغارق في سبات عميق.
- اقترب من النافذة، فرآها تميل بوجهها نحو الجسد، وقد غطت عينيها بمنظار داكن أقرب للمناظير التي يرتديها الغطاسون تحت الماء، تزين إطاره لمبة دقيقة تضيء باللون الأخضر.. راقبها قليلاً، ثم سألها:
- بتعملي إيه؟
- لم يبد عليها أنها فوجئت بوجوده عن كُتب.. أجابته من دون أن تنظر إليه:
- كشف الإكتوبلازم.
- ممكن اشوف؟
- اعتدلت، فردت جذعها بصعوبة، وخلعت المنظار لتناوله إياه عبر

النافذة المفتوحة.. ارتداه ولمس إطاره الأيسر كما طلبت منه.

- بُصلي.

أطاعها فرآها ظلاً محاطاً بهالة صفراء رقراقة خفيفة.

- المنظار ده يخلق مجال محدود للأشعة تحت الحمراء.. الي انت شايفه هو الشكل واللون الطبيعيين للسيال الحيوي الخاص بي.. الي هو غير مرئي إلا في مجال للأشعة تحت الحمراء.

قال مبتسماً بسخرية:

- أنا صياد ف E.N. على فكرة!

تجاهلت ملحوظته الساخرة تابعت:

- هتلاقيه قريب جداً في شكله ولونه وكثافته من السيل الحيوي لأي حد حوالينا، أي حد طبيعي ممكن تشوفه.. ما عدا ده.

قالتها مشيرة بكفها المفتوح تجاه الجسد المستلقي إلى جوارها.

أدار رأسه إلى موضع إشارتها، واتسعت عيناه بدهشة إذ رأتا الجسد ظلاً دقيقاً محاطاً بهالة حمراء قانية اللون، تموج بحركة غروية ثقيلة.. رغمًا عنه خرجت منه شهقة تلقائية، وردد مأخوذاً:

- إيه ده؟!

- هات المنظار.

ناولها المنظار وهو يحرق مندهشاً في الجسد الذي بدا له في الضوء الخافت القادم من عمود إنارة قريب، وديعاً ضعيفاً لحد مثير للشفقة، وقد انفرجت الشفتان المشققتان قليلاً وسال منها خيط متصل من اللعاب.

لم ترد عليه.. أعادت المنظار إلى عينيها، وانتبه هو لأول مرة للأقطاب

التي وزعتها على صدره ورأسه.. تساءل:

- إيه الأقطاب دي؟!!

- (تنظر في شاشة جهاز صغير في حجم قبضة اليد): قياس كثافة الأكتوبلازم.

مرت لحظات من الصمت المشوب بالجلبة المتشابكة القادمة من المول القريب، قبل أن يتساءل مجددًا:

- الي شوفته ده له علاقة بالي حصل قدام المستشفى؟! لما أفراد فرقة المطاردة فتحوا النار على بعض؟!!

- وارد.

ورفعت رأسها إليه وسألته بغتة:

- انت كنت بتكلم مين؟

ارتبك للحظة وهو يقول:

- إمتى؟

أومأت برأسها جهة اليسار قائلة:

- لما بعِدت ووقفت عند السور هناك عشان تتكلم ف التليفون..

كُنت بتكلم مين؟

- (باقتضاب): صديق.

- إنت إيه حكايتك بالظبط؟

نظر إليها من دون أن يتكلم، فتابعت بحزم وهي تنزع المنظار عن

عينها:

- بيتهيألي مينفعش نكمل خطوة واحدة من غير ما اسمعك

وتسمعني .

قال ببطء:

- Fair enough.

حكى لها بكلمات مختصرة (أعدها بعناية طيلة المشوار من مدينة نصر وحتى بوابات طريق مصر إسكندرية الصحراوي) بعض ما دار منذ فوجئ بزيارة قائده وزملائه لبيته صباحاً.. استمعت له بين اهتمام ودهشة حتى انتهى، فسألته:

- ووصلت لمكان البـ... مكانه (مشيرة للجسد الساكن) إزاي؟!

تنهد قائلاً:

- شوية تفكير، شوية search، شوية حظ.

- تقصد شوية توفيق من عند ربنا.

- Anyway.

قالها ملوحاً بكفه، ثم استطرد مفسراً:

- بعد ما هربت، قضيت وقت أتنصت على اتصالاتهم بالجهاز الي خدته من الطائرة (لَوْحَ بجهاز الاتصال المستقر في راحته).. كُنت عايز أعرف خططهم، تحركاتهم، المسافة الي بيني وبينهم.
- ولقيتهم ناسيينك ومشغولين ف مطاردة هدف أهم.

هز رأسه قائلاً:

- بالظبط.

- كَمَل.

- تابعت قصة البطارية المفقودة دي، فِرَقَ المطاردة الي نزلت وراها، وخنمت إنها ما دام خرجت من ماكينات استخراج السيل الحيوي، فأكيد مصابة إصابات فشيخة، والأقرب للواقع أنها بطريقة أو بأخرى

انتقلت للمستشفى.. بدأت ادور على النت على الحالات الي استقبلتها
مستشفيات القاهرة خلال الـ24 ساعة الأخيرة مصابة بجروح قطعية
من الدرجات الأولى والثانية والثالثة.. عملت حصر، ونزلت أدور من
مستشفى لمستشفى لغاية ما لقيته.

قالت بحيرة:

- وفِرَق المطاردة دي مكانتش عارفة تعمل زيك كده؟!

- على حد علمي، المفروض إن عمل search في المستشفيات وأقسام
الشرطة إجراء روتيني بمجرد بدء عملية المطاردة.. بس...

- بس إيه؟!

قال ببطء وكأنه يرتب أفكاره بينما يتكلم:

- فيه مشكلة حاصلة في E.N. أنا لسه مش فاهمها.. مشكلة
miscommunication غالبًا، لأنهم بيتكلموا في الاتصالات الي إنتصت
عليها عن data بتوصل متأخرة وحاجات كده.. ده محصلش معا لما
عملت الـsearch بتاعي من مصدر مستقل عن شبكة E.N. ده يمكن
تفسير إني سبقتهم للبطارية.

- ليه؟

- ليه إيه؟!

- ليه سبقتهم للبطارية؟

- ما أنا قولتلك إن الـ...

قاطعته:

- السؤال بطريقة ثانية: ليه عايز توصل للبطارية؟

ارتج عليه للحظة، حاصرته خلالها بنظرة ثاقبة من عينيها المحاطتان

بالتجاعيد، وانتابه الضيق لشعوره بالحصار المعنوي.. لحظة ثقيلة مرت، أنقذه بعدها رنين الـ alarm الصادر من جهاز الاتصال الذي استحوذ عليه من طائرة E.N، هز لها رأسه على سبيل استئذان (زاد من ضيقه) وابتعد عن السيارة بخطواتٍ واسعة.

حاولت أن ترهف السمع لتلتقط أي شيء مما يقول، إلا أن المسافة والضجة القادمة من بعيد بالإضافة إلى ضعف سمعها (الضيف الوافد منذ سنوات)، لم يساعدها.. أخرجت هاتفها المحمول وطلبت رقمًا: - (بصوت خفيض): وصلت لفين؟ إحنا ف داندي مول، ف الجراج.. آه.. بس فيه مشكلة.

كلمات هامة متتالية غادرت شفتيها، ثم لم تلبث أن أنهت الاتصال عندما رأت زين قادمًا من بعيد.. فتحت سوستة حقيبتها القماشية بحذر، ومدت أصابعها بداخلها.

وعندما اقترب لاحظت أن ثمة اضطرابٍ ما ي موج في ملامحه.

- مالك؟!

- مفيش.

أشارت إلى جهاز الاتصال الذي يحمله متسائلة:

- Bad news ؟

بالعكس..

- مش تفرحنا معاك، طيب!

- خليني الأول أجوبلك على سؤالك.

مال بجذعه ليدنو برأسه من فتحة نافذة السيارة، وتابع بلهجة أثارت مزيدًا من قلقها:

- ليه عايز أوصل للبطارية؟!
- حدقت فيه بعينين لا تطرفان.
- تفتكري ليه؟!
- قالت بهدوء:
- عشان تساوم الشركة عليها.
- برافو!
- قالها بابتسامة بدت لها مزعجة.. سحبت قبضتها المضمومة ببطء
- من داخل حقيبتها، بينما هو يقول:
- سؤالي أنا بقى.
- وقبض بغتة على معصمها مستطردًا:
- إنتي عايزة البطارية ليه؟!
- أجفلت.. أنت مع ضغط أصابعه القوية على عظام معصمها.
- تعاطف إنساني؟!
- أجبرتها أصابع يده الأخرى على فتح قبضتها المضمومة، ليتناول
- القرص المخدر المستقر في راحتها.
- ولا تهور زي أيام زمان؟!
- رمقته بغل وهو يتأمل القرص وردي اللون بين سبابته وإبهامه من
- دون أن يفلت معصمها، ثم يدير عينيه إليها ليحدق في عينيها مباشرة.
- بتعملي كل ده ليه يا أمل؟!
- حدقت فيه همقت، ثم قالت من بين أسنانها:
- واجبي.

قال بهدوء:

- أنا كمان بقوم بواجبي.

وأدنى القرص المخدر من وجهها، متابعا:

- وخليكي فاكرة كويس.

حاولت بوهن أن تتراجع أو تحرر معصمها من قبضته بينما هو

يردف:

- It is not personal -

وفي اللحظة التالية فوجئت برأسه يستدير بحركة مفاجئة نحو الجسد المستلقي إلى جوارها، وتفجرت دهشتها براكينًا عندما أدركت أن وجهه يشحب، وأن نظرة فزع تطل من عينيه..

أدارت عيناها إلى الجسد النحيل الساكن، ولمحت بوضوح وميضًا قادمًا من موضع عينيه، أسفل طبقات الضمادات المحيطة بهما..

تتفنن الأعمال الأدبية في وصف وقع أثر الصدمة على الشخص المصدوم، فتحدث عن جحوظ عينيه، القشعريرة التي تسري في بدنه، عن شعر رأسه الذي يقف، الدماء التي تتجمد في عروقه... إلخ.. غير أن كل هذه الأعراض مجتمعة لا تكفي لوصف حال زين المحشور نصفه العلوي داخل سيارة إيمان المتوقفة في جراج داندي مول. الذي حدث أن كيانه حرفيًا ارتج.

في البدء صفعت الأنفاس جانب وجهه.. الأنفاس التي تفوح برائحة كحول نفاذة لا زالت ملتصقة بأنفه رغم جريان السنين. انتصب (من قبل حتى أن يدير رأسه لينظر) شعر ساعده.. لجزء من الثانية قاوم عقله الفكرة.. صرخ به أن انتظر، هذا غير حقيقي، لا يمكن أن يكون حقيقيًا! غير أن الرؤية كانت كفيلة بنسف أي قدرة على التعقل أو قياس الأمور بأي منطق.

ضربت الرائحة أنفه.. استعادها عقله، وصنّفها.. وبينما كان يصرخ به ليهدأ، كان هو قد أدار رأسه لمصدرها، لتصطدم عيناه بما توقعه استنادًا لخبرته بالرائحة.

الأنف الضخم العملاق، يعلو شاربًا كثًا غزته شعيرات بيضاء.. الشفتان الغليظتان المنفرجتان عن أسنان ضخمة نضيدة تركت سنوات التدخين والقهوة أثرًا عليها.. البشرة المصقولة من جراء حلاقة يومية لشعيرات الذقن.. السوالف التي وخطها الشيب.. ثم العينان الرهيبتان الشبيهتان

بعيني أسد يحدق في فريسته.

لا إرادياً خرجت شهقة من أعماق روحه.. وخلال الأجزاء المتبقية من الثانية، مرت بجسده كل الأطوار المذكورة عاليه من جحوظ العينين والقشعريرة وتجمد الدم في العروق.

تراخت قبضته المحيطة بمعصم أمل التي حدقت فيه غير فاهمة.. أجفلت عندما انتفض جسده بعنفٍ شديد تزامن من خروج الشهقة من بين شفثيه، وسقوط القرص الوردي المخدر من بين أصابعه.. ثم في الثانية التالية فوجئت به خارج السيارة.. دفع جسده بكل قوته ليقذف به خارجاً.. وعبر نافذة السيارة لمحت في عينيه (وقد سقط أرضاً) رعباً حيوانياً غير مسبوق.. وبلغت أذنيها أنفاسه المتلاحقة التي توشك أن تُصَنَّف كشهقات متتالية.

أما هو، فانغrust أصابعه في أسفلت الجراج وهو يحدق في الوجه غير المتوقع الذي أطل عليه من نافذة السيارة.

حاول عقله معه مجدداً.. سمعه يهتف به من بعيد وبصوت واهن أن هذا مستحيل، محض وهم، ولكنه لم يصغ.. غطى عليه صوت تكة رتاج باب السيارة إذ ينفتح، لتغادره ساقان فارعتان في بنطلون أسود، وزوج من الأحذية العسكرية الثقيلة، استقرا بثقة على الأرضية الأسفلتية.

نقلت أمل بصرها بدهشة عارمة بين وجهه الذي ابيضّ وقد غادرته الدماء من فرط الرعب، والوميض الغامض المنبعث من موضع العينين

أسفل الضمادات المحيطة بالرأس المستلقي إلى جوارها، والمائل قليلاً إلى كتفه الأيمن.

التمعت الفكرة بغتة في رأسها.. مدت أصابعها لتعيد منظار الأشعة تحت الحمراء الشبيه بمنظير الغوص إلى عينيها.. نظرت إلى الجالس جوارها، فلمحته ظلاً دقيقاً ومن حوله سياله الحيوي أحمر اللون، غروي الحركة، غريب الأطوار.. ثم ندت منها صيحة دهشة عندما رأت السيلال الحيوي وقد تمدد وخرج منه (من حول الرأس تحديداً) ما يشبه حبلاً سرياً من الهلام أحمر اللون امتد في الفراغ بتلك الحركة الغروية المقلزة ليعبر فتحة نافذة السيارة.. يسبح في الهواء المظلم.. يبلغ جسد زين المتشنج أرضاً، فيحيط رأسه بما يشبه سحابة دموية اللون.

زين الذي طفرت الدموع من عينيه، ودفع الأسفلت بقدميه داخل حذائه الكاويتشوي ليزحف للوراء بحركة متشنجة حتى التصق بصاج فورميولا قريبة، وبصره يتسلق الساقين اللتين بدأتا تتقدمان منه بتؤدة.. البنطلون الأسود.. السترة السوداء المميّزة لضباط الأمن المركزي.. الملامح المرعبة المحفورة في أعماق روحه.. العينان القاسيتان تمضغانه بنظرة أفتك من طلقة الرصاص.. ثم القبضة الصخرية التي يتدلى منها طرف الكرباج.

عاودته آلام قديمة مبرحة كان قد نسيها منذ زمنٍ بعيد، بينما عيناه مثبتتان على طرف الكرباج الذي يهتز بتراخٍ مئة ويسرة.. تدافعت

الدموع أكثر فأكثر لتغرق وجهه، وتلاحقت كلمات كثيرة خرجت من فمه، لم تفهم منها أمل حرقًا وهي تغادر السيارة، تدور حولها بأسرع ما تسمح به عضلاتها الواهنة لتهرع نحوه، تهوى إليه.. ضربت أنفها رائحة بول نفاذة.. أمسكت بكتفيه.. هزتهما.

- زين!

نظر إليها بعينين جاحظتين، وبوجهٍ اختلطت على صفحته الدموع بالمخاط السائل من أنفه.. تشبث بها بأصابع متشنجة، وأشار تجاه الأشياء، وتناثر لعبه وهو يردد من بين شهقاته، وبصوت متعانف، كلمات مفككة هيستيرية:

- ضربني.. معلى.. آسف.. قولته.. والله العظيم.. الكبراج.. ماما.. قوليله.. قوليله.. آخر مرة والله العظيم.. ماما.. قوليله.. ماما.. قوليله.. قوليله.. قوليله!

غمرتها شفقة كاسحة، لم تدر بنفسها إلا وهي تحتضن رأسه بقوة.. تعالى بكأؤه وجسده يرتعد بقوة بين ذراعيها.. نظرت صوب الجسد النحيل المستقر داخل السيارة.. لوحت بذراعيها تجاهه قائلة بصوتٍ مختنق:

- خلاص.. كفاية!

الأمر الذي فجر دهشة إيمان عندما قَدِمَتْ بعد دقائق من جهة المول، حاملة أكياس برجر كينج لتجد غريب الأطوار هذا مستلقٍ بين ذراعي خالتها على الأسفلت في ظلام الجراج.

الظلام دامس.

يسمع، من دون أن يميز أو يعي، صوت أمل خفيًّا أقرب إلى الهمس:

- شايف إيه؟

صوت رجالي منهك يجيب بخفوت:

- الموضوع مش سهل.

يصمت للحظة، ثم يستطرد:

- خلينا نراجع الـ timeline من أوله.

يتنفس بصعوبة.

قالت بنفس الصوت الهامس:

- هارب من الماكينات.. قدر بمعجزة أنه يخرج من ماكينة استخراج

السيال الحيوي، يجتاز الحراسة، وأسوار المزرعة.. ده مش بيفكر

بحاجة يا محمود؟!

- (باقتضاب): أدهم.

- بالظبط! وأدهم لولا امتلاكه السايكوكاينز، مكانش قدر يهرب.

هز رأسه مصدرًا "إمممم" موافقة من بين شفتيه المطبقتين، فتابعت:

- يعني ممكن نقول وبنسبة خطأ مش كبيرة، إن الهارب الجديد -زي

أدهم- امتلك قدرة نفسية غير طبيعية ساعدته إنه يفلت من الخطر.

الباب في نهاية الممر المظلم.

خط دقيق من الضوء قادم من الداخل، يلامس الأرض عند موضع

التقائها بالباب.

- سايكوكاينز برضه؟

- لأ.

- أومال؟!

- مش عارفة تحديدًا إيه نوع القدرة دي، بس هي أقرب للقدرة

على إحداث هلوسة.

- ده استنتاج مش متسرع؟!

- (بحماس): خالص.. كل اللي حصل بعد كده بيدعمه.

ثمة أصوات قادمة من وراء الباب.

تلتقطها أذناه بصعوبة، تقل شيئاً فشيئاً مع تقدمه عبر الممر المظلم
باتجاهه.

تقدمه!

هو لا يريد.. لا يريد.

- إيه اللي يخلي soldier في فرقة المطاردة، محترف ومدرب، يقتل
زميل له؟!

- يمكن عن طريق الخطأ!

- بعد ما قتله، إدوّر ببندقيته وأطلق النار عامداً متعمداً على راس
الـ leader بتاعه.

- ممكن تكون حالة هيستريا فردية!

- ممكن.. بس اللي حصل إن الفرقة "كلها" بعد كده فتحت النار
على بعضها!

- خرينا نقول ان الإشعاع السايكوفيزيائي ممكن يكون لعب دور في
انتشار العدوى الهيسترية!

- مش over دي منك يا محمود؟!

- الأفورة مطلوبة عشان نقدر نستبعد أي احتمال خاطئ.

- ماشي! حالة هيستريا فردية "مفاجئة" انتشرت بالإشعاع

السايكوفيزيائي بين أفراد المجموعة وخليتهم يصفوا بعضهم..ok.. طب والي حصل لزين؟!

الأصوات تعلو وتتضح أكثر مع كل خطوة تخطوها قدماه الدقيقتان داخل الصندل الجلدي باتجاه الباب الموصل.

يميز صوتيهما.

صوت أمه الضعيف الواهن يئن متألماً من وراء الباب.

وصوته.. صوته الغليظ المنبعث من حنجرة مخيفة يطلق الزمجرة تلو الأخرى.

يرتعش.. ييكي.. يسيل خيط من المخاط من فتحة أنفه.

ولكنه لا يتوقف عن التقدم.

- دي الشريحة الخاصة بمنظار الأشعة تحت الحمراء.. عليها تسجيل كامل لكل فيمتوثانية المنظار التقطها.. راقب كويس شكل ولون وحركة السيال الحيوي لل... مضطرة أقول "البطارية" عشان معرفش اسمه! راقب وقارن ده بتأثيره على زين لما حصل.. خلينا نقول "الاعتداء" من أكتوبلازم البطارية على سياله الحيوي.

يسمع أمه تئن.. تبكي.
يبيكي بدوره.. يضرب الباب الموصد بقبضتيه الصغيرتين.. يصرخ منادياً
باسمها.

ينفتح الباب بعنف.
تمتلئ فتحته بجسد عملاق عارٍ إلا مما يستر عورته.
الشارب الكث.. الشفاه الغليظة.. ثم العينان الرهيبتان.

- ...!
- ساكت ليه؟!
- Unbelievable!
- اقتنعت؟!
- بإيه؟
- بأن evolution ما حصل للسيال الحيوي بتاع البطارية كنوع من
الميكانيزم الدفاعي جوة ماكينات استخلاص السيال الحيوي (نفس اللي
حصل لأدهم زمان).. طفرة أكسبته القدرة على إحداث الهلوسة.
وصممت للحظة ثم أردفت بانفعال:
- طفرة مستنين ظهورها من 25 سنة!

اللطمة تهوي على وجهه.. تقذف به إلى الورا..
يرتطم بالموكيت الذي يغطي أرضية الممر.. من داخل الغرفة، يلمح وجه أمه المذعور الغارق في العرق.. يسمعها تصرخ باسمه، قبل أن ينغلق الباب بينهما إثر جذبة قوية.
في اللحظة التالية تقبض الأصابع الصخرية على خصلات شعره الناعم.
يصرخ متألمًا إذ تجذبه.
يرفس مقاومًا بقدميه في يأسٍ مثير للشفقة، بينما تجره الأصابع على الموكيت باتجاه الغرفة، في نهاية الطرف الآخر للممر.
وعلى بعد سنتيمترات قليلة، تراقص طرف الكرياج المستقر زمامه بين أصابع اليد الأخرى.

- وافرضي! ممكن تفيدنا بإيه؟!
- بتَهَرَج، صَح؟!
- خالص! لو النظرية دي فعلاً صحيحة، فده (مشيراً بكفه) مش سوبرمان يقدر يتحكم في جسيمات المادة زي أدهم.. هَتَعْمَلِ إيه القدرة على إحداث الهلوسة قدام قوات مسلحة مدربة؟!
- يا ابني أومال إحنا بنهرى ف إيه م الصبح؟! أنا مش لسه حاكيالك إن فرقة المطاردة خلصت على بعض قدام باب المستشفى؟! فرقة من ثلاثين بغل يا محمود! ده غير زين!

... -

- زين أنا شوفته بنفسى fighting ثلاثة من قبضيات E.N، غير سيكيوريتى المترو.. واو! حاجة زي اللي بنشوفها ف أفلام بوليوود.. وجهه عند أخينا الضعيف المتهالك ده (مشيرة بكفها)، وانهار بالشكل اللي حكيت هو لك!

- ضربنى.. معلش.. آسف.. قولتله.. والله العظيم.. الكرباج.. ماما.. قوليله.. قوليله.. آخر مرة والله العظيم.. ماما.. قوليله.. ماما.. قوليله.. قوليله.. قوليله!

- واضح إنها مش أي هلوسة.. أعتقد إنها مرتبطة بمخاوف كامنة في نفس الـ.. ممكن نقول ”الضحية“!
قالت:

- فكرت ف حاجة زي كده.
- ببقى كده ممكن نفكر إن توصيف الطفرة في السيال الحيوي للـ case دي هو القدرة على إحداث هلوسة مستمدة من أفكار ومخاوف وتجارب الشخص اللي بيتعرض لاعتداء من سياله الحيوي.
- عظيم.

لحظات من الصمت ثم كرر:

- بس برضه، الموضوع مش سهل!
- ومش مستحيل يا محمود! عندك مَعَمَلَك وأجهزتك، تقدر تتأكد
وتجزم زي ما عملت زمان وأحسن.. ولا إنت اللي مش عايز؟!
- (بانزعاج): إزاي تقولي كده؟!

العرق يغمر جسده.. يرتعش في فراشه.
يسمع صوت أمل بينما يشعر بأناملها تتحسس جبهته:
- محمود!
صوت خطوات تقترب.. يسمعها مجددًا:
- سُخن.
برهة من الصمت لا يقطعها إلا أزيز مرقابٍ ما، أنفاس مسموعة،
صوت مغلف بلاستيكي يتمزق.
- إيه ده؟!
وخز إبرة تنغرس في أحد أوردته.
- (باقتضاب): مهدئ.
لحظات ثم ينتظم تنفسه، ويتسلل الحَدَر إلى رأسه بنعومة.

طرف الكرباج المتدلي.. يتأرجح بتراخٍ ذات اليمين وذات اليسار.

يبهت تدريجيًا.

يغطي الظلام المشهد بالكامل.

- (مداعبًا): اللي فات كان سوبرمان، بيتحكم ف المادة بسياله الحيوي،

وسميناه أدهم صبري.. ده بقى نسميه إيه؟!

- ما دام بيلعب ف zone الخوف، يبقى رفعت إسماعيل طبعًا!

- (ضحكة خافتة).

انفتح باب الردهة المؤدية إلى جناح الطوارئ بالمركز الطبي التابع لـ E.E.، وتعلقت عينا الكابتن خالد بالطبيب الخمسيني أشيب الشعر الذي خرج عبره، وفي أثره الطبيب الشاب الذي أجرى عملية السايبورج لوليد صباح الأمس.

نهض من على المقعد الوثير الذي يتوسط استقبال الطوارئ، واتجه نحوهما.

- إيه الأخبار يا دكتور؟

- Not so good.

قالها الطبيب الخمسيني بلهجة منذرة، ثم استطرد:

- الإصابات المرة دي أخطر من الإصابات الي اتعرضلها امبارح وفقًا للـ file بتاعه، و report الدكتور علاء (مشيراً بكفه إلى الطبيب الشاب).. مش بس الكسر الثلاثي في ذراعه الأيسر.. ده مقدور عليه زي ما تعاملنا مع كسور ذراعه اليمين.

تساءل خالد بقلق:

- أومال إيه؟!

خرجت الكلمات متلاحقة من بين شفتي الطبيب:

- الضربة الي تلقاها في راسه كانت من العنف لدرجة أنها سببت ارتجاج ونزيف في المخ.. كسر في الجمجمة وآخر في الفك.. تهتك في فص المخ الأيمن.. صور الأشعة بتظهر إصابة فادحة فعلاً، ولولا إن الإسعاف

نقله بالسرعة المطلوبة، كان زمانه انتهى.

نقل خالد بصره بينهما للحظة وكأنه يستوثق من تعبيرات وجهيهما
مدى ضخامة وهول الخبر، قبل أن يقول متوترًا:

- والحل؟!

- إحنا بنحاول نشفط الدم النازف من المخ، وإن كانت الحالة
متدهورة فعلاً، واحتمال كبير تسبب أثر على وظائف المخ.

- أثر زي إيه؟!

تدخل الدكتور علاء (الطبيب الشاب) قائلاً:

- درجة من الشلل في الجانب الأيسر من الجسم.

اتسعت عينا خالد وهو يردد مصدومًا:

- ده أكيد؟!

قال الطبيب الخمسيني:

- بنسبة 90%.

- إلا إذا!!

قالها الدكتور علاء، فالتفت له الخمسيني وتبادلا نظرة طويلة،
قطعها خالد متسائلاً بلهفة:

- إلا إذا إيه؟!

عاد الطبيب الخمسيني بعينه إليه وأجاب:

- الدكتور علاء بيتكلم عن تكنولوجيا جديدة لعلاج إصابات المخ، ما
زالت لسه قيد التجربة.

- تكنولوجيا إيه؟!

- نوع جديد من الجراحات.. أنا مبنصحش بيه ف الوقت الحالي، لأن
نتايجه مش مؤكدة وفي منتهى الخطورة!

من بين شفيتها المضمومتين، نفثت إيمان دخان السيجارة المشتعلة
بين أصابعها صانعة خطأ أبيض مائلاً بزاوية تقترب من خمسٍ وأربعين،
اخترق السماء المصطبغة بحمرة الغروب.

رغم هدير الموج القادم من على بعد عشرات الأمتار من رمال
الشاطئ الممتدة أمام حاجز الشرفة، يفصلها عنها طريق أسفلتي بعرض
خمسة أمتار.. رغم الهدير، ورغم الضُلف الخشبية، التقطت أذناها
صوت أمل قادمًا من داخل الحجرة:

- (برفق): أحسن دلوقتي؟

- أحسن.

ميزت بوضوح النبذة الواثقة التي بدأت تغزو صوت زين بعد وهن
أربع وعشرين ساعة مضت.

مالت برأسها للوراء لتريحها على مسند المقعد القماشي البسيط،
تاركة هواء البحر المشبع باليود يتخلل ثيابها القطنية الخفيفة وخصلات
شعرها الحرة.

- اشرب شوية الشوربة دول.

- مش عايز.

- اشرب، إنت من امبارح مخطيتش حاجة ف بقك.

- ...

- يلا يا ابني، حرام عليك نفسك!

...

- مالك؟!

من موضعها بالشرفة، أرهفت السمع.. ثوانٍ من الصمت ثم.

- (بخفوت): من زمان محسيتش الإحساس ده.

- اي إحساس؟

- الاهتمام.. إن someone care about me.

برهة أخرى من الصمت، ثم.

- إنت مش متجوز؟

- كنت.

- و...؟!

- انفصلنا.

...

- مكانتش عندها استعداد تهتم بحد غير نفسها.

- أومال بتقول من سنين محدش...

- من بعد وفاة ماما.

صمت مشحون، نفثت خلاله إيمان بعصية المزيد من دخان

السيجارة في سماء الشرفة الآخذة في الإظلام.

- يلا اشرب الشورية طيب.

- بعد شوية.

- طب تفتق اتفاق.. لو قولتلي "يا ماما"، هسيبك براحتك.

- ماشى يا ماما.

- أهو بعد ماما دي، والله ما أنا سايباك غير لما تخلص الشورية.

ضحكا معاً.

اعتدلت إيمان في جلستها وهي تزفر بحنق، أطفأت بقايا السيجارة في منفضة بلاستيكية قريبة، ثم نهضت لتزيح بوابة خشبية قصيرة في طرف سور الشرفة، تهبط درجتين تنزلا بها لمستوى الطريق الأسفلتي.. تبعد.
لم تسمع صوت نشيجه، ولا صوت أمل المشفق إذ تحاول تهدئته.

- نيجاتيف.

قالها عمرو عزام بصوت محايد، ثم انتظر.

لدقيقة كاملة لم يرد آدم الذي كان موليه ظهرًا عريضًا، ومتأملًا الشمس الغاربة عبر الحائط الزجاجي، وقد صبغت المساحات الخضراء الشاسعة المترامية حول المبنى الرئيسى لـEgy- Nergy بلون داكن. دقيقة كاملة، شعر عمرو خلالها -رغم سنوات خدمته وخبرته برئيسه- بالقلق يموج في أحشائه، قبل أن يتحدث آدم أخيرًا من دون أن يستدير له:

- نصير لبكي اتصل؟

- اتصل وبعث ريبورت مفصل.

- بيقول ايه؟

- عندهم مشكلة ف وحدات A.I.L ويحاولوا يضغطوا ف الكونجرس لتغيير القانون، وحوار كبير كده شكله هياخد وقت، مذكور بالتفصيل ف الريبورت.

- سيبهولي على المكتب.

أطاعه عمرو، فوضع على المكتب مكعبًا صغيرًا يحمل نسخة الهولوجرام من التقرير الوارد من The Eye واعتدل يستمع لرئيسه الذي قال:

- أفترض إن ”نيجاتيف“ دي بخصوص البطارية المفقودة؟!
- (بشيء من الارتباك): إحنا مستمرين في البحث وهنلاقيها في أقرب وقت.

قال آدم بلهجة باردة كالثلج:

- أو هي اللي هتلاقينا.

- (بدهشة): إزاي؟!

- (ضاغطاً حروفه): أمل الشافعي.

غمغم عمرو بتخاذل:

- إحنا لسه مش متأكدين إن كان..

- أنا متأكد!

ساد الصمت للحظاتٍ قصيرة قبل أن يقول عمرو:

- هَتَعْمَلِ بيها إيه يعني؟!

- تعمل كثير.. إحنا خسرنا فرقة مطاردة كاملة بسبب الطفرة الجديدة

فأكتوبلازم البطارية الهربانة.. فرقة كاملة العتاد والتسليح والتدريب!

واستدار بجانب وجهه الذي كسته الظلال لرؤوسه الشاب مستطردًا:

- البطارية دي سلاح خطير.. و99% وقع فإيد واحدة مدركة الخطورة

دي.

وعاد إلى مشهد الشمس الغاربة وهو يردف:

- واحدة مهووسة، مسيطرة عليها فكرة واحدة.. الانتقام!

- مش شايف يا ريس إنك مديها أكثر من حجمها؟!

لم يرد آدم، فتشجع عمرو متابعًا:

- دي راحت ولا جَت، واحدة سِت.. وف أرذل العمر.. ف إيدها إيه
تعمله معانا بس؟!!

قال آدم بحزم:

- ف إيدها سلاح قضى على ثلاثين جندي مسلح محترف في ثواني.. وف
دماغها أفكار تخريبية مغرتهاش السنين.. أنا أعرف أمل من أيام الأزمة
القديمة، ومتأكد إنها ف اللحظة الي بنتكلم فيها دلوقتي، بتستعد لبدء
جولة جديدة.

- (بحماس): وإحنا مستعدين بقوتنا والتكنولوجيا بتاعتنا.

- والولد الصياد بتاعنا الي انضم ليها؟!!

- حتى ده، إحنا جاهزينله بالكارت المضاد.

وأردف بثقة:

- صدقني مستر آدم، فرصتها 0% إن مكانتش أقل.

لم يرد آدم.

اكتست ملامحه بقناع بارد، بينما ظل واقفاً يتأمل صفحة السماء
التي ملأت المشهد أمامه بضوء الغروب الأحمر، والذي بدا له نذيراً
بخطر داهم يقترب..

جلس الأربعة على مقاعد أنثريه مريح لا يخلو من بساطة.
نقلت أمل بصرها بين زين الجالس قبالتها منتصب الجذع، إيمان
التي استرخت إلى يمينها واحةً ساقاً على ساق، وبين أصابعها سيجارة
مشتعلة.. والدكتور محمود الذي جلس محني الظهر قليلاً، بجثة
عملاقة، كرش ضخيم، ورأس أبيض أغلب ما تبقى من شعره ولحيته.
عقارب الساعة العتيقة المعلقة إلى الحائط تشير إلى الحادية عشر
والنصف مساءً.

قالت بهدوء:

- أسئلة؟

نفثت إيمان عموداً من الدخان وثبتت بصرها على صفحة الحائط
المقابلة الخالية إلا من لوحة بسيطة لمنظر طبيعي.. أطرق محمود
برأسه أرضاً وهو يداعب خصلات لحيته بأصابعه.. أما زين، فتساءل:

- احنا فين هنا؟

أجابته:

- قرية قديمة من قرى الساحل الشمالي، قريبة من سوق الحمام.

- جينا هنا ازاي؟

أشارت بسبابتها بسرعة إلى محمود مجيبة:

- محمود عدى علينا بعريته ف داندي مول، وجابنا لغاية هنا.

نظر زين إليه وتساءل:

- مين حضرته؟

- الدكتور محمود حازم أبو زيد.. أستاذ الطب النفسي ومدير مركز
"أبو زيد" لعلاج الأمراض النفسية والعصبية.

مرت لحظة من الصمت بودّلت خلالها النظرات، قبل أن يسأل زين
مجددًا:

- إحنا هنا ليه؟

لم تُجِب أمل على الفور.. نهضت من مكانها، خطت على البساط
فاتح اللون الذي يغطي الأرضية المصنوعة من رخام حال لونه وفقد
بريقه.. استدارت إليهم وكأنها على وشك إلقاء محاضرة.. التقطت نفسًا
عميقًا.. قالت:

- من خمسة وعشرين سنة، صحن المصريين على كابوس لقوا أنفسهم
مغروسين فيه.. المصريين طول عمرهم ظروفهم صعبة، وحياتهم سلسلة
مبتلّصش من الكوابيس.. استعمار.. حروب.. إرهاب.. فساد.. ظلم..
ورغم كل ده فضلوا عايشين.. موجة تشيلهم، وموجة تحطهم.. يعانوا أد
ما يعانوا، وف آخر اليوم يتقفل عليهم بابهم، يتعشوا ويحمدوا ربنا
ويناموا.

لَوْت إيمان شفتها فَبَدَتْ تمثالاً مجسمًا لمعنى السأم.

- الكابوس المرة دي كان مختلف، كان مص حقيقي لدم وأرواح الغلابة
عشان الأغنيا يعيشوا أحسن وثرواتهم تتضخم أكثر وأكثر.. جريمة
اشترك فيها الغرب والشرق وإسرائيل مع النظام الحاكم الاستبدادي..
الكل اتغدى على آلام الناس وأنينهم.

راح أداؤها يعلو وصوتها يكتسب انفعالاً مع كل كلمة.

- بدون مبالغة.. Egy- Nergy أبشع جريمة ارتكبت ف حق الإنسانية

عبر التاريخ.

أطرق زين بوجهه أرضًا، وقد اكتسى بتعبير جامد لا يشف عن أي شيء.

- (بعينين ملتصقتين): من خمسة وعشرين سنة، عرف المصريين الي بيتعمل فيهم، فانفجروا في ثورة عارمة.. ثورة عظيمة اشترك فيها الشعب كله، وتشرفت الشعوب الحرة بتأييدها والمشاركة فيها.. المظاهرات والمسيرات مَلَت الشوارع والميادين.. الناس تخلو... قاطعتها إيمان ببرود:

- مش نوفر الخُطْب دي لبرامج التوك شوز أحسن؟!

رمقتها أمل بعينين غاضبتين، فأردفت وعمود الدخان يغادر شفتيها:

- ده تاريخ كلنا حافظينه!

- (برود): التاريخ ده انطمس من زمان، مَحْدِش عارفه.

تدخل الدكتور محمود قائلًا بكياسة:

- للأسف الشديد التحرك الشعبي العظيم ده أُجْهِض.. عرفت شركة

Egy- Nergy تحلل مناطق القوة والضعف في القوى الي بتواجهها،

واستغلت مناطق الضعف في ضرب مناطق القوة.

ورمق أمل بطرف عينه، فاستجابت لدعوته وعادت إلى مقعدها

بهدهوء بينما تابع هو:

- إيه كانت مناطق القوة ومناطق الضعف؟

حدق فيه زين باهتمام، وفقدت نظرة إيمان نسبة لا بأس بها من

لا مبالاتها.

- مناطق القوة كانت (يعد على أصابعه): عدالة القضية- المشاركة

الشعبية الواسعة- انخراط الإسلاميين بإخلاصهم وقدراتهم التنظيمية- التجاوب العظيم من شعوب العالم مع الثورة المصرية- وعامل مهم لعب دور كبير في صد الضربات الأمنية للتجمعات، وبالذات في الأيام الأولى الصعبة.. أدهم صبرى.

عمودٌ جديد من الدخان الأبيض خرج من بين شفتي إيمان المضمومتين، بينما زين يتساءل بحاجبين معقودين:
- مين أدهم صبرى؟!

- أدهم كان بطارية هاربة من ماكينات Egy- Nergy زى أخينا الى نايم فوق ف الأوضة (مشيراً بكفه لأعلى).. التعذيب داخل الماكينة استفز دفاعات جسمه، فأطلقت العنان لقدراته النفسية، وامتلك السايكوكاينزس.. القدرة على التحكم في الجسيمات الأساسية المكونة للمادة.. استطاع إنه يسخر قوته دي في الهروب من مزارع E.N. وفوجئنا بيه بينضم لاحتجاجاتنا من يومها الأول، ويعرض علينا خدماته.
استمع زين مأخوذاً مسحوراً، بينما لم يفت إيمان (التي تحفظ هذا التاريخ) أن تلقي نظرة بطرف عينها على وجه خالتها العجوز الذي اكتسى بمسحة من الحزن.

- أداء أدهم كان مبهر الحقيقة.. فعّال جداً.. مهما بلغت شدة الهجمات الأمنية من الجيش أو الشرطة أو مرتزقة E.N.، كانت بتهنار قدام قدراته الخارقة.. إحنا شفنا بعينينا أسلحة ومدافع بتتفكك وبتتخطم بين إيدين العساكر والطباط.. المدرعات كانت بتتخبط ف بعض، بتتطاير زي ما تكون ألعاب أطفال.. شيء خيالي يكاد لا يُصدق.
ردد زين مندهشاً:

- ودا راح فين؟!

تجاوز الدكتور محمود سؤاله وتابع:

- دي كانت مناطق القوة.. أما مناطق الضعف (التقط نفساً عميقاً)
فكانت الوجه الآخر لكل نقطة من نقاط القوة.. الوجه الي تجنبا
نشوفه أو ناخذ بالنأ منه.

استقرت ثلاثة أزواج من الأعين على أصابعه إذ بدأ يُعد.

- عدالة القضية.. عنوان جميل، رنان.. قيمة كبيرة.. إنما إيه مدلولها
على الأرض لو مفيش تحتها قوة حقيقية مؤمنة بيها، وخط ألف خط
تحت "مؤمنة بيها" دي! تستند إليها؟!

المشاركة الشعبية الواسعة.. ممكن تكون قوة فعلية تدافع عن
عدالة القضية أو القضية العادلة، لولا إن الجموع أو الشعوب بطبيعتها،
وبالذات الشعوب المتخلفة -ما اقصدش أي إهانة- فوضوية بطبيعتها،
وصعب السيطرة على حركتها وجموحها.

فرحنا بنزول الملايين للشارع، وغضينا الطرف عن العَرَض الجانبي
للنزول ده.. الفوضى الي ضربت المدن والمحافظات.. سقط القانون
مع ضعف وتراجع سلطة الدولة.. أي حد بقى عايز يعمل أي حاجة
بيعملها.. وده كان كفيل إنه يخلي قطاعات عريضة من الناس تقفش
وتتمنى رجوع القانون والأمن، بأي قمن.

الاعتصامات والمسيرات والمظاهرات استمرت.. يوم.. يومين.. ثلاثة..
ومع اكتمال أسبوع، كانت بدأت تعلأ نبرة التملل والزهق والتساؤل
عن آخرة ده كله إيه.. حتى مع انكسار التهديد الأمني أمام قوة
أدهم الخارقة.. وابتدينا نسمع أصوات بتشكك في الهدف من ورا
الي بيحصل.. ومين قال إن فيه تعذيب؟! وبصوا مين الي بيتخطفوا
وبيتحولوا لبطاريات؟! ما كلها أشكال ضالة، حرامية وبلطجية وأطفال

شوارع، البلد محتاجة تنصف منهم!

وبكده كانت المفارقة المدهشة إن المشاركة الشعبية الواسعة زي ما كانت السبب الرئيسي في انفجار الاحتجاج الثوري، كانت برضه العامل الرئيسي في إجهاضه.. نزلوا حَطف، وانسحبوا حَطف! وده درس مهم.. الشعوب على عكس الأكلشييات الشائعة، لا يَعمَل عليها في إحداث التغيير، التغيير بييجي من مجموعة.. نخبة.. group ما، عنده رؤية، وعنده القدرة على ترجمتها على أرض الواقع.

وصمت لثوانٍ استرد خلالها أنفاسه، ثم تابع:

- الإسلاميين كانوا حالة مختلفة.

من ناحية، عندهم الميزة اللي افتقدتها الحركة الاحتجاجية الشعبية.. منخرطين في تنظيمات قائمة على السمع والطاعة، وليها أساس عقائدي متين يخليهم مستميتين في تحقيق هدفهم.. رجاله وستات.. أطفال وشيوخ.. ممكن يقعدوا بالشهور في الشوارع.. يواجهوا الرصاص والموت بصدور عارية.. فلوسهم كتيرة، يقدرُوا يمولُوا اعتصامات ضخمة طويلة.. مفيش زهق.. مفيش خوف.. الفكرة اللي آمنوا بيها واتربوا عليها خليتهم أقرب لـ robots.

ومن الناحية الثانية.. الوجه الآخر.. دي كانت برضه نقطة ضعفهم.. الـ robot مبيفكرش.. بينفذ على طول بناءً على البرنامج اللي اتحطه.. وإذا كان البرنامج ده مختل، فالروبوت بيعجز عن تعديله أو تعديل أفعاله المبنية على برنامج مختل.. ومشكلة التنظيمات عمومًا، إنها محتاجة فكرة جبارة للسيطرة على عقول وأفكار أعضائها.. ومهما كانت قوة وقيمة أو عظمة أو نبل أي فكرة، فهي لا تحقق السيطرة الكاملة.. فقط الدين وحده هو اللي ممكن يحقق ده -انسوا أي كلام عن أي

أيديولوجيا سياسية أو أخلاقية ثانية.. كله بلح!- هو الي ممكن يدفع عضو التنظيم للتضحية بحياته عشان يطيع أوامر قادته الي هي هتقوده للجنة.

ودي تاني مفارقة مدهشة.. نزول الإسلاميين الشوارع وانضمامهم للثورة كان مكسب ضخم، نظرًا لتنظيمهم وثباتهم واستماتتهم في مواجهة الهجمات الأمنية، وبالذات بعد بدء انفضاض الشعب.. وفي نفس الوقت، النزول ده كان سبب رئيسي من أسباب الهزيمة.. ليه؟! لأنهم نزلوا يشاركوا في ثورة قامت ضد شركة بتمتص أرواح الناس، ”من أجل تحرير الأقصى“ (!).. الفكرة.. البرنامج.. الشريحة المزروعة في عقولهم للسيطرة على حشودهم مستحمِلش هدف تاني غير ”تحرير الأقصى واستعادة الخلافة“. وده طبعًا لعب دور كبير في إقناع الحكومات الغربية بتجاهل احتجاجات شعوبها المؤيدة للثورة المصرية، ومنح Egy- Nergy تأييد مكانتش تحلم بيه.

والمفاجأة.. الفضيحة الي انفجرت بعدها بشهور، إن قيادات التنظيمات دي كانت جوة المكاتب المغلقة بتساوم الشركة الأم في أمريكا للاستحواذ على نصيب حسن فودة، الشريك المصري، مقابل سحب الملايين الثائرة من الشوارع! الملايين الي نزلت تحرر الأقصى وتستعيد مجد الخلافة! أطفال إيمان بقايا سيجارتها، ونظرت إليه وهو يرشف من زجاجة مياه معدنية، ويعيدها إلى المنضدة ثم يستطرد:

- النقطة الثالثة كانت أدهم! الـ superhero الي حمى الثورة والثوار بقدراته الاستثنائية.. ولأنها استثنائية، فوجودها استثناء.. وبشكل إحنا لسه مش فاهمينه الاستثناء ده زى أي استثناء زال بزوال صاحبه.. إحنا منعرفش أدهم اختفى فين ولا إزاي! فجأة فص ملح وداب.. ولأن اعتمادنا

الأساسي في التأمين كان على استثناء خارق للعادة، فلما زال الاستثناء لسبب غير معروف انكشفنا لأعدائنا، وأصبح التخلص مننا مش محتاج إلا لذخيرة أكثر بس!

أشارت له أمل، نظر لها وكأنه يتأكد من استعدادتها لهدوئها.. هزت له رأسها، فعاد إلى مقعده وقالت هي:

- 3 عوامل قوة هي نفس عوامل الضعف، والنتيجة إن الحراك الثوري أجهض.. اتنسف.. الشعب انقض.. أدهم اختفى.. الحكومات الغربية تخلت.. مبقاش ف الشارع غير الإسلاميين، وده ف حد ذاته كان green light.

بعد المذبحة، خرج الشعب تاني للشوارع يرقص احتفاءً بانتهاء "القلق". الدولة استعادت سيطرتها، الشركة اكتسبت دعم وتأييد داخلي (!) قبل الخارجي.. الإعلام مشي ورا كل ده، وباحترافية مسح كل حرف اتكتب ف كتاب الثورة.

كُنّا إحنا ف الوقت ده اختفينّا.. الي اتقتل اتقتل.. الي اتمسك اتمسك.. واللي هرب هرب.

محمود (أشارت نحوه بسبابتها) كان بعيد عن الأضواء، وده سهّل له إنه يبقى ف مصر ويحتفظ بشغله ومكانته.. أنا قدرت بمعجزة إني أهرب برة مصر، وفضلت عشرين سنة أتتط من بلد لبلد. المرحوم بشير الهلالي أخذ مسار مختلف.

وحدقت في عيني إيمان مباشرةً وكأنها توجه الكلام لها وحدها.

- قبيل أيام من هجوم الأمن وتصفية الاعتصامات، المرحوم الهلالي تنبأ باللي هَيحصل.. انفرد بينا على جنب، شاور على جاحل الإسلاميين في الشوارع والميادين، وقالنا إن الموضوع انتهى، وإن فض الاعتصام وتصفية

الثورة مسألة وقت.. واقترح نبداً في plan B.

!؟Plan B -

كذا ردد زين مندهشاً، فأومأت برأسها وتابعت:

- الله يرحمه كانت عنده بصيرة سياسية ثاقبة (ظلل شبح ابتسامة متهكمة شفتي إيمان).. قال إن مفيش وقت نضيعه.. وإذا مكُنَّاش مستعدين بخطة بديلة، فلازم نستعد.

الخطة البديلة اعتمدت على تفادي نقاط الضعف الي حطمت الحراك الثوري.

مفيش اعتماد على المشاركة الشعبية.. مفيش اعتماد على الإسلاميين (كده كده بمقاش فيه إسلاميين بعد المواجهات المسلحة الي حصلت بعد فض الاعتصامات).. ودي ف حد ذاتها معضلة.. نعمل إيه؟! وخصوصاً إن Egy- Nergy مبقيتش مجرد شركة أو مجموعة بتمارس نشاط اقتصادي أو تجاري أياً كان توصيفه.. E.N. أصبحت كيان عملاق يتجاوز المفهوم التقليدي للشركات العابرة للقارات.. خاضت حروب ضروسة ضد الشركات دي، وف النهاية خرجت منتصرة في كل معاركها، وثقت شريك رئيسي في حكم العالم.

الحل كان في ضربات نوعية لأهداف منتقاة بدقة، لإضعاف أداء الشركة وقدرتها على إنتاج الطاقة.. لو عجزت الشركة عن سد احتياجات الحكومات والكيانات الكبرى من الطاقة هتخسر دعمهم، الي هو الجزء الرئيسي من نفوذها.

قال زين محذراً:

- إنتي كده بتكلمي عن عمليات مسلحة! وفي قولٍ آخر: إرهاب! ضحكت قائلة بسخرية:

- إنت ناسي إني مصنفة كإرهابية؟!

بعصبية أشعلت إيمان سيجارة أخرى.

- الإرهابيين سهل تصنفهم كثوار، والثوار سهل تصنفهم كإرهابيين..

it is depends to المكان اللي بتتكلم منه.. وبشكل شخصي، رأيي إن الإرهاب المسلح صورة راديكالية من صور الثورة.

- محمود من شوية قال ان التغيير بييجى من مجموعة.. نخبة..

group ما، عنده رؤية، وعنده القدرة على ترجمتها على أرض الواقع..

دا بشكلٍ أو بآخر بينطبق على الحركات المسلحة الطامحة للتغيير..

واللى بيحصل ف كل مرة: إما بينجحوا فى إحداث التغيير فبيقوا ثوار وأبطال، وإما يفشلوا وبيقوا إرهابيين وخونة وفوضيين

عمود كثيف من الدخان يندفع بعصبية خارج الشفتين الممتلئتين..

تلاحظه أمل، فترمق ابنة أختها بطرف عينها بينما زين يتساءل:

- وعندك القوة العسكرية، أفراد ومعدات وخبرات، اللي تقدرى بيها

تنفذى رؤيتك؟!

تجاهلت إجابة سؤاله وأكملت:

- الإعداد للضربات دي كان يستلزم وقت ومجهود وتخطيط وتمويل

وقاعدة معلوماتية.. وقبل كل ده محتاج الأفراد المخلصين محل الثقة..

وعشان كده كان لازم ننقذ نفسنا.. محمود انسحب، أنا هربت، وبشير راح برجليه سلم نفسه.

لم يفلح البوكر فيس الذي غطى ملامح إيمان في إخفاء علامات

الدهشة التي أطلت من عينيها، وترجمها تساؤل زين المذهول:

- سلم نفسه لمين؟!

أطرق محمود برأسه أرضاً، بينما أمل تقول:

- سَلِمَ نفسه للشركة.. راح لكمال فودة شخصياً (كان لسه ساعتها في منصبه).. قَدِمَ له an offer he could not refuse.

- إيه؟!

- (بصوت متهدج): إنه يبقى راس الحربة الإعلامية في مواجهة الاحتجاج الشعبي ضد الشركة.

حدقا فيها بدهشة عارمة، فتابعت بعينين مغرورتين بالدموع:

- أحمد بشير الهلالي.. المناضل اليساري المعروف، المحامي الحقوقي، القيادي البارز في أكبر ثورة احتجاجية في تاريخ مصر الحديث.. يظهر في توقيت حرج على شاشات الفضائيات يعلن تراجعه.. يعلن ندمه.. يعلن إنه مكانش احتجاج.. مش ثورة.. بيعترف إنه انضحك عليه عشان يشترك في ثورة هي في حقيقتها مؤامرة لضرب استقرار البلد وإدخالها في دوامة الفوضى.

- (بدهشة عارمة): والمقابل إيه؟!

- مقابل إنه يحتفظ بحياته وشغله بعد انتهاء العاصفة.

- لا أنا قصدي المقابل اللي هيعود عليكم.. plan B!

تناولت مندبلاً ورقياً من بين أصابع محمود الممتدة به نحوها.. مسحت دموعها وهي تجيب:

- اللي هيعود علينا إن كوادرنا تفضل موجودة.. إننا نبدأ بعد فترة كمون نبني الشبكة اللي هتكمل المسيرة.

والتفتت تواجه إيمان مباشرة قائلة بصوت داعم لم يخلُ من تحد:

- بشير مكانش خاين ولا وسخ.. مباحش زمايله عشان يشتري مصلحته.

بإدلتها إيمان النظر بثبات لثوانٍ، قبل أن تشيح بوجهها.

نقل زين بصره بينهما وقد أدرك أن لهذه المباراة تاريخًا كفيلاً
بتعطيل المناقشة.. أسرع يقول:

- وبنيتوا الشبكة؟!

أجابه محمود هذه المرة:

- حصل.

التفتوا له، فالتقط نفساً عميقاً وأكمل:

- الموضوع مكانش سهل، واستغرق سنين.. actually الربع قرن الأخير..
لاحظوا إن العين كانت على بشير في مصر، وأمل في أوروبا.. الأجهزة
الاستخباراتية التابعة لـ E.N. كانت بتعد عليهم أنفاسهم، وبالذات في
الخمس سنين الأولى.. ورغم كده بدأنا نتحرك (إحنا الثلاثة) ببطء
وبسرية.. تواصلنا مع حقوقيين وسياسيين جوة وبرة مصر، وأسسنا
شبكة من الخلايا محدودة الأفراد، مهمتها جلب المعلومات عن
أنشطة وعلاقات E.N. حول العالم، حجمها وتطورها.. تحليلها وتخزينها
وupdateing مستمرة، لغاية ما تيجي ساعة الصفر، اللي نقدر فيها
نستغل الصورة اللي اتكونت عندنا للشركة، لضربها.

- وإيه هي ساعة الصفر؟!

أجابته أمل:

- الساعة اللي ممتلك فيها القوة اللي نقدر نوجه بيها ضربات للشركة
تضعف من قوتها وتخلي...

قال زين:

- إنتي متخيلة حجم الترسانة الأمنية اللي تملكها E.N.؟!

- عندي.. والى ناقصنى، إنت هتكملهولى..

وحدقت فى عينيه مباشرةً وقالت:

- مافكرتش ان تقاطعنا مش مجرد صدفة؟!.. إن ربنا قَدَرُه خالصاً

عشان الدا تا الى عندنا تكتمل من واحد جاى من داخل المنظومة؟!..

بادلها تحديقاً بتحديق من دون أن يتكلم..

- إنتى مجاوبتيش على سؤاله..

إستقرت ثلاثة أزواج على وجه إيمان، التى أشارت سبابتها إلى زين..

تساءلت أمل:

- أى سؤال؟..

نفثت إيمان دخان سيجارتها قائلة ببرود:

- عندك القوة عسكرية، أفراد ومعدات وخبرات وتمويل، الى ممكن

تعملى بيهم كل الأفشخانات دى؟!..

أجابتها أمل بهدوء:

- التمويل موجود..

- منين؟!..

- مش مهم التفاصيل.. كل الى ممكن اقله دلوقتى ان فيه كيانات

كبيرة حول العالم يهملها إسقاط استثمارات Egy- Nergy.. الكيانات دى

تواصلنا معاها من فترة طويلة وساعدونا ف تأسيس الشبكة بتاعتنا ف

كل الدول الى فيها أنشطة لـ E. N. ...

والتقطت نفساً عميقاً ثم استطردت:

- التمويل المفتوح سهل لنا حاجات كتيرة منها توفير السلاح والكوادر

المدربة.. بس الأهم من كل دا، سلاحنا الجديد..السلاح الأقوى من الأفراد
والمعدات ومن ترسانة Egy- Nergy كلها..

- دا اللي هو إيه؟!..!!..

تبادلت نظرة سريعة مع محمود، ثم أشارت بسبابتها للسلم الداخلى
المؤدى للطابق الأعلى حيث غرف النوم، وهى تقول بحسم:

- الخوف..

العطش.

عطش حارق رهيب يملأ حلقه الجاف.. كان هذا أول ما ملأ نفسه
من أحاسيس.

ببطء فتح عينيه.

النور الباهر يعميه للحظات..

ثم، تدريجياً، بدأ يراهم

ظلالاً كانوا في بادئ الأمر..

أربعة كان عددهم..

حاول أن يفتح فمه ليخبرهم أنه عطشان، ولكنه لم يستطع.. لسانه
كان ثقيلاً كالحجر.

أربعة كان عددهم.

لم تسطع عيناه -أو ما كانتا عينيه، وصارتا خليتين بصريتين- بعد
طول إغلاق، وبسبب الضوء الباهر القادم من خلفهم أن تميز أشكالهم
ولا أنواعهم.

فقط كانوا أربعة.

وكانوا يحدقون به من أعلى.

حاول مرة أخرى أن يفتح فمه ويقول شيئاً.

لم تخرج منه سوى حشرة.

ثم تكلم أحدهم.

أحد الأربعة.

مس الصوت الأنثوي الهامس أذنيه مساً:

(صوت أنثوي): حمد الله على السلامة.

نهاية الجزء الأول

فكرة استخلاص السعال الحوى من الأجساد المحتضرة عن طريق التعذيب هى فكرة أصيلة للدكتور «أحمد خالد توفيق»، وورد ذكرها فى روايتى كليمنجارو والظاهرة.

شكر مستحق ل سارة البدرى

أعمال أخرى للكاتب

تحت الأرض (رواية) عن دار دَوْن، عام ٢٠١١

أنين (رواية) عن دار كيان، عام ٢٠١٢

برهة من الصمت قضاها آدم المصرى جالساً خلف مكتبه.
الضوء الخافت القادم من قمرٍ شاحب تناوبت عليه الغيوم، لم يفلح في
اختراق طبقات الظلام داخل القاعة التي تعتمد صاحبها إطفاء أضواءها
الذاتية.

برهة من الصمت، تنهد بعدها، ونقر بعض الأزرار المتراصة أمامه على
لوحة المفاتيح بمكتبه.

رفع عينيه إلى الهولوجرام الذى تشكل أمامه في الفراغ..
رمق الوجه (الذى طمست الظلال أغلب ملامحه) بنظرة طويلة، شعر
خلالها بالعينين الثابتين، من تحت الظلال، تنفذان إلى أغواره.
قال لصاحب الهولوجرام بصوت يمجج بالقلق:
- يظهر ان الأحداث هستدعى ظهورك من جديد يا سيد أدهم.

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى، بالعامية أو حتى بالإنجليزية ..
بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ، كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك
وتكون كاتب معروف ..
لأن في كيان ، للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :
محمول: 01005248794 – 01001872290 – 01000405450
أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :
info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

وتابعنا :



kayanpublishing



kayan.publish



kayanpublishing



kayan_publishing